

جمهورية السودان
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
كلية الدراسات العليا والبحث العلمي
دائرة القرآن الكريم والدراسات الإسلامية
شعبة التفسير

تفسير الجملة القرآنية في ضوء التأسيس والتوكيد

دراسة تحليلية

بمقدم لنيل درجة التخصّص العليا (الدكتوراة) في تخصص التفسير وعلوم القرآن

إشراف د/ قاسم بشرى حميدان

إعداد الطالب/ أحمد حسن صالح محمد الفقيه

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ
يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ
وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]

الإهداء

إلى أهل القرآن أوعية كتاب الله العظيم.
وإلى علماء الأمة أعلام الهدى، ومصاييح الدجى الذين سخروا حياتهم
وجهودهم

لبيان مراد الله تعالى في كتابه وسنة نبيه محمد ﷺ.
وإلى مقام والدتي السامي، درة حياتي، وجنتي.
وإلى مقام والدي الحبيب الذي رباني وأدبني، وتحمل وعثاء الحياة من أجل
رعايتي

وتعليمي أنا وإخوتي.
وإلى مقام خالتي التي ساهمت في تربيتي.
وإلى إخواني وأخواتي وأقاربي الذين بذلوا جهوداً مشكورة في مسيرتي
العلمية.

وإلى زوجتي اللتين كانتا وراء تذليل الصعاب، ورعاية الأبناء، مما شدني
لمواصلة

المسير، والاستعلاء على عوائق التقصير.
وإلى أولادي فلذات كبدي ومصدر عزيمتي حال غيابي.
وإلى كل من له فضل عليّ وكل من ساهم معي في إنجاز هذا العمل.
إليهم جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع.

شكروعرفان

الحمد لله حمداً يليقُ بجلاله وكماله، المتفضلِ بمنه وإحسانه، لا أحصي ثناءً عليه، هو كما أثنى على نفسه، هداني للدين القويم، وجعلني من أمة خير المرسلين - محمد ﷺ - ووفقني لطلب العلم الشرعي، وأعانني على إنجاز هذا البحث، ونعمه عليّ لا تحصى، له الحمد كثيراً، فهو أحقُّ من عبد، وأكرم من أعطى، وأرأف من ملك، أسأله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، ومقرباً إلى جنات النعيم.

كما أتقدم بالشكر الجزيل والثناء الجميل لجامعة الإيمان، وعلى رأسها فضيلة شيعي العلامة أ.د/ عبد المجيد بن عزيز الزندانى رئيس الجامعة.

كما أخص بالشكر والثناء الوفير جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية وعلى رأسها فضيلة البروفيسور/ سليمان عثمان محمد مدير هذه الجامعة المباركة التي تفضلت بقبولي وتسجيلي طالباً في الدراسات العليا، فأسأل الله العليّ القدير أن يجعلها منارةً للعلم والإيمان إلى يوم الدين، وأن يحفظ على السودان الحبيب دينه، وأمنه، واستقراره.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي الحبيب وشيخي القدير الدكتور/ قاسم بشرى حميدان، الذي تكرم بقبول الإشراف على رسالتي، فغمرني بفضله، وحسن أخلاقه، فكان نعم الأستاذ المتواضع سجية بلا روية، الواسع في طباعه، الغزير في علمه، كما أشكر له ما أولاني به من اهتمام كبير، ومنحني من وقته وعلمه الكثير، فهو لم يكن عالماً فحسب، بل كان نعم الأب، ونعم المربي، والموجه، أسأل من الله العليّ القدير أن يجزل له المثوبة في الدارين، كما أكلل بالشكر الجزيل للشيخين الجليلين المناقشين: فضيلة الشيخ الدكتور/ مبارك محمد أحمد رحمة، وفضيلة شيعي الدكتور/ السر الطاهر محمد الماحي، اللذين تفضلاً بقبول مناقشة هذه الرسالة، وعلى ما سيقدمانه من تصويب، وتقويم ستكون درراً وحلاً تزين البحث وتكمله، أسأل الله أن يجزيهما خير الجزاء، كما أشكر أستاذي القدير البروفيسور/ عبد الله عبد الرحمن

الزبير الذي كان له قصب السبق في تعليمي وإعانتني مع تواضعٍ، وإنكارٍ لما يقدمه،
أسأل الله أن يجزل له المثوبة في الدارين.
كما أتقدم بالشكر لكل من ساهم معي، وأعانني على إنجاز هذه الرسالة، والله
الموفق.

مستخلص الرسالة

اشتملت الرسالة على بايين وخاتمة على النحو الآتي:

فأما الباب الأول: فقد تناولت فيه التعريف بمفردات البحث وذلك في فصلين:

احتوى **الفصل الأول** على تعريف التفسير، وأنواعه، واتجاهاته، وتعريف القرآن الكريم، والجملة القرآنية، والوصل، والفصل، والتكرار في الجمل القرآنية. و**احتوى الفصل الثاني:** على تعريف التأسيس، وبيان قاعدته، وأهميته في تفسير الجملة القرآنية، أو الترجيح به عند المفسرين، كما احتوى على تعريف التوكيد، وأغراضه البلاغية، والتوكيد في الجملة القرآنية.

وأما الباب الثاني: فقد تناولت فيه الأمثلة التطبيقية على ضوء قاعدة التأسيس والتوكيد، والقرائن التي يمكن أن تحتف بذلك، وطريقة الترجيح بينها وذلك في ثلاثة فصول على النحو الآتي:

الفصل الأول: احتوى على الجمل القرآنية التي تكررت بنفس اللفظ واختلفت في معناها، والجمل القرآنية التي تكررت في السورة الواحدة أكثر من مرة، والجمل القرآنية التي اختلف لفظها واختلفت في تكرار معناها.

وأما الفصل الثاني: فقد احتوى على أثر القرائن في ترجيح قاعدة التأسيس على بعض قواعد التفسير التي منها إرجاع الضمير إلى ما يفيد التأسيس أولى من إرجاعه إلى ما يفيد التوكيد، ونفي الضد إن صح حمله عن التأسيس فهو الأولى، والعموم بعد الخصوص يفيد التأسيس، والحمل على المجاز إن أفاد التأسيس حمل عليه إن دل عليه نص

أو قرينة.

وجاء الفصل الثالث: محتوياً على التوكيد في الجمل القرآنية، ومشتماً على كل من التوكيد في تكرر الألفاظ والمعاني، والتوكيد للجمل بنفي الضد، والتوكيد بالتذليل، والتوكيد بورود الخاص بعد العام، ثم ختمت الرسالة بأهم النتائج والتوصيات.

المقدمة

الحمد لله الذي شرفنا على الأمم بالقرآن المجيد، ودعانا بتوفيقه إلى الأمر الرشيد، وحفظه من تغيير الجهول وتحريف العنيد، وأسس به الإيمان على الأمر السديد، وأكده بالوعد والوعيد، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، من تمسك به نجا بالوعد الأكيد، ومن تركه هلك يوم الوعيد، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، وإمام المتقين، وسيد الغر المحجلين، وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن مما لا يخفى على مسلم، فضلاً عن طالب علم، فضلاً عن عالم، ما يمثله القرآن الكريم في حياة المسلمين، فهو المعجزة الخالدة والدستور الدائم الذي فيه خبر من قبلنا ونبأ من بعدنا، وهو الفصل ليس بالهزل، وهو الصراط المستقيم، والنهج القويم، من تمسك به هدي إلى صراط مستقيم، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(١)، ونظراً لهذه الأهمية فقد كان القرآن الكريم قبلة العلماء والباحثين ينهلون من مورده العذب الذي لا يتكدر ولا ينقطع، وعليه فقد توجهت مستعيناً بالله تعالى أن أدلو بدلوي بين الدلاء ففقت بدراسة: (تفسير الجملة القرآنية في ضوء التأسيس والتأكيد) فكان هذا الموضوع من الأهمية بمكان حيث رأيت المفسرين حتى أهل الرواية منهم إذا لم يجد في الآية أثراً مال إلى التفسير بحسب قاعدة التأسيس والتأكيد، ومن خلال البحث سيتبين للقارئ الكريم أهمية الأخذ بهذه القاعدة العظيمة في تفسير القرآن الكريم، والترجيح بين أقوال المفسرين، والله المستعان.

أولاً: مشكلة البحث:

١ - الإسراء: ٩.

وتتمثل مشكلة البحث في الأسئلة الآتية:

- ١- هل للجانب البلاغي دور في تفسير القرآن الكريم، والترجيح بين أقوال المفسرين.
- ٢- هل لاختلاف الجملة القرآنية بين كونها للتأسيس أو للتأكيد دور في تحديد معنى الجملة.
- ٣- هل تكرار الجمل القرآنية تحمّل نفس المعنى للجملة السابقة.
- ٤- ما هي علاقة قاعدة التأسيس بقواعد التفسير الأخرى.
- ٥- ما هي الثمار المرجوة من تفسير الجملة القرآنية في ضوء التأسيس والتأكيد.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع.

- ١- إبراز دور التأسيس والتأكيد في التفسير.
- ٢- الوقوف على نوع من أنواع إعجاز القرآن الكريم في التفسير البلاغي.
- ٣- الكشف عن أسرار النكت البلاغية في الجمل القرآنية من خلال التأسيس والتأكيد.
- ٤- الاطلاع على آراء المفسرين والاستفادة منها لفهم كتاب الله وخاصة من الناحية البلاغية في علم المعاني.
- ٥- توضيح ثمره الأخذ بالتأسيس أو التأكيد في الجمل القرآنية.
- ٦- معرفة ما ترجح من الأحكام والأخبار في القرآن الكريم بواسطة أعمال هذه القاعدة.
- ٧- إيجاد مرجع متخصص يقف على الجمل التأسيسية والجمل التوكيدية ليسهل الاستفادة منه، والرجوع إليه في هذا الشأن.
- ٨- إن هذا الموضوع لم يفرد بالبحث من قبل حسب علمي واطلاعي.

ثالثاً: أهمية الموضوع.

- ١- بيان دور التأسيس والتأكيد في تفسير الجملة القرآنية، والترجيح بين أقوال المفسرين بهذه القاعدة.
- ٢- دور التأسيس في فهم المسائل الواردة في القرآن الكريم سواء كانت فقهية أو أصولية أو من أخبار الأمم الماضية.
- ٣- إيجاد مرجع متخصص يقف على الجمل التأسيسية والجمل التوكيدية ليسهل الاستفادة منه والرجوع إليه في الاتجاه البلاغي للتفسير.
- ٤- الكشف عن أسرار النظم القرآني المتعلق بعلم المعاني والذي ندرسه من خلال الجملة التأسيسية والجملة التوكيدية.

رابعاً: الدراسات السابقة.

هذا الموضوع تناوله المفسرون كالإمام الطبري وابن عطية والزمخشري والرازي والبيضاوي وابن عاشور وغيرهم، ولكن كمتفرقات وإشارات ونكت بلاغية في مصنفاتهم، كما استخدموا قاعدة التأسيس والتأكيد لتفسير الآيات القرآنية، والترجيح بين الأقوال، ولقد اطلعت في المكاتب العامة والشبكة العنكبوتية الإلكترونية (النت) فلم أجد حسب علمي دراسة متخصصة في ذلك، وقد وجدت مؤلفات قريبة من هذا الموضوع منها:

- ١- أسرار التكرار في القرآن لتاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى ت: (٥٠٥هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط/ دار الاعتصام بدون تاريخ الطبع، كتيب صغير عدد صفحاته (٢١٣) صفحة مقاس صغير، تناول فيه الإمام الكرمانى بعض ما تكرر من آي القرآن بصورة موجزة جداً، وفائدته بالنسبة لبحثي تكاد تكون قليلة جداً ولكن حسبه أنه من أوائل من تكلم في هذا الفن بعد القاضي عبد الجبار الهمداني المعتزلي ت: (٤١٥هـ) والعلامة عبد القاهر الجرجاني ت: (٤٧١هـ).

٢- بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية، رسالة دكتوراه للطالب/ عبد الفتاح لاشين، في عام ١٣٩٣هـ، مطبعة دار القرآن-ميدان الأزهر الشريف، وقد تكلم فيها الباحث عن جميع أنواع البلاغة القرآنية، ومن ضمن ذلك "الإشباع في الجمل" وتطرق إلى تكرار الجمل وأنه قد يكون للاستئناف- التأسيس- أو للتأكيد في حوالي خمس عشرة صفحة، وضرب مجموعة من الأمثلة على ذلك، ودراستنا متخصصة في مواطن التكرار بجميع أنواعه في الجمل وفي غير التكرار مما له علاقة بالتأسيس والتأكيد من العموم والخصوص ونفي الضد...الخ.

٣- خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالاتها البلاغية، رسالة دكتوراه مقدمة من الطالب/ إبراهيم علي الجعيد في جامعة أم القرى عام ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م، تكلم في الباب الأول منها حول التأكيد، ودلالته البلاغية، وقد استفدنا منه في دواعي التوكيد والخلاف بين التوكيد النحوي والتوكيد البلاغي.

٤- قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية رسالة ماجستير للطالب/ علي بن حسين الحربي من كلية أصول الدين- جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، وقد كانت أول طبعة للرسالة عام ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

تناول فيها الباحث قاعدة التأسيس والتأكيد ووضح أن المفسرين استخدموا هذه القاعدة في تفسير القرآن وفي الترجيح بين أقوال المفسرين وضرب مجموعة من الأمثلة في عجلة سريعة.

أما دراستنا لهذه القاعدة فقد استوعبت تطبيقات القاعدة بشيء من التفصيل كما رجح الباحث بواسطتها كثير من الأحكام الفقهية والمسائل الخبرية كما سيأتي لاحقاً إن شاء الله تعالى.

خامساً: منهج الدراسة.

أتبعتُ في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي والتحليلي والاستنباطي على النحو الآتي:

- ١- استقراء آراء المفسرين في المسألة وأدلتهم على ذلك.
- ٢- حررت محل النزاع بين المفسرين في الجملة القرآنية بين كونها تأسيسية أو توكيدية ووضحت سبب الخلاف.
- ٣- قمت بالتوثيق والعزو للآيات والأحاديث والأقوال إلى مظانها.
- ٤- أعزو الآية في بداية الأمثلة ثم أكررها في المثال معتمداً على العزو السابق.
- ٥- نسبت القول إلى قائله من مصدره الأصلي إلا في حال فقدان المرجع الأصلي فنستأنس بالموجود.
- ٦- قمت بتقسيم البحث إلى فصول ومباحث ومطالب بطريقة اجتهادية لتسهيل على القارئ والباحث استخراج المعلومة المطلوبة لديه.
- ٧- إذا تكرر الاستشهاد من أي مرجع فإنما أذكر اسم الكتاب والصفحة فقط.
- ٨- ترجمت للأعلام اللذين وردت أسماؤهم في صلب البحث، ما عدا الصحابة وأئمة المذاهب المعتمدة عند المسلمين والمفسرين المعاصرين.
- ٩- قمت بالترجيح بين آراء المفسرين مع بيان أدلتهم إن وجدت.
- ١٠- استخدمت أثناء البحث بعض الرموز طلباً للاختصار، وهي كما يلي:
(ط) تعني: الطبعة، (هـ) تعني: السنة الهجرية. (م) تعني: السنة الميلادية.
(بدون) تعني: لا يوجد تاريخ الطبعة أو دار الطباعة أو هما معاً. (ص) تعني: رقم الصفحة.
- ١١- قمت بوضع فهرس عامة للبحث، وكل ما يتعلق بفتياته من النواحي الشكلية والتنظيمية حتى يسهل الرجوع إلى جزئياته بسهولة.

سادساً: حدود هذه الدراسة.

هذه الدراسة محدودة بحددين:

أولاً: الحد الموضوعي: البحث يدور حول الجمل القرآنية، هل تفيد التأسيس أم التوكيد بمعنى: هل الجملة المتأخرة تأسيسية أنت بمعنى جديد لم يعلم من الجملة السابقة، أم جملة تؤكد ما قبلها؟

ثانياً: الحد المرجعي: المراجع التي تناولها الباحث في بحثه كتب التفسير، وبعض كتب البلاغة، وسيقوم بتخريج الأحاديث من مظانها من كتب الحديث والتخريج.

سابعاً: الصعوبات التي واجهت الباحث:

- ١- سعة الموضوع وتشعب أطرافه.
- ٢- صعوبة الحصول على بعض المراجع المتخصصة في التفسير البلاغي.

ثامناً: هيكل هذه الدراسة:

تتكون هذه الدراسة - بعد ذكر المقدمة المشتملة على مشكلة البحث وأسباب اختيار الموضوع وأهميته والدراسات السابقة والمنهجية البحثية التي سيتم السير عليها، وحدود هذه الدراسة والصعوبات التي واجهت الباحث - من بابين وخاتمة وفهارس على النحو الآتي:

الباب الأول تعريف مفردات البحث

وفيه فصلان:

الفصل الأول: تعريف التفسير والجملة القرآنية.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التفسير: أنواعه، واتجاهاته.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التفسير لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أنواع التفسير.

المطلب الثالث: اتجاهات التفسير.

المبحث الثاني: تعريف القرآن وأقسام الجمل عند البلاغيين.
وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القرآن لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الجملة القرآنية وأقسامها عند البلاغيين.

المطلب الثالث: الوصل والفصل والتكرار في الجمل القرآنية.

الفصل الثاني: التأسيس والتوكيد عند المفسرين.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التأسيس وأهميته عند المفسرين.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التأسيس لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: قاعدة التأسيس عند المفسرين.

المطلب الثالث: أهمية التأسيس وفوائده في تفسير القرآن.

المبحث الثاني: التوكيد وأغراضه البلاغية.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التوكيد لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أغراض التوكيد البلاغية.

المطلب الثالث: التوكيد بالجمل عند المفسرين.

الباب الثاني

التأسيس والتأكيد في الجملة القرآنية

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: التأسيس في تكرار الألفاظ والمعاني.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التأسيس فيما تكرر بلفظه، واختلف في معناه.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التأسيس فيما تكرر بلفظه واختلف في معناه متصلاً.

المطلب الثاني: التأسيس فيما تكرر بلفظه واختلف في معناه منفصلاً.

المبحث الثاني: التأسيس في تكرار جملة بعينها في السورة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التأسيس في تكرار جملة بعينها في السورة متصلاً.

المطلب الثاني: التأسيس في تكرار جملة بعينها في السورة منفصلاً.

المبحث الثالث: التأسيس فيما اختلف لفظه واختلف في معناه.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التأسيس فيما اختلف لفظه واختلف في معناه متصلاً.

المطلب الثاني: التأسيس فيما اختلف لفظه واختلف في معناه منفصلاً.

الفصل الثاني: أثر القرائن في ترجيح الحمل على التأسيس.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: إعادة الضمير إلى ما يفيد التأسيس، والتأسيس بنفي الضد.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إعادة الضمير إلى ما يفيد التأسيس هو الأولى.

المطلب الثاني: نفي الضد إن أمكن حمله على التأسيس فهو الأولى.

المبحث الثاني: التأسيس في التعميم بعد التخصيص، وفي الأخذ بالمجاز.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التأسيس في التعميم بعد التخصيص.

المطلب الثاني: الأخذ بالمجاز إن دل على التأسيس.

الفصل الثالث: التأكيد في الجمل القرآنية.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التوكيد بتكرار الجملة، وبنفي ضدها.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التوكيد بتكرار الجملة.

المطلب الثاني: التوكيد للجملة بنفي ضدها.

المبحث الثاني: التوكيد بالتذييل، وورود الخاص على العام.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التوكيد بالتذييل.

المطلب الثاني: التوكيد بورود الخاص على العام.

الخاتمة:

وقد احتوت على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس:

ذيل الباحث بحثه بفهارس كاشفة لتيسير الوصول إلى ما يبتغيه القارئ والباحث

مما ورد في البحث وقد بلغت ستة فهارس هي:

أ- فهرس الآيات.

ب- فهرس الأحاديث.

ج- فهرس الآثار.

د- فهرس الأعلام.

هـ- فهرس المصادر والمراجع.

و- فهرس الموضوعات.

الباب الأول

تعريف مفردات البحث

وفيه فصلان:

الفصل الأول: تعريف التفسير والجملة القرآنية.

الفصل الثاني: التأسيس والتأكيد عند المفسرين.

الفصل الأول

تعريف التفسير والجملة القرآنية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التفسير: أنواعه، واتجاهاته.

المبحث الثاني: تعريف القرآن، وأقسام الجملة القرآنية.

المبحث الأول

التفسير: أنواعه، واتجاهاته

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التفسير لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أنواع التفسير.

المطلب الثالث: اتجاهات التفسير.

المطلب الأول

تعريف التفسير لغة واصطلاحاً

أولاً: التفسير في اللغة:

تدور معاني التفسير حول الكشف، والإيضاح، والبيان للشيء. قال ابن فارس^(١): «(فَسَرَ) الفاء، والسين، والراء كلمة واحدة تدلُّ على بيان شيءٍ وإيضاحه»^(٢).

وقال ابن منظور^(٣): «(فسر) الفسرُ: البيان، فسَرَ الشيءَ يفسره بالكسر وتفسره بالضم فسراً وفسرةً: أبانه... وقوله عز وجل: ﴿وَاحْسَنَ تَفْسِيراً﴾^(٤)، الفسرُ: كشف المغطى والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، واستفسرته كذا، أي سألته أن يفسره لي»^(٥).

١- هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي، ولد في قرية كرسفة، منطقة رستاق الزهراء، كان أحد أئمة اللغة الأعلام نزيل همذان، كان من الرحالة في طلب العلم، توفي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة للهجرة بالري ودفن بها، انظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد الذهبي ١٧/١٠٣، تحقيق: مجموعة بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، (بدون).
٢- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس ٤/٤٠٢، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٣- هو محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الأفريقي ثم المصري أبو الفضل يعرف بابن منظور، ولد سنة ثلاثين وستمائة، بمصر وقيل في طرابلس، خدم في ديوان الآثار بالقاهرة ثم ولي القضاء في طرابلس ثم رجع إلى مصر ومات فيها سنة إحدى عشرة وسبعمائة وترك من مختصراته بخطه خمسمائة مجلد، انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر، أبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني الشافعي ٢/١٠٧، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد- الهند، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، ط/الثانية، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان.

٤- الفرقان: ٣٢.

٥- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي ١١/١٢٨، دار صادر - بيروت، ط/الأولى.

وعُرِّفَ التفسير بأنه: «الاستبانة، والكشف، والعبارة عن الشيء بلفظ أسهل وأيسر من لفظ الأصل»^(١).

وخلاصة القول أن معنى التفسير في اللغة: هو البيان، والإيضاح، والكشف بلفظ أسهل وأيسر.

ثانياً: التفسير في الاصطلاح:

قال الإمام الزركشي^(٢): «التفسير: هو علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه، وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو، والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ»^(٣).

ويرى الباحث أن الزركشي أطلق الفهم ولم يبين ضوابطه، ولم يصرح بأن السنة مفسرة لا في القول، ولا في الفعل، ولا في التقرير، وكرر بعض المعاني فالنحو والتصريف وعلم البيان كلها داخلة في علم اللغة.

١- لسان العرب لابن منظور ١٢٨/١١.

٢- هو بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الزركشي الشافعي الإمام المصنف، ولد سنة خمس وأربعين وسبعمائة، وأخذ عن الشيخين: جمال الدين الأسنوي، وسراج الدين البلقيني وكان رحالة في طلب العلم، وكثير التصانيف، توفي بمصر ودفن بالقرافة، سنة أربع وتسعين وسبعمائة، انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٤٧٩/١، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد ابن العماد العكري الحنبلي ٣٣٤/٦، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير - دمشق، ط/١٤٠٦هـ.

٣- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ١٣/١، دار إحياء الكتب العربية ط/الأولى ١٣٧٦هـ.

وقال الإمام السيوطي^(١): التفسير: «علم نزول الآيات، وشؤونها، وأفاصيلها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيتها، ومدنيها، ومحكمها، ومتشابهها وناسخها، ومنسوخها، وخاصها، وعامها، ومطلقها، ومقيدها، ومجملها، ومفسرها، وحلالها، وحرامها، ووعدها، ووعيدها، وأمرها، ونهيها، وعبرها، وأمثالها»^(٢).

ويبدو أن الإمام السيوطي ركز على أسباب النزول، وترتيب فروع القرآن من مدني، ومكي، ومحكم، ومتشابه... الخ، ولم يهتم بجانب التفسير المشتمل على الفهم والبيان.

وعُرف علم التفسير أيضاً بأنه: «علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها، الإفرادية، ومعانيها التركيبية، وتفسير الشيء لاحق به ومتم له وجار مجرى بعض أجزاءه، قال أهل البيان: التفسير هو أن يكون في الكلام لبس، وخفاء فيؤتى بما يزيله ويفسره»^(٣).

وهذا التعريف ركز على القراءات بشكل جوهري لكنه أشار إلى إيضاح تلك المدلولات بشكل إفرادي، وتركيبية، فهو قد تناول نوعين من التفسير: تفسير مفردات، وتفسير تراكيب، وعليه فإن هذا التعريف أقرب إلى الصواب من حيث استيعاب معنى التفسير عند أهله.

١- هو عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان الخضيري الأسيوطي ولد في رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة، ونشأ في القاهرة يتيمًا، اشتغل بالعلوم وكان علمًا، توفي ليلة الجمعة لتسعة عشر يوماً خلت من جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة للهجرة، وكان عمره إحدى وستين سنة، انظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ص ١١٠، (بدون)، وطبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأذنوي ص ٣٦٥ - تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط/الأولى ١٩٩٧م.

٢- الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي ص ٤٣٥، تحقيق: سعيد المنذوب، دار الفكر - لبنان ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

٣- كتاب الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفومي ص ٢٦٠، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت - ط/ ١٤١٩هـ .

وقال أبو حيان^(١): «التفسير: علم يُبحثُ فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية، والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمت لذلك»^(٢).

والظاهر أن أبا حيان أورد نفس التعريف الذي سبقه، بدون زيادة، ثم قام بشرحه فقال: «فقولنا: علم هو جنس يشمل سائر العلوم، وقولنا: يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هذا هو علم القراءات، وقولنا: ومدلولاتها أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم، وقولنا: وأحكامها الإفرادية، والتركيبية هذا يشمل علم التصريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع، وقولنا: ومعانيها التي تحمل بها حالة التركيب: شمل بقوله التي تحمل عليها ما دلالاته عليه بالحقيقة، وما دلالاته عليه بالمجاز، فإن التركيب قد يقضي بظاهره شيئاً، ويصد عن الحمل على الظاهر صاد فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على الظاهر وهو المجاز، وقولنا: وتتمت لذلك، هو معرفة النسخ، وسبب النزول وقصة توضح بعض ما انبهم في القرآن ونحو ذلك»^(٣).

وخلاصة القول في تعريف التفسير اصطلاحاً: أنه علم يفهم به مراد الله في كتابه المنزل على محمد ﷺ من بيان لمعانيه، واستخراج للحكم والأحكام عبر علوم وضوابط حددها العلماء سيأتي بيانها في أنواع التفسير.

١- محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الإمام أثير الدين الأندلسي الغرناطي، النَّفْزِي، نحويّ عصره ولغويّ ومفسّره، ولد بمطخشارس، مدينة من حاضرة غرناطة سنة أربع وخمسين، وستمائة للهجرة، من تصانيفه: البحر المحيط في التفسير، وغيره، توفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة، انظر: معجم الشيوخ، تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي ص ٤٧٢، تخريج: شمس الدين أبي عبد الله ابن سعد الصالحي الحنبلي، تحقيق: الدكتور بشار عواد- رائد يوسف العنبيكي- مصطفى إسماعيل الأعظمي، دار الغرب الإسلامي، ط/ الأولى ٢٠٠٤م.

٢- البحر المحيط، محمد بن يوسف أبوحيان الأندلسي ١/١٢١، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي معوض، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ط/الأولى ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١م.

٣- المصدر نفسه ١/١٢٢.

وهذا التعريف تحاشى فيه الباحث من الفهم بدون ضوابط، وعن التكرار الذي انتقدناه في تعريف الزركشي، وذكر جانب الفهم والبيان للألفاظ والتراكيب الذي أغفله السيوطي، وذكر العلوم والضوابط التي حددها العلماء إيضاحاً للتعريفين الأخيرين، والله أعلم.

المطلب الثاني

أنواع التفسير

أولاً: التفسير بالمأثور (بالرواية)، وأقسامه:

الفرع الأول: مفهوم التفسير بالمأثور:

المقصود من التفسير بالمأثور: هو تفسير القرآن بالمنقول سواء كان قرآناً أو مأثوراً عن النبي ﷺ، أو عن الصحابة، ومعتمد هذا التفسير هو النقل كتفسير ابن جرير الطبري^(١)، وغيره، وهذه هي إحدى طرق التفسير، قال ابن تيمية^(٢): «فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن؛ فما أجمل في مكان فإنه قد فُسرَ في موضع آخر، وما اختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر فإن أعيانك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له.. وإذا لم نجد التفسير في القرآن، ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدركوا ذلك لما شاهدوه من القرآن.. ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح والعمل الصالح...، وإذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة

١- هو الإمام أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري الإمام الجامع للعلوم المجتهد، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين للهجرة في آمل طبرستان، ورحل إلى بغداد واستقر به المقام بها حتى توفي سنة عشر وثلاثمائة، انظر: طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي ٣/ ١٢٠، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلوة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط/الثانية ١٤١٣هـ.

٢- هو أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، شيخ الإسلام في زمانه وأبرز علمائه، ولد بحرّان سنة إحدى وستين وستمائة للهجرة، ورحل إلى دمشق مع أسرته هرباً من غزو التتار، تلقى العلم حتى آلت إليه الإمامة، وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، انظر: معجم المحدثين للذهبي محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله ص ١١، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق- الطائف، ط/الأولى ١٤٠٨هـ.

فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين»^(١).

وقال الإمام الزركشي: «لِلناظر في القرآن لطلب التفسير مأخذ كثيرة أمهاتها أربعة:

الأول: النقل عن النبي ﷺ، وهذا هو الطراز المعلم لكن يجب الحذر من الضعيف منه والموضوع فإنه كثير.

الثاني: الأخذ بقول الصحابي فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي ﷺ وفي الرجوع إلى قول التابعي روايتان.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة؛ فإن القرآن نزل بلسان عربي مبين، وقد ذكره جماعة منهم: أنس بن مالك، وأحمد بن حنبل.

الرابع: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام، والمقتضب من قوة الشرع، وهذا هو الذي دعا به النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما في قوله: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)^(٢) «^(٣).

ومن خلال كلام ابن تيمية يتضح أن التفسير لكتاب الله تعالى يكون بتفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة ثم بأقوال الصحابة ثم يرجع إلى أقوال كبار التابعين

١- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني ١٣ / ٣٦٣-٣٦٨، تحقيق: أنور الباز، وعامر الجزار، دار الوفاء، ط/ الثانية ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م بتصريف.

٢- قوله ﷺ: (اللهم فقهه في الدين) متفق عليه، في البخاري، باب: وضع الماء عند الخلاء ١/١٤٩، وفي مسلم باب: فضائل الصحابة ٧/١٥٨، وأما قوله: (وعلمه التأويل) فقد أخرجه أحمد في مسند ابن عباس ١/٢٣٥، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة - القاهرة، (بدون)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم، ومصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي ٢/٥٢٠، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة (بدون).

٣- البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/١٥٦-١٦١، بتصريف يسير.

كمجاهد بن جبر^(١)، وهذا هو الذي يسمى بتفسير الرواية.

ومن كلام الزركشي يتبين أن التفسير عنده هو ما جاء تفسيره عن النبي ﷺ، أو نُقل تفسيره عن أحد الصحابة، أو عن تابعي إذا رفعه إلى الصحابي آخذاً بمطلق اللغة، وبمقتضى معنى الكلام، وهذا شامل للتفسير عموماً إلا أنه بيّن في الفقرتين الأولى والثانية سبيل التفسير بالرواية.

ويرى الباحث من كلام الزركشي أيضاً أن معتمد التفسير بالمأثور هو النقل، ويجب أن يكون هذا النقل صحيحاً؛ لأنه حذر من الضعيف، والموضوع إذ لا عبرة به عند جميع المفسرين.

وقد عرّف بعض المعاصرين التفسير بالرواية فقال: «هو ما جاء في القرآن، أو السنة، أو كلام الصحابة، بياناً لمراد الله تعالى»^(٢).

وقيل: «هو ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل، وما نقل عن الرسول ﷺ، وأصحابه، والتابعين مسنداً إلى من قبلهم على الصحيح»^(٣).

وهذان التعريفان الأخيران هما خلاصة كلام الإمام ابن تيمية، وهو الراجح وهو ما سيقوم الباحث بشرحه في أقسام التفسير بالرواية.

١- هو مجاهد بن جبر الإمام أبو الحجاج المخزومي مولا هم المكي المقرئ المفسر الحافظ سمع سعداً وعائشة، وأبا هريرة، وأم هانئ، وعبد الله بن عمر وابن عباس ولزمه مدة، وقرأ عليه القرآن وكان أحد أوعية العلم، روى عنه جمع غفير من التابعين وغيرهم، توفي سنة ثلاث ومائة وقد بلغ ثلاثاً وثمانين سنة، انظر: تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ١/ ٩٣، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية- بيروت ط/ الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٢- التبيين في علوم القرآن، محمد بن علي الصابوني ص ٧٥، دار الإرشاد- بيروت، ط/ الأولى ١٣٩٠هـ.

٣- علوم القرآن الكريم ص ٧٥، د/ نور الدين عترة، دمشق- الصباح، ط/ السادسة ١٤١٦هـ.

الفرع الثاني: أقسام التفسير بالرواية:

مما سبق يمكننا أن نقسم التفسير بالرواية إلى الأقسام الآتية:

١ - تفسير القرآن بالقرآن:

ومثال هذا القسم قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾^(١)، جاء مفسراً في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالِدَمُّ وَالْحَمُّ الْخَنزِيرُ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْفُودَةُ وَالْمَتْرَدِيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقُ﴾^(٢).

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ﴾^(٣)، جاء مفسراً في قوله تعالى:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٤).

٢ - تفسير القرآن بالسنة:

ومثال ذلك ما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٥)، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّنَا لَمْ يَظْلَمْ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الشَّرِكُ أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ، وَهُوَ يَعِظُهُ، يَبْنِي لَكَ شُرَكَاءَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٦)»^(٧).

١ - المائدة: ١.

٢ - المائدة: ٣.

٣ - الدخان: ٣.

٤ - القدر: ١.

٥ - الأنعام: ٨٢.

٦ - لقمان: ١٣.

٧ - البخاري مع الفتح، باب: لا تشرك بالله ٨ / ٦٥١، مكتبة دار السلام، ط/الأولى ١٤١٨هـ، ومسلم مع

مع شرح النووي، باب: صدق الإيمان ١ / ٨٠، برقم (٣٢٣)، دار المعرفة، ط/ الثانية ١٤١٥ هـ.

وفسر النبي ﷺ الصلاة الوسطى بصلاة العصر، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حَبَسَ الْمُشْرِكُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ صَلَاةِ الْعَصْرِ حَتَّى احْمَرَّتِ الشَّمْسُ أَوْ اصْفَرَّتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى صَلَاةِ الْعَصْرِ مَلَأَ اللَّهُ أَجْوَاهَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا»^(١).

٣- تفسير القرآن بقول الصحابي:

الصحابة رضوان الله عليهم عايشوا التنزيل، وعرفوا بجملتهم في ماذا أنزلت الآيات، وأعانهم على ذلك أن القرآن نزل إليهم منجماً، ولم ينزل دفعة واحدة، ليكون أرسخ للفهم، وأسهل في الامتثال والتطبيق.

ومثال ذلك تفسير ابن عباس لسورة النصر، وأنها علامة أجل النبي ﷺ، فعن ابن عباس قال: «كان عمر يُدْخِنِي مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الْفَتَى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما رأيتك دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(٢) حتى ختم السورة؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا جاء نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، فقال لي: يا ابن عباس أكذلك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه به ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(٣): فتح مكة، فذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾^(٤)، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم»^(٥).

١ - البخاري مع الفتح، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة ٦/ ٨٩، برقم (٢٩٣١)، ومسلم

مع شرح النووي باب: الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر ٥/ ١٢٩، برقم (١٤٥٨).

٢ - النصر: ١.

٣ - النصر: ١.

٤ - النصر: ٣.

٥ - البخاري مع الفتح، باب قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ٨/ ٩١٩.

٤ - تفسير القرآن بقول التابعي:

اختلف العلماء في تفسير التابعي هل هو من المأثور أم من التفسير بالرأي؟ بمعنى هل نحملة على أنه منقول عن الصحابة رضوان الله عليهم اللذين - عايشوا التنزيل - أم باجتهادٍ منهم، قال ابن تيمية: «وقال شعبة بن الحجاج^(١): أقوال التابعين في الفروع ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير؟! يعني: أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يُرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض، ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن، أو السنة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك»^(٢).

ولو رتب ابن تيمية الرجوع إلى لغة القرآن، والسنة، ثم إلى أقوال الصحابة، ثم إلى عموم لغة العرب لكان خيراً من التخيير في الرجوع عند اختلاف أقوال التابعين.

قال محمد الزرقاني^(٣): «أما ما ينقل عن التابعين ففيه خلاف بين العلماء: منهم من اعتبره من المأثور؛ لأنهم تلقوه من الصحابة غالباً، ومنهم من قال: إنه من

١- هو شعبة بن الحجاج بن الورد الواسطي، أبو بسطام الأزدي العتكي، مولاهم، عالم أهل البصرة في زمانه، وأمير المؤمنين في الحديث، سكن البصرة، ورأى الحسن وسمع منه مسائل، وروى عن أنس وابن سيرين وغيرهم، ولد سنة اثنتين وثمانين، وتوفي سنة ستين ومائة للهجرة، وروى له الجماعة، انظر: الوافي بالوفيات، أبي الصفاء صلاح الدين خليل بن أيبك الألبكي الصفدي ٥ / ٢٠٦، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركبي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢- مقدمة التفسير، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني ص ٤٢، دار مكتبة الحياة - لبنان، ط/ ١٤٩٠هـ.

٣- هو محمد عبد العظيم الزرقاني، من علماء الأزهر بمصر، تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرساً لعلوم القرآن والحديث، وتوفي بالقاهرة عام سبع وستين وثلاثمائة وألف للهجرة - الموافق ثمان وأربعين وتسعمائة وألف ميلادية، انظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ٦ / ٢١٠، دار العلم للملايين، ط/ الخامسة عشر ٢٠٠٢ م.

التفسير بالرأى، وفي تفسير ابن جرير الطبري كثيرٌ من النقول عن الصحابة والتابعين في بيان القرآن الكريم»^(١).

وقيل: «وإنما أدرجنا في التفسير بالمأثور ما رُوِيَ عن التابعين - وإن كان فيه خلاف: هل هو من قبيل المأثور أو من قبيل الرأى - لأننا وجدنا كتب التفسير بالمأثور، كتفسير ابن جرير الطبري وغيره، لم تقتصر على ما رُوِيَ عن النبي ﷺ وما رُوِيَ عن أصحابه، بل ضمت إلى ذلك ما نُقِلَ عن التابعين في التفسير»^(٢).

ومن خلال صنيع ابن جرير الطبري وغيره من المفسرين، يتبين أن قول التابعين يعتبر من التفسير بالمأثور لقربهم من الذين شهدوا الوحي وتلقوا عنهم، خلافاً لقول ابن تيمية، ومن أهم مؤلفات التفسير بالمأثور:

١ - جامع البيان في تأويل آي القرآن، للإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري.

٢ - تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ ابن كثير البصري^(٣).

٣ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي.

١ - مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد الزرقاني ١٢/٢، دار الفكر - بيروت، ط/الأولى ١٩٩٦م.

٢ - التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي ١/ ١٣٩، مكتبة وهبة - مصر، ط/الأولى ١٤٠٩هـ.

٣ - هو الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء البصري ثم الدمشقي، فقيه مفسر مؤرخ، ولد سنة سبعمائة للهجرة، وتوفى سنة أربع وسبعين وسبعمائة، انظر: معجم المحدثين للذهبي ص ٤١، والمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، جمال الدين يوسف بن عبدالله، الملقب ابن تغري بردي ١/ ١٧٧، (بدون).

ثانياً: التفسير بالدراية وحكمه:

الفرع الأول: معنى التفسير بالدراية:

مدار التفسير بالدراية قائم على الاجتهاد، وإعمال النظر اعتماداً على علوم اللغة، وأصول الدين، والفقه ما لم يعارض المأثور وإلا اعتبر فاسداً. قال أبو محمد البغوي^(١): «هو صرف الآية إلى معنى محتمل موافق لما قبلها، وما بعدها، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط»^(٢).

وقال الزركشي بعد أن ساق كلام البغوي: «قالوا وهذا غير محذور على العلماء بالتفسير وقد رخص فيه أهل العلم؛ وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٣)، قيل: هو الرجل يحمل في الحرب على مائة رجل، وقيل: هو الذي يقنط من رحمة الله، وقيل: الذي يمسك عن النفقة، وقيل: هو الذي ينفق الخبيث من ماله، وقيل: الذي يتصدق بماله كله ثم يتكف الناس، ولكلٍ منه مخرج»^(٤).

والمراد بالدراية في التفسير الآتي:

قال محمد الزرقاني: «المراد بالرأي هنا الاجتهاد، فإن كان الاجتهاد مَوْفَقاً- أي مستنداً إلى ما يجب الاستناد إليه- بعيداً عن الجهالة والضلالة فالتفسير به محمود، وإلا فمذموم»^(٥).

١- أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، البغوي الشافعي، ولد سنة ست وثلاثين وأربعمائة للهجرة صاحب التصانيف، محيي السنة، محدث فقيه مفسر، كان سيدياً إماماً، زاهداً، من مصنفاته: شرح السنة، ومعالم التنزيل، والمصابيح، وغيرها، توفي سنة عشر وخمسمائة للهجرة، انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ط/ الأولى ١٩٩٤م.

٢- معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ٤٦/١، تحقيق: محمد النمر، وعثمان جمعة، وسليمان الحرش، دار طيبة، ط/ الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٣- البقرة: ١٩٥.

٤- البرهان في علوم القرآن للزركشي ١٥٠/٢.

٥- مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ٤٩/٢.

وقيل: «هو القول في القرآن بالاجتهاد المبني على أصول صحيحة، وقواعد سليمة متبعة يجب أن يأخذ بها من أراد الخوض في تفسير الكتاب، أو التصدي لبيان معانيه»^(١).

وقيل: «هو تفسير القرآن بالاجتهاد اعتماداً على الأدوات التي يحتاج إليها المفسر، وهي علم اللغة العربية، وعلم النحو، والصرف، والاشتقاق، وعلوم البلاغة وعلم القراءات، وعلم أصول الدين، وعلم أصول الفقه، وعلم القصص، وعلم الموهبة^(٢)، والأحاديث المبيّنة للتفسير، مثل أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ»^(٣).

والخلاصة: أن تفسير الدراية: هو تفسير القرآن وفقاً لقواعد صحيحة من اللغة، بحيث لا يخالف نصاً من الرواية الصحيحة، ولا أصلاً من الأصول الشرعية.

وعليه فإن تفسير الدراية يشمل عدة اتجاهات، سأذكر بعضها في المطلب التالي مع التركيز على التفسير البلاغي، وأهميته؛ لأن موضوعنا في هذه الدراسة متعلق به، كونها ستتناول الجملة القرآنية من ناحية التأسيس والتأكيد، وأثر ذلك على معنى الآية القرآنية.

الفرع الثاني: حكم التفسير بالدراية:

اختلف العلماء في جواز التفسير بالدراية إلى قولين:

الأول: عدم جواز تعاطي تفسير شيء من القرآن، وإن كان عالماً أديباً متسعاً في معرفة الأدلة، والفقه، والنحو، والأخبار، والآثار، وليس له أن ينتهي إلا إلى ما روي عن النبي ﷺ، أو إلى صحابته الآخذين عنه، ومن أخذ عنهم من التابعين.

الثاني: جواز تفسير القرآن بالدراية، ولكن بشروط كما سيأتي.

١- التبيان في علوم القرآن للصابوني ص ٧٨.

٢- الموهبة: غدير ماءٍ صغيرٍ وقيل نُقْرَةٌ في الجبل يستنقع فيها الماء، وتطلق على العطية والهبة، انظر: لسان العرب ١/٨٠٣. والمراد بالموهبة هنا من أعطاه الله ملكة يتذوق بها الألفاظ والمعاني فيفسرها.

٣- علوم القرآن الكريم لنور الدين عترة ص ٧٥.

فمن ذهب إلى عدم جواز التفسير بالرأي استدلالاً بالآتي:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»^(١).

وفي رواية أخرى: «ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»^(٢).

٢- ما روي عن بعض الصحابة، وبعض التابعين من التخرج في تفسير القرآن، فمن ذلك ما ورد عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه سُئِلَ عن تفسير حرف من القرآن فقال: «أي سماء تظلني؟ وأي أرض تقلني؟ وأين أذهب؟ وكيف أصنع إذا قلت في حرف من كتاب الله بغير ما أراد الله؟! وفي رواية: "إذا قلت في كتاب الله بما لا أعلم"»^(٣).

١- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي السلمي ٢٠٠/٥، باب: الذي يفسر القرآن برأيه، تحقيق:

أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي- بيروت، وسنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني ٢٥٨/٣، باب: الكلام في كتاب الله بغير علم، دار الكتاب العربي- بيروت، (بدون).

٢- رواه الترمذي ١٩٩/٥، وقال: حديث حسن، قال الألباني: وفيه نظر؛ ففي سننه عبد الأعلى أبو عامر

الثعلبي فقد أورده الذهبي في "الضعفاء"، وقال: "ضعفه أحمد وأبو زرعة"، وقال الحافظ في التقریب:

"صدوق، يهيم"، وفي سند الترمذي سفيان بن وكيع، لكنه قد توبع من جماعة، ولذلك قال المناوي:

"رمز المصنف لحسنه، اغتراراً بالترمذي، قال ابن القطان: ينبغي أن يضعف، إذ فيه سفيان بن

وكيع، وقال أبو زرعة: متهم بالكذب، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد ناصر

الدين بن الحاج نوح الألباني ٢٦٥/٤، دار المعارف- الرياض، ط/الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م،

وأخرجه أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني في المسند ١/ ٢٦٩ و ٢٩٣، وأخرجه أبو يعلى في

مسنده، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي ١٢٦/ ٢، تحقيق: حسين سليم أسد، دار

المأمون للتراث - دمشق، ط/ الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٣- المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، باب: من كره أن

يفسر القرآن ١٢٦/٦، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد- الرياض، ط/ الأولى ١٤٠٩هـ.

٣- ما ورد عن عدد من التابعين التمتع من التفسير بالرأي^(١).

وقد ناقش المجيزون للتفسير بالرأي هذه الأدلة فقالوا:

أما الحديث: ففي صحته وثبوته نظر؛ فقد قال الترمذي^(٢) بعد أن رواه: هكذا روي عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ، وغيرهم أنهم شددوا في أن يُفسر القرآن بغير علم، وأما الذي روي عن مجاهد وقتادة^(٣) وغيرهما من أهل العلم أنهم فسروا القرآن فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن أو فسروه بغير علم، أو من قبل أنفسهم، وقد روي عنهم ما يدل على ما قلنا - أنهم لم يقولوا من قبل أنفسهم بغير علم - وقد

١- منهم:

أ- سعيد بن المسيب وقد كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال: "أنا لا أقول في القرآن شيئاً"، وكان سعيد إذا سئل عن الحلال والحرام تكلم، وإذا سئل عن تفسير آية من القرآن سكت، وكان لم يسمع شيئاً. انظر: فضائل القرآن للقاسم بن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام البيهقي ٢/٢٥٧، تحقيق: مروان العطية - محسن خرابية - وفاء تقي الدين، دار ابن كثير - دمشق، ط/ ١٤٢٠ هـ.

ب- الإمام الشعبي قال: (ثلاث لا أقول فيهن حتى أموت): القرآن والروح والرؤى، انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري ١/٨٧، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط/ الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

ج- محمد بن سيرين قال: سألت عبيدة: يعني السلماني عن آية من القرآن فقال: "ذهب الذين كانوا يعلمون فيما أنزل القرآن، فاتق الله وعليك بالسداد"، انظر: مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ١٧٩.

د- ما روي عن مسروق: أنه قال: "اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله"، انظر: مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني ٢/٣٢٠، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، ط/ الثالثة ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.

٢- هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمی الحافظ أبو عيسى الترمذي الضرير مصنف الكتاب الجامع، ولد سنة بضع ومائتين، أخذ علم الحديث عن أبي عبد الله البخاري، وروى عنه حماد بن شاكر وآخرون، وكان ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر، توفي ثالث عشر رجب بترمز سنة تسع وسبعين ومائتين وقيل: خمس وسبعين، انظر: الوافي بالوفيات ٢/ ٥٤، وفیات الأعيان ٤/ ٢٧٨.

٣- هو قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز البصري، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين أبو الخطاب السدوسي البصري الضرير الأكمه، مات بواسط في الطاعون، سنة ثمانى عشرة ومائة للهجرة، انظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٩.

تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم (١) «(٢)».

وقد ذكر الإمام السيوطي التفسير بالرأي المحرم بقوله: «وجملة ما تحصل في معنى حديث التفسير بالرأي خمسة أقوال:

أحدها: التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير.

الثاني: تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله.

الثالث: التفسير المقرر للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً.

الرابع: التفسير بأن مراد الله كذا على القطع من غير دليل.

الخامس: التفسير بالاستحسان والهوى» (٣).

وعليه فإن التفسير المذموم المردود هو التفسير بالرأي المحرم الذي ذكره الإمام السيوطي، وهذا النوع من التفسير كثيراً ما يشتمل على المرويات الواهية، والباطلة.

«أما التفسير المقبول فهو التفسير المبني على المعرفة بالعلوم اللغوية، والقواعد الشرعية، والأصولية، وعلم السنن، والأحاديث، ولا يعارض نقلاً صحيحاً، ولا عقلاً سليماً، ولا علماً يقيناً ثابتاً مستقراً، مع بذل غاية الوسع في البحث، والاجتهاد والمبالغة في تحري الحق والصواب، وتجريد النفس من الهوى» (٤)، وهو

١- هو سهيل بن أبي حزم القطيعي ضعيف، وقد ضعفه الجمهور، قال ابن حبان: يتفرد عن الثقات بما لا يشبه حديث الأئبات"، انظر: المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، محمد بن حبان ابن أحمد بن أبي حاتم التميمي البستي ٣٩٠/١، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي - حلب، ط/الأولى ١٣٩٦هـ.

٢- سنن الترمذي ٢٠/٥، تحقيق: أحمد شاكر، ومذيل بحكم الألباني على الأحاديث، دار الكتاب العربي - بيروت، (بدون).

٣- الإتيان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ص ٢٢٠، بتصريف.

٤- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، د/ محمد بن محمد أبو شهبة ص ٩٨، مكتبة السنة ط/الرابعة ١٤٠٨هـ، بتصريف يسير.

الحق وعليه أكثر السلف^(١)؛ لأن ما كان مخالفاً لنص من الكتاب أو السنة فهو فاسد الاعتبار، كما أن ما كان متكلفاً غير مبني على الاجتهاد المستكمل للشروط يُعد عبثاً.

واختلف العلماء في تسمية التفسير بالرأي، هل يسمى تفسيراً أم يسمى تأويلاً^(٢)؟

والذي رجحه الزركشي أن هناك فرقاً بين التأويل والتفسير وأنها ليسا بمعنى واحد، فقال: «ثم قيل التفسير والتأويل واحد بحسب عرف الاستعمال والصحيح تغايرهما»^(٣)، وقال في موضع آخر: «وكأن السبب في اصطلاح بعضهم على التفرقة بين التفسير والتأويل التمييز بين المنقول والمستنبط ليحمل على الاعتماد في المنقول وعلى النظر في المستنبط تجويزاً له وازدياداً»^(٤).

١- منهم كثير من الصحابة رضي الله عنهم كالإمام علي، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأنس، وأبي هريرة، وغيرهم، فلولا أن تفسير القرآن جائز لمن تأهل له لما فعلوه؛ لأنهم كانوا أشد الناس ورعاً، وتقوى، ووقفاً عند حدود الله، كما ورد تفسير القرآن عن كثير من خيار التابعين، كسعيد بن جبيرة، ومجاهد بن جبر، وعكرمة، وقتادة والحسن البصري، ومسروق، والشعبي، وغيرهم، مما يدل على أن من امتنع منهم من تفسير القرآن إنما كان زيادة احتياط، ومبالغة في التورع، انظر: أبجد العلوم الوشي المرقوم لصديق بن حسن القنوجي ١٤١ / ٢، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٧٨م.

٢- قال صديق حسن خان: واختلف في التفسير والتأويل فقال أبو عبيد وطائفة: هما بمعنى وقد أنكر ذلك قوم، وقال الراغب: التفسير أعم من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، وقيل: التفسير: بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهاً واحداً، والتأويل: توجيه لفظ متوجه إلى معانٍ مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة، وقال الماتريدي: التفسير: القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله سبحانه وتعالى أنه عنى باللفظ هذا، والتأويل: ترجيح أحد المحتملات بدون القطع، وقال أبو طالب الثعلبي: التأويل: إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير: إخبار عن دليل المراد، وقال البغوي: التفسير بالرأي: هو صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وبعدها، تحتمل الآية، غير مخالف للكتاب والسنة، من طريق الاستنباط. انظر: أبجد العلوم ١٤١/٢، ١٤٢.

٣- البرهان في علوم القرآن للزركشي ١٤٩/٢.

٤- المصدر نفسه ١٧٢/٢.

وقال محمد حسين الذهبي: « والذي تميل إليه النفس أن التفسير ما كان راجعاً إلى الرواية، والتأويل ما كان راجعاً إلى الدراية؛ وذلك لأن التفسير معناه الكشف والبيان عن مراد الله تعالى لا يجزم به إلا إذا ورد عن رسول الله ﷺ أو عن بعض أصحابه الذين شهدوا نزول الوحي، وعلموا ما أحاط به من حوادث ووقائع وخالطوا رسول الله ﷺ ورجعوا إليه فيما أشكل عليهم من معاني القرآن الكريم.

وأما التأويل فملحوظ فيه ترجيح أحد احتمالات اللفظ بالدليل، والترجيح يعتمد على الاجتهاد، ويتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب واستنباط المعاني من كل ذلك»^(١).

والذي يراه الباحث هو ما رجحه الأكثر^(٢) أن التفسير مغاير للتأويل، وأن تفسير الدراية «الرأي» هو التأويل؛ وذلك ليحصل التمييز في التفسير بالمأثور، والاجتهاد في التفسير بالرأي، ويكون الاعتماد على التفسير بالمأثور، والنظر في المستنبط، ثم إن التفسير بالمأثور مقدم على التفسير بالرأي عند التعارض، بل يعد التفسير بالرأي في مقابل النص فاسد الاعتبار، ولا مشاحة في الاصطلاح إذا عرف المعنى، ومن أهم كتب التفسير بالرأي:
أ- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي^(٣).

١- التفسير والمفسرون ١/١٦.

٢- منهم: الحسين بن مسعود البغوي في معالم التنزيل ١/٤٦، والزركشي ٢/١٤٩، والأصفهاني في مفردات القرآن ٢/١٩٢، ومحمد الذهبي في التفسير والمفسرون ١/١٦.

٣- هو قاضي القضاة أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشافعي، من بلاد فارس صاحب المصنفات وعالم أنرجان، ولي قضاء شيراز، وكان إماماً بارعاً مصنفاً، فريد عصره، ووحيد دهر، أثنى على علمه وفضله غير واحد، من مصنفاته: أنوار التنزيل وأسرار التأويل في التفسير، توفى سنة إحدى وتسعين وستمائة، وقيل: خمس وثمانين، انظر: طبقات المفسرين للسبكي ٨/١٥٥، والمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ٢/٨٣.

- ب- مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي^(١).
- ج- لباب التأويل في معاني التنزيل للعلامة علاء الدين البغدادي الملقب بالخازن^(٢).
- د- البحر المحيط لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي.

١- هو أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي أحد الزهاد والأئمة المعبرين، وصاحب التصانيف المعبرة في الفقه، والأصول، وغيرهما، منها: مدارك التنزيل في تفسير القرآن، وكنز الدقائق، توفي سنة إحدى وسبعمائة، انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ١/١٦٨.

٢- هو العلامة علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الشيعي البغدادي الشافعي عرف بالخازن، ولد في بغداد سنة ثمان وسبعين وستمائة، سمع من علمائها ثم انتقل إلى دمشق واستقر بها متعلماً ثم معلماً ومات بها سنة إحدى وأربعين وسبعمائة. انظر: الوافي بالوفيات ١/ ٣٤.

المطلب الثالث

اتجاهات التفسير

الاتجاه اللغوي:

«هو التفسير الذي يُبنى على قواعد نحوية أو بلاغية، فإن ساعده السياق قُبِلَ، وإلا أعرضنا عنه، وأخذنا بما يصححه النظر، ويقويه الدليل»^(١).

ويمكن أن نعرفه بأنه: الرجوع في تفسير القرآن إلى المعنى العربي الذي استعملته العرب، ويكون ذلك عند عدم النص الشرعي الذي ينقل المعنى اللغوي إلى معنى آخر.

والتفسير اللغوي على قسمين:

«الأول: أن لا يحتمل اللفظ إلا معنى واحداً، وهذا ما لا يقع فيه خلاف، وهو أشبه بأن يجعل من القسم الذي طريقه السماع لا الاجتهاد، لعدم الحاجة لإعمال الرأي فيه مطلقاً.

الثاني: ما يحتمل أكثر من معنى، والسياق محتمل لها جميعها، ففي مثل هذا يكون التميّز وإعمال الرأي اعتماداً على المعنى اللغوي، ومثال ذلك: تفسير قوله تعالى: ﴿خَتَمَهُ مِسْكَ﴾^(٢)، قال الطبري: «فقال بعضهم: ممزوج مخلوط، مزاجه وخلطه مسك، وعن عبد الله ﴿مَخْتُومٌ﴾ قال: ممزوج، ﴿خَتَمُهُ مِسْكَ﴾ قال: طعمه وريحه، وقيل: أن آخر شرابهم يختم بمسك يجعل فيه»^(٣) «^(٤).

ولعله يقصد بالتمييز أي: بالاجتهاد، وإعمال الرأي اعتماداً على المعنى اللغوي.

١ - التفسير والمفسرون للذهبي ٢ / ٣٩٨.

٢ - المطففين: ٢٦.

٣ - جامع البيان للطبري ٢٤ / ٢٩٦.

٤ - مصادر التفسير، مساعد الطيار ص ٢.

ووجه الاستشهاد هنا إعمال الرأي، وفقاً للمعنى اللغوي لقوله تعالى: ﴿خَتَمَهُ مِسْكَ﴾ فكان في اللغة ثلاثة معانٍ هي:

١- خِلطه مسك^(١). ٢- طعمه وريحه مسك^(٢). ٣- آخره يختم بمسك يجعل فيه^(٣). وفي هذا المثال، وكل ما هو على شاكلته يمكن إعمال الرأي في اختيار أحد المعاني، ويمكن حمل اللفظ أو الجملة على جميع المعاني إن كانت اللغة والسياق يحتمله، والله الموفق.

الاتجاه العلمي:

«هو التفسير الذي يُحَكِّم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها»^(٤).

ولعل الإمام الغزالي^(٥) أكثر من تحدث عن هذا النوع من التفسير بمعلومات عصره، وما حصل عليه من كتب الفلسفة، وأحياناً بلفقات تأملية وفقاً للآيات، وعندما عقد أول مؤتمر للإعجاز العلمي في إسلام آباد عام ١٩٨٧م، عرف التفسير العلمي بأنه:

١- لسان العرب لابن منظور ١٦٣/١٢.

٢- المصدر نفسه ١٦٣/١٢.

٣- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ١٥٦/٥، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط/٢٠٠٠م.

٤- التفسير والمفسرون للذهبي ٢٨/٣، ٢٩.

٥- هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي حجة الإسلام الفقيه الشافعي، لم يكن في آخر عصره مثله، اختلف إلى دروس العلم وجدّ في الاشتغال حتى تخرج في مدة قريبة وصار من الأعيان واشتهر اسمه وسار بذكره الركبان، وكانت ولادته في سنة خمسين وأربع مائة بالطابران وتوفي رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٣، والوفاي بالوفيات ١/ ١١٩، ١٢٠.

«الكشف عن معاني الآية أو الحديث في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية»^(١).

«والتفسير العلمي يختلف عن الإعجاز العلمي؛ لأن الإعجاز لا يكون إلا فيما تحقق ثبوته، ولذلك يعرف الإعجاز بأنه: إخبار القرآن الكريم، أو السنة النبوية، بحقيقة أثبتتها العلم التجريبي أخيراً، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ، وهكذا يظهر اشتغال القرآن، أو الحديث على الحقيقة الكونية، التي يؤول إليها معنى الآية أو الحديث، ويشاهد الناس مصداقها في الكون، فيستقر عندها التفسير، ويعلم بها التأويل، كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(٢)، وقد تتجلى مشاهد أخرى كونية عبر القرون، تزيد المعنى المستقر وضوحاً، وعمقاً، وشمولاً؛ لأن الرسول ﷺ قد أوتى جوامع الكلم»^(٣)، وتكمن أهمية التفسير العلمي المنتهت من الحقائق التي أثبتتها العلم التجريبي بالآتي:

«أ- تفسير القرآن للمسلمين تفسيراً يشبع حاجتهم من الثقافة الكونية، ويغرس اليقين في قلوبهم بصدق ما أخبرهم به القرآن الكريم.

ب- إدراك وجوه جديدة للإعجاز في القرآن من ناحية ما يحويه أو يرمز إليه من علوم الكون والاجتماع.

ج- دفع مزاعم القائلين بأن هناك عداوة بين العلم والدين.

د- استمالة غير المسلمين إلى الإسلام من هذا الطريق العلمي الذي يخضعون له دون سواه في هذه الأيام»^(٤)؛ ولكن شريطة أن يكون بدون تعسف للآيات والمعاني.

١- تأصيل الإعجاز العلمي، عبد المجيد بن عزيز الزنداني ص ١٤، مطبوعات هيئة الإعجاز العلمي - مكة المكرمة (بدون).

٢- الأنعام: ٦٧.

٣- تأصيل الإعجاز العلمي للزنداني ص ١٥.

٤- مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ٢ / ١٠٠.

الاتجاه الموضوعي:

«وهذا اللون من التفسير يتناول موضوعاً واحداً في القرآن، يعتمد المفسر فيه إلى ذكر الآيات المتعلقة بهذا الموضوع، ويشرحها ويفصل القول فيها»^(١). ومثال ذلك أن يعتمد المفسر إلى جمع آيات التقوى من جميع سور القرآن ثم يقوم بتفسيرها في منظومة واحدة.

الاتجاه الفقهي:

«هو التفسير الذي يولي موضوع الأحكام الفقهية عناية خاصة»^(٢).

ومن الأمثلة على ذلك:

من الحنفية: ألف أبو بكر أحمد بن عليّ الرازي المعروف بالجصاص والمتوفى سنة سبعين وثلاثمائة من الهجرة كتاباً سماه أحكام القرآن تناول فيه الأحكام الفقهية مرجحاً مذهب الحنفية.

ومن المالكية: ألف أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله الملقب بابن العربي المتوفى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة من الهجرة كتابه أحكام القرآن، معتمداً على المذهب المالكي، وكان متحرراً قد بلغ رتبة الاجتهاد كما في ترجمته.

ومن الشافعية: ألف أبو الحسن عماد الدين، عليّ بن محمد بن عليّ الطبري المعروف بالكيا الهراسي المتوفى سنة أربع وخمسمائة كتابه أحكام القرآن، وهو كسابقه يخرج عن المذهب إذا لاح له الدليل.

وهكذا بقية المذاهب حتى مذاهب الفرق المنحرفة التي تتعسف أحكام القرآن للتدليل على مذاهبها الباطلة، كالشيعة الاثنا عشرية، والباطنية، وغيرها، فكل طائفة جعلت لها تفسيراً يتماشى مع مذهبها، وفكرها.

١- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، محمد بن لطف الصباغ ١٥/٢، رسالة دكتوراه .

٢- المصدر نفسه.

الاتجاه البلاغي:

أولاً: تعريف التفسير البلاغي:

«هو علم يعرف به أحوال الألفاظ، والجمل القرآنية التي بها يطابق مقتضى الحال، وفقاً للغرض الذي سيق له، مع إبراز سهولة المعنى، ومحاسن الألفاظ؛ ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في فهم كلام الله.

أو: هو القول في القرآن بالاجتهاد المبني على أصول صحيحة، وقواعد سليمة متبعة تعنى بأسرار التراكيب لنظم القرآن بما يبين المعنى بحسب مقتضى الحال، وتظهر من خلاله فصاحة القرآن التي تحدى الله بها العرب»^(١).

ومن أعلام هذا الفن الإمام عبد القاهر الجرجاني^(٢)، فقد ألف كتاباً سماه إعجاز القرآن الصغير، وكتاباً آخر سماه إعجاز القرآن الكبير، وغيرها من المؤلفات، والعلامة محمود الزمخشري في تفسيره المسمى بالكشاف، ولولا اعتزاله وانتصاره في كتابه للمعتزلة لكان كتاباً حافلاً، ومن المعاصرين الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتوير فقد جمع ما لم يجمعه غيره مستفيداً من من سبقه كثيراً، وهذا الاتجاه في التفسير تابع للتفسير بالدراية وسيسلط الباحث الأضواء عليه؛ كون هذه الدراسة التي نحن بصددتها هي في التفسير البلاغي.

١- هذان التعريفان استنبطهما الباحث من خلال تعريف علم البلاغة، ومعنى الفصاحة، ومن خلال علوم البلاغة الثلاثة: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع؛ لأنني لم أجد من عرفه على رغم طول فترة البحث، انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، أبو عبدالله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني ص ٤٩، تحقيق الخفاجي، دار إحياء العلوم - بيروت، ط/ الرابعة، ١٩٩٨م.

٢- هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر، واضع أصول البلاغة، كان من أئمة اللغة، من أهل جرجان (بين طبرستان وخراسان) له شعر رقيق، من كتبه: أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، والجمل في النحو، وغيرها، ولد عام أربع مائة للهجرة وتوفى سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٤٩/٥، وشذرات الذهب ٢٤٠/٣.

ثانياً: أهمية التفسير البلاغي:

أهمية التفسير البلاغي كبيرة، لا تكاد تنحصر في مدخل هذا البحث، ولكني سأعرج على بعضها فيما يأتي:

١- الوقوف على معجزة القرآن الكريم البلاغية التي تحدى بها الله تعالى العرب.
قال ابن عاشور: «فإعجاز القرآن متوجه إلى العرب إذ هو معجز لفصحائهم، وخطبائهم، وشعرائهم، مباشرة، ومعجز لعامتهم بواسطة إدراكهم أن عجز مقارعيه عن معارضته مع توفر الدواعي عليه، فهذا برهان ساطع على أنه تجاوز طاقة جميعهم، ثم هو بذلك دليل على صدق المنزّل عليه لدى بقية البشر الذين بلغ إليهم صدى عجز العرب بلوغاً لا يستطيع إنكاره لمعاصريه بتواتر الأخبار، ولمن جاء بعدهم بشواهد التاريخ، كما أنه معجزة مستمرة على تعاقب السنين؛ لأنه قد يدرك إعجازه العقلاء من غير الأمة العربية بواسطة ترجمة معانيه التشريعية، والحكمية والعلمية، والأخلاقية، وهو دليل تفصيلي لأهل تلك المعاني، وإجمالي لمن تبلغه شهادتهم بذلك»^(١).

٢- توجيه التفسير للألفاظ والجمل القرآنية بما يرفع الإشكال ويوضح المعنى.
ومثال ذلك: «لما جلس أبو عبيدة معمر بن المثنى^(٢) لدروس العلم في المسجد جاءه رجل يقول له: إن العرب حين تستعمل أسلوب التشبيه فإنها تشبه مجهولاً

١- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي/١/ ٥٩، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ط/ الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢- معمر بن المثنى التيمي بالولاء، البصري، أبو عبيدة النحوي، من أئمة العلم باللغة والأدب، ولد بالبصرة سنة عشر ومائة، استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد، وقرأ عليه أشياء من كتبه، وكان إياضياً، شعوبياً من حفاظ الحديث، توفي سنة تسع ومائتين للهجرة، انظر: العبر في خبر من غبر، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي/١/ ٢٥٩، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي/١/ ٧٦، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت، ط/ الأولى ١٤٠٧هـ.

بمعلوم حتى يتضح المجهول فما بال القرآن يشبه مجهولاً بمجهول في قوله تعالى عن شجرة الزقوم: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾^(١)، فنحن لم نر طلع الشجرة فهي مجهولة لدينا، ورؤوس الشياطين أيضاً مجهولة لنا حيث لم نر شيطاناً، فكيف وقع هذا في القرآن؟

فرد عليه معمر بأن العرب تكفي بالصورة الذهنية عن الصورة المشاهدة، ورأس الشيطان صورته في الذهن العربي صورة كريهة مخيفة مرعبة، فشبه به شجرة الزقوم، ومن هنا نشأ علم البلاغة لخدمة أساليب القرآن الكريم^(٢).

٣- فهم المعاني القرآنية من خلال معرفة القرائن وسياق النص ولهجات العرب،
فالكلمة الواحدة والجملة الواحدة قد تحمل مدلولين متناقضين تماماً، دون أن تختلف الكلمة في بنائها الداخلي، وإنما الذي تغير هو (السياق) والقرائن المحيطة، فقد يقول الأب لابنه: (افعل كذا) وهو يقصد المعنى الظاهري لهذه الكلمة، وقد يستخدم نفس الكلمة ويقصد بها التهديد، الذي يستطيع اكتشافه من خلال القرائن، وهنا ينقلب معنى (افعل) إلى معنى مناقض تماماً هو (لا تفعل)؛! وهذا هو بالضبط ما ينطبق على القرآن الكريم، فقد يستخدم القرآن صيغة الأمر ويقصد بها مدلولها الظاهري، عندما يقول: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾^(٣)، وقد يقصد بها الإباحة عندما يقول: ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾^(٤) عقيب الحظر في قوله: ﴿ لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ﴾^(٥)، وقد يقصد التهديد عندما يقول: ﴿ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾^(٦)، وقد يقصد التعجيز والتحدي عندما

١- الصافات: ٦٤.

٢- أثر الدرس اللغوي في فهم النص الشرعي، محمد المختار محمد المهدي ص٧، (بدون).

٣- الإسراء: ٧٨.

٤- المائدة: ٢.

٥- المائدة: ٩٥.

٦- الزمر: ١٥.

يقول: ﴿فَأَتُوا سُورَةَ مِّن مِّثْلِهِ﴾^(١)، أو عندما يقول على لسان نبي الله هود ﷺ مخاطباً قومه الكافرين: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾^(٢)، وقد يقصد الاستهزاء عندما يقول الله تعالى في خطابة لبعض أهل جهنم: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾^(٣)، وهكذا وهلم جراً^(٤).

٤- إثراء المعاني للألفاظ والجمل التي ظاهرها التماثل والتشابه.

وتعنى بهذا كتب البلاغة التي تعنى بمقتضيات الأحوال وأسرار التراكيب ومثال ذلك ورود اليأس في القرآن الكريم بمعنى: الإحباط، والقنوط، وعدم الرجاء، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٥)، أي: لا يقنط من رحمة رحمة الله... وقوله: ﴿أُولَئِكَ يَسْأَلُونَ مِن رَّحْمَتِي﴾^(٦)، وقوله: ﴿وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾^(٧)، لكنه قد وردت آية فيها اليأس بمعنى العلم على لهجة من لهجات العرب، دل عليها سياق النص، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِسَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن لَّوِيَشَاءَ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٨)، ومعناها: أفلم يعلم^(٩)، فدل ذلك على أهمية معرفة سياق النص، ولهجات العرب، لتفسير كتاب الله تعالى، وسيأتي الإثراء لمعنى الجمل التي ظاهره التشابه في الباب الثاني مفصلاً، والله الموفق.

١- البقرة: ٢٣.

٢- هود: ٥٥.

٣- الدخان: ٤٩.

٤- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني ص ٤٩، دار إحياء العلوم - بيروت، ط/ الرابعة ١٩٩٨م.

٥- يوسف: ٨٧.

٦- العنكبوت: ٢٣.

٧- فصلت: ٤٩.

٨- الرعد: ٣١.

٩- أثر الدرس اللغوي ص ١٣، بتصرف.

المبحث الثاني

تعريف القرآن وأقسام الجمل القرآنية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القرآن لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الجملة القرآنية وأقسامها.

المطلب الثالث: الوصل والفصل والتكرار في الجمل القرآنية.

المطلب الأول

تعريف القرآن لغة واصطلاحاً

أولاً: تعريف القرآن في اللغة:

القرآن: مصدر للفعل قرأ مرادفٌ للقراءة، بمعنى تلا، وفيه معنى الجمع والضم، قال ابن فارس: «القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على جمع واجتماع، ومنه القرآن كأنه سمي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك»^(١).

«والقرآن أصله من (القرء) بمعنى: الجمع والضم، يقال: قرأت الماء في الحوض، بمعنى: جمعته فيه، يقال: ما قرأت الناقة جنيناً، أي لم تضم رحمها على ولد، وسُمي القرآن قرآناً؛ لأنه يجمع الآيات والسور، ويضم بعضها إلى بعض»^(٢).

«وقيل: القرآن مأخوذ من (قرأ) بمعنى: تلا، وهو مصدر مرادف للقراءة، وقد ورد بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ* فَإِذَا قَرَأْنَهُ فَانْبَعِثْهُ﴾^(٣) أي: قراءته، ومنه قول حسان بن ثابت رضي الله عنه في رثاء عثمان بن عفان رضي الله عنه:
ضحوا بأشمط^(٤) عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً^(٥)
أي: قراءة»^(٦).

١- معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٥/ ٧٨ ، ٧٩ .

٢- لسان العرب لابن منظور ١/ ١٢٨ .

٣- القيامة: ١٧ ، ١٨ .

٤- الشمط: في الرَّجُل شيب اللحية. انظر: لسان العرب، مادة (شمط): ٧ / ٣٣٥ - ٣٣٦ .

٥- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ص١٣٤، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب-بيروت، ط/الأولى ١٩٦٨م.

٦- لسان العرب لابن منظور ١/ ٢٩ .

وقيل: «القرآن على وزن فعلان، كغفران وشكران... وهو مهموز كما في قراءة جمهور القراء، ويقرأ بالتخفيف (قرآن) كما في قراءة ابن كثير»^(١). وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «لفظ القرآن ليس مشتقاً، ولا مهموزاً، وأنه قد ارتجل وجعل علماً للكتاب المنزل، كما أطلق اسم التوراة على كتاب موسى، والإنجيل على كتاب عيسى صلى الله عليهما وسلم»^(٢).

ومما سبق يتضح للباحث أن القرآن لغةً فيه أربعة أقوال:

- ١- أنه وضع علماً على كلام الله المنزل على محمد ﷺ.
- ٢- أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضمته إليه وجمعه.
- ٣- أنه وصف على وزن فعلان وهو مهموز مشتق من القراء بمعنى الجمع.
- ٤- أنه مصدر مرادف للقراءة سمي به المقروء من تسمية المفعول بالمصدر.

والذي يرجحه الباحث أن القرآن مأخوذ من (قرأ) بمعنى: تلا، وهو مصدر مرادف للقراءة يدل على ذلك الآية السابقة- ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحَ قُرْآنَهُ﴾^(٣) أي قراءته - وقوله: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾^(٤)، أي: قراءة الفجر^(٥).

-
- ١- جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء للدكتور/ عبد القيوم عبد الغفور السندي ص ٨ ، (بدون)
 - ٢- مناقب الشافعي، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ١/ ٢٧٦، تحقيق أحمد صقر، مكتبة دار التراث - القاهرة، ط/ ١٩٧١م.
 - ٣- القيامة: ١٧، ١٨.
 - ٤- الإسراء: ٧٨.
 - ٥- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ٢/ ٢٩٨، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط/ الثانية ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

ثانياً: تعريف القرآن في الاصطلاح:

ذكر الإمام السيوطي في الإتقان: «أن القرآن كلام الله المنزل، ثم أخذ في تفصيل معنى الكلام وكيفية التنزيل، وعقد بعد ذلك فصلاً في تواتر نقل القرآن وذكر أن الأمة متعبدة بفهم معانيه، وإقامة حدوده، وحروفه على الصفة المتلقاه، ثم ذكر أن القرآن معجز، وأخذ في تفصيل القدر المعجز منه»^(١).

وعليه فيمكن تلخيص كلامه على مقتضى الحد الجامع المانع فيقال: هو كلام الله المنزل على محمد ﷺ بواسطة جبريل، المتواتر، المعجز، المتعبد بتلاوته وتطبيق أحكامه.

وقال الشوكاني^(٢): «القرآن كلام الله تعالى، المنزل على نبينا محمد ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلاً متواتراً، المتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه»^(٣).

وهذا التعريف مزيد فيه على ما سبق قوله: «المكتوب في المصاحف» وهذا قيد غير لازم، ولا يشترط في إثبات القرآن أن يكون في المصاحف؛ لأن هذا القيد لا يشمل ما كان محفوظاً في الصدور، والكل يسمى قرآناً سواء كان مكتوباً أو محفوظاً. وقيل القرآن: «هو الكلام المعجز، المنزل على النبي ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته»^(٤).

١- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/١٥٨-١٧٠، بتصرف.

٢- هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني، الإمام العلامة الرباني، ولد في هجرة شوكان سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف من الهجرة، تولى منصب قاضي قضاة القطر اليماني، وكان نابذا للتقليد داعياً للاجتهاد، صاحب التصانيف، توفي عام خمسين ومأتين وألف، انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني ٢/٢٠٧، دار المعرفة- بيروت، (بدون). والأعلام للزركلي ٦/٢٩٨.

٣- إرشاد الفحول، محمد بن علي الشوكاني ١/٨٦، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، ط/الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م بتصرف يسير.

٤- مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني ١/١٥.

وقيل القرآن: «هو كلام الله المعجز المنزل على خاتم الأنبياء، والمرسلين محمد ﷺ بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختتم بسورة الناس، والمتحدى بأقصر سورة منه»^(١).

قولهم في التعريف: «كلام» جنس يشمل كل كلام، خصص هذا الجنس بالإضافة إلى لفظ الجلالة ليخرج كل كلام سوى كلام الله، بيد أن كلام الله منه ما هو متعبد بتلاوته، ومنه غير ذلك، فتكون نسبة التخصيص هنا نسبية بالنسبة لما سوى كلام الله، والكلام صفة لله قائمة به، أثبتها ربنا عز وجل لنفسه، بدون تشبيه ولا تكيف ولا تعطيل.

وعُرِّف القرآن في العقيدة الطحاوية بأنه: «كلام الله، منه بدا، بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر»^(٢). وهذا التعريف فيه زيادة تفصيل في جانب، وخلا من قيود مهمة في جانب آخر، فمثلاً قوله: «بالحقيقة»: إما أن تكون صفة كاشفة، أو تأكيداً معنوياً وعلى كلا التقديرين دخولها في التعريف معيب، كما يلاحظ الباحث أن هذا التعريف خلا من وصف القرآن بالمعجز؛ فهل الإعجاز صفة مختصة بكلام الله؟ وهل في الحديث القدسي أو النبوي شيء من الإعجاز فتدخل في التعريف؟ على كلا الأمرين سيخرج غير القرآن من التعريف بقولهم: «المتعبد بتلاوته» أي: بإقامة حروفه وألفاظه، وبأنه لا يجزئ في الصلاة غيره.

١- نحات من علوم القرآن، محمد أحمد معبد ص ١٣، مكتبة طيبة- المدينة المنورة، ط/ الأولى ١٩٨٦م.

٢- شرح العقيدة الطحاوية ٢٥٤/١، القاضي علي بن علي أبي العز الدمشقي، تحقيق عبدالله عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط/ الثانية ١٤٢٠هـ.

وعُرِّفَ كذلك بأنه: «كلام الله تعالى المنزل على محمد ﷺ للبيان، والإعجاز، المجموع بين دفتي المصحف، المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر»^(١).
والخلاصة أن كل التعريفات السابقة تدور في الجملة حول معنى واحد غير أن في بعضها زيادة قيود، وإسهاب، والأصل في الحدود أن تكون جامعة مانعة، وعليه فإن الباحث يرى أن التعريف المختار هو: أن القرآن كلام الله المنزل على محمد ﷺ لفظاً، للبيان، والتحدي، والإعجاز، المتعبد بتلاوته، وبأحكامه، المنقول بالتواتر.

شرح محترزات وقيود التعريف:

قوله: كلام الله: الكلام صفة من صفات الله أثبتها سبحانه لنفسه، وأثبتها له رسوله ﷺ، «فقد كلم سبحانه عبده ورسوله موسى بلا واسطة، بل أسمعته كلامه الذي هو صفته اللائقة بذاته كما شاء وعلى ما أراد، قال الله عز وجل: ﴿تِلْكَ أَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾^(٢)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(٣)، فأكدته بالمصدر مبالغة في البيان والتوضيح»^(٤).

وقوله: «المنزل على محمد ﷺ»: خرج بقوله المنزل: كلام الله الذي استأثر به نفسه سبحانه: قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾^(٥)، وخرج بقوله على محمد ﷺ الكتب السماوية السابقة لنزول القرآن، قَالَ تَعَالَى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾^(٦).

١- اللآليء الحسان في علوم القرآن ص ٩، د/ موسى شاهين لاشين، مطبعة الفجر الجديد، (بدون).

٢- البقرة: ٢٥٣.

٣- النساء: ١٦٤.

٤- معارج القبول بشرح سلم الوصول حافظ بن أحمد بن علي الحكمي ١/ ٢٤٧، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم - الدمام، ط/الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

٥- الكهف: ١٠٩.

٦- الشعراء: ١٩٣، ١٩٤.

وقوله: «لفظاً»: قيدٌ خرج به الحديث القدسي والنبوي، إذ لم ينزل كل واحد منهما لفظاً، وإنما نزل الحديث النبوي معنى على الصحيح، وفي الحديث القدسي خلاف مشهور.

وقوله: «للبيان»: أي: للبيان التشريعي وغيره، وهو من مهام محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(١).

وقوله: «والتحدي»: «إن القرآن قد تحدى الإنس والجن جميعاً، مكيبهم، ومدنيهم، وعربيهم، وعجميهم، أن يأتوا ولو بمثل أقصر سورة من سور القرآن فعجزوا أجمعين»^(٢)، قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٤).

وقوله: «والاعجاز»: «فالقرآن كتاب معجز بكلية وبجزئيته بكل وجوه الإعجاز، وهذا الإعجاز للبشرية كلها هو مقصد من مقاصد إنزال القرآن، إثباتاً لرسالة ونبوة محمد ﷺ، كما أن إعجازه «في فصاحته وبلاغته، وأنباء الغيب، وأخبار الأمم السابقة، وما حواه القرآن من إعجاز علمي، وتشريعي محكم دقيق صالح لكل زمان ومكان»^(٥).

١ - النحل: ٤٤.

٢ - مناهل العرفان في علوم القرآن ١/٢١٨.

٣ - الإسراء: ٨٨.

٤ - البقرة: ٢٣.

٥ - الواضح في علوم القرآن ص ١٦٧، د/ مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب ودار العلوم الإنسانية - دمشق، ط الأولى ١٤١٧هـ.

وقوله: «المتعبد بتلاوته»: الأمور بقراءته في الصلاة، وغيرها، ومتعبد بإقامة ألفاظه، وهذا قيد خرجت به الأحاديث القدسية، وهي المسندة إلى الله عز وجل إن قلنا أنها منزلة من عند الله بألفاظها، والأحاديث النبوية، وإن كانت مما نؤجر على قرأتها، واستخراج الأحكام الشرعية منها؛ ولكن لا يصح القراءة بها في الصلاة، ولا متعبدون بإقامة ألفاظها على الصحيح.

وقوله: «المنقول بالتواتر»: المتواتر هو: ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه^(١)، أي: من النبي ﷺ إلى أصحابه إلى التابعين وهكذا حتى وصل إلينا دون نقص أو تحريف مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿إِنَّا مَحْسُوبُونَ﴾^(٢)، وهذا قيد خرجت به القراءات المنقولة إلينا بطريق الآحاد، والأحاديث القدسية، وهي المسندة إلى الله عز وجل إن قلنا إنها منزلة من عند الله بألفاظها.

وبعد أن أتمنا تعريف القرآن، ومحتززات التعريف، سننتقل إلى تعريف الجملة القرآنية، وأقسامها في المطلب التالي، والله الموفق.

١- الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ٢٦٤/١.

٢- الحجر: ٩.

المطلب الثاني

الجُملة القرآنية وأقسامها

أولاً: تعريف الجملة لغةً واصطلاحاً:

أ- تعريف الجملة لغة:

الجملة في اللغة: لفظ مفرد جمعه جمل، ولمعناها أصلان: الأول: جمع الشيء، واجتماعه، أي: ضد تفرقه، والآخر: جمال الشيء وحسنه.

قال ابن فارس: «(جَمَل) الجيم، والميم، واللام أصلان: أحدهما تَجْمَعُ وَعِظَمَ الخلق، والآخر: حُسْنٌ».

فالأول: قولك: أَجَمَلْتُ الشيءَ، وهذه جُملة الشيء، وأجَمَلْتُهُ حَصَلْتُهُ، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾^(١) - أي هلا أنزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد^(٢) -، والجُمْلُ: هي ما جمع من الحبال والقلوس^(٣)، والأصل الآخر الجَمَال، وهو ضدُّ القبح^(٤).

والأصل الأول الذي ذكره ابن فارس هو المناسب لمقصود البحث، وهو الأصل الذي اشتقت منه الكلمة، كما قال ابن منظور: «الجُمْلَةُ اشتقت من جُمْلَةُ الحَبْلِ، فالحَبْلُ الغليظ يسمى جِمَالَةً؛ لأنها قَوِيٌّ كَثِيرَةٌ جُمِعَتْ فَأُجْمِلَتْ جُمْلَةً»^(٥).

١- الفرقان: 32 .

٢- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد محمود النسفي ٤٤٤/٢، دار الكتاب العربي- بيروت، (بدون).

٣- القلوس: الحبل الغليظ من حبال السفينة، انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ٤٢٨/١ .

٤- معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤٨١ / ١ .

٥- لسان العرب لابن منظور ١٢٨/١١، ومختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ص ١١٩، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، (بدون).

«والجُمْلَةُ: جَمَاعَةُ الشَّيْءِ، وَأَجْمَلَ الشَّيْءَ: جَمَعَهُ عن تفرقة، والجُمْلَةُ جماعة كل شيء بكماله من الحساب»^(١)، وقيل: «الجُمْلَةُ: جماعة كل شيء، ويقال أخذ الشيء جملة، وباعه جملة متجماً لا متفرقاً»^(٢)، وكل هذه التعريفات داخلة في الأصلين اللذين ذكرهما ابن فارس.

ب- تعريف الجملة اصطلاحاً:

التعريف الاصطلاحي للجملة لا يخرج عن الأصل الأول من تعريفه اللغوي، ولكن يقصر المعنى على تجمع الكلمات، فإذا كانت الجملة مفيدة دخل الأصل اللغوي الآخر وهو الجمال؛ لأن الكلام المفيد لا يخلو من لمسة جمالية. قال الإمام عبد القاهر الجرجاني: «الجملة عبارة عن مركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى سواء أفاد كقولك: زيد قائم، أو لم يفد كقولك: إن يكرمني، فإنها جملة لا تفيد إلا بعد مجيء الجواب، فتكون الجملة أعم من الكلام مطلقاً»^(٣). ومن التعريف للجملة يتضح أنها تنقسم إلى قسمين: جملة مفيدة، وجملة غير مفيدة:

فالجملة المفيدة: «هي ما تتركب من كلمتين أو أكثر، ولها معنى مفيد مستقل»^(٤)، وقيل: «هي كلام تام يدل على معنى أقله نسبة شيء إلى شيء إثباتاً أو نفيًا، أو إنشاءً ربطاً بين شيء وشيء آخر يكفي لإنشائه القول مثل أمر التكوين أو الأمر بفعل ما»^(٥).

١- لسان العرب لابن منظور ١٢٨/١١.

٢- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، باب: الجيم ٢٨٣/١ تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

٣- معجم التعريفات للجرجاني ص٧، تحقيق محمد صديق المنشاوي، ط/ دار الفضيحة بالقاهرة (بدون).

٤- النحو الوافي، عباس حسن ١٥/١، دار المعارف، ط/ الخامسة عشرة (بدون).

٥- البلاغة العربية أساسها وعلومها وفنونها ١٤٠/١ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم- دمشق، ط/ الأولى ١٤١٦هـ.

والخلاصة أنه لا بد في الجملة المفيدة من أمرين معاً هما: التركيب، والإفادة المستقلة.

والجملة غير المفيدة هي: الجملة التي فقدت الإسناد أو الرابط بين مكوناتها وقد توجد علاقة إسنادية بين كلمتين أو أكثر، ولكن لا يحصل للسامع فائدة لعدم تمام الكلام.

ونخلص إلى أن الجملة المعتبرة عند البلاغيين والنحاة، «كل كلام اشتمل على مسند ومسند إليه، ورابط معنوي بينهما وهو الإسناد^(١)، وإلا كان الكلام غير مفيد، وقد يوجد في اللفظ ما يدل عليه، كحركة الإعراب، وكضمير الفصل..»^(٢).
وعليه فإن الجملة المعنية ببحثنا هي الجملة المفيدة؛ وذلك لأن جُمَلَ القرآن كلها مفيدة؛ وتامة تدل على معنى مفيد حاصل من التركيب الإسنادي من كلمتين فأكثر وسواء كان ظاهراً أو مقدرًا.

ثانياً: صفات الجملة القرآنية وتعريفها الإضافي:

الجملة القرآنية: هي كلام الله تعالى المعجز في فصاحته، وبلاغته، وتراكيبه وعلومه؛ وذلك لأنها صيغت صياغة عربية في غاية البيان والإيضاح، روعي فيها التقديم والتأخير، وما يقتضيه المبنى من المعنى، وتتصف «بالآتي:

١- التلاؤم والاتساق بين كلماتها، وتلاحق حركتها وسكناتها بنظم بديع يستريح له السمع والصوت والنطق»^(٣)، ويتكون من انتظامها نسق جميل ينطوي على إيقاع رائع، ما كان ليتم لو نقصت من الجملة كلمة أو حرف أو اختلف ترتيب ما بينها بشكل من الأشكال، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنَمَّرٍ * وَفَجَّرْنَا

١ - الإسناد: ضم كلمة إلى أخرى ضمّاً يفيد ثبوت مفهوم أحدهما لمفهوم الأخرى نحو حاتمٍ كريمٍ وأكرم حاتمًا، أو انتفاءه عنه نحو ما خالداً جباناً، انظر: موجز البلاغة لابن عاشور ص ١٠.

٢ - البلاغة العربية أساسها وعلومها وفنونها ١/١٢٢.

٣ - الواضح في علوم القرآن ص ١٦٧.

الْأَرْضَ عِيُونًا فَالْنَفَى الْمَاءَ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١﴾، فإذا تأملنا تناسق الكلمات في كل جملة منها، وتآلف الحروف الرخوة مع الشديدة والمهموسة والمجهورة وغيرها، ثم نتمعن في تأليف، وتعاطف الحركات والسكنات، علمنا أن هذه الجملة القرآنية إنما صبت من الكلمات والحروف بمقدار، وأن ذلك إنما قدر تقديراً بعلم اللطيف الخبير.

٢- «الدلالة بأقصر عبارة على المطلوب دون أن تجد فيه اختصاراً مخلاً، أو ضعفاً في الأدلة»^(٢)، ومثاله قوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^(٣)، فنأمل كيف جمع الله بهذا الكلام كل خلق عظيم؛ لأن في أخذ العفو صلة القاطعين والصفح عن الظالمين.

٣- «إخراج المعنى المجرد في مظهر الأمر المحس الملموس ثم بث الروح والحركة في هذا المظهر نفسه بحيث يجد القارئ إقناع العقل وإمتاع العاطفة، بما يفي بحاجة النفس البشرية تفكيراً، ووجداناً في تكافؤ، واتزان فلا تغطي قوة التفكير على قوة الوجدان ولا العكس، ومثاله قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٤)، من خلال قراءتنا للآية نجد فيها صورة لقيام الكون على أساس من النظام الرتيب، والتنسيق البديع الذي لا يتخلف، ولا يلحقه الفساد، كما نشعر بتصوير المعنى في مظهر من الحركة المحسوسة الدائرة كأننا أمام آلات تتحرك بسرعة دائبة في نظام مستمر يعيها ويتصورها الشعور والخيال»^(٥).

١ - القمر: ١١، ١٢.

٢ - مجلة البحوث الإسلامية- الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة ٢٣/٢٤٥.

٣ - الأعراف: ١٩٩.

٤ - الأعراف: ٥٤.

٥- مجلة البحوث الإسلامية ٢٣/٢٤٧، بتصريف.

٤- أنها مسوقة في موقعها المناسب لتتلاءم مع ما قبلها وما بعدها، وتتبئ عن حسن نظم الكلمات وهي غاية في الإحكام^(١)، «ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾^(٢)، فلو أخذنا كلمة (النذر) منفصلة عما قبلها في الآية لوجدنا ثقلاً في توالي الضمة على النون والذال معاً، وتأمل مواضع الفقلقة في دال (لقد) وتأمل باقي الكلمات تجد مثل ما ذكرنا من القلق والنقل، ولكن الكلمات لما انتظمت في الجملة القرآنية في سياق واحد جاءت متلائمة تماماً مع السياق»^(٣).

٥- «الصياغة الموافقة لحال المخاطبين بحيث تصلح أن تكون خطاباً لمختلف المستويات من الناس بحيث يأخذ كل قارئ منها ما يقدر على فهمه واستيعابه، ويراهم مقدرة على مقياس عقله ووفق حاجته»^(٤).

٦- «تدل على معنى واسع يعجز عنه الناس بعبارات كثيرة»^(٥)، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾^(٦)، فقد جمعت هذه الآية كل خير ونهت عن كل شر بصيغة شاملة موافقة لحال جميع المخاطبين.

وعليه فيمكن للباحث أن يعرف الجملة القرآنية بالآتي:

«هي القول المفيد معناً تاماً مكتفياً بنفسه، تُقنعُ العقل، وتُسبغُ العاطفة في تكافؤ

واتزان، وبصيغة موافقة لحال جميع المخاطبين».

١- الواضح في علوم القرآن ص ١٦٧، بتصرف.

٢- القمر: ٣٦.

٣- مجلة البحوث الإسلامية ٢٣/ ٢٤٧، بتصرف.

٤- الواضح في علوم القرآن ص ١٦٧ .

٥- مجلة البحوث الإسلامية ٢٣/ ٢٤٦، بتصرف.

٦- النحل: ٩٠.

أو: «الجملة القرآنية مركب إسنادي مفيد، دقيق المبنى والمعنى مطابق لحال المخاطب»^(١)، وهذا التعريف قد اشتمل على الصفات المذكورة قريباً في صفات الجملة القرآنية، والله أعلم.

ثالثاً: أقسام الجملة القرآنية:

تقسيمات الجملة العربية التي ساعها النحويون والبلاغيون هي نفس تقسيمات الجملة القرآنية؛ لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، وهي تنقسم إلى قسمين:
القسم الأول: الجملة الخبرية:

هي «إفادة المخاطب إما نفس الحكم كقولك: (زيد قائم)، لمن لا يعلم أنه قائم، أو لازم فائدة الخبر، كقولك: (زيد عندك)، لمن زيد عنده ولا يعلم أنك تعلم ذلك»^(٢).
وقيل: «الجملة الخبرية: هي الجملة التي اشتملت على خبر ما، فمضمونها إخبار عن أمر ما، إيجاباً أو سلباً، والقصد منها الإعلام بأن الحكم الذي اشتملت عليه له واقع خارج العبارة الكلامية مطابق له»^(٣).

القسم الثاني: الجملة الإنشائية:

«هي الجملة التي لم تشتمل على خبر، وإنما أنشأ النطق بها حدثاً ما، كإنشاء طلب الفعل، إذا قلت لولدك: اسقني، أو قلت له: اجتهد، وكإنشاء طلب الفهم، إذا قلت للفقير: هل يجوز أن أفعل كذا؟ أو ما حكم كذا شرعاً، ونحو ذلك»^(٤).
ويندرج تحت هاتين الجملتين من الخبر والإنشاء أنواع كثيرة، والمقام لا يسمح بذكر فروع الجملتين، وحسبي أن أشير إلى ذكر ما يساعد على فهم تفسير الجملة القرآنية في ضوء التأسيس والتأكيد على ما سيأتي بيانه.

١- هذا التعريف والذي قبله استنبطه الباحث من خلال الواضح في علوم القرآن ص ١٦٧، والبلاغة

العربية للميداني، فصل الجمال في الكلام ٨٥/١.

٢- الإيضاح في علوم البلاغة، لجلال الدين القزويني ص ٦٥، بتصرف يسير.

٣- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ١/ ١٢٤.

٤- المصدر نفسه ١/ ١٢٤.

المطلب الثالث

الوصل والفصل والتكرار في الجمل القرآنية

أولاً: معنى الوصل والفصل بين الجمل:

«الوصل عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه وتمييز موضع أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة»^(١).
فيكون «الوصل»: هو الربط بين أجزاء الكلام بحرف عطف، أما الفصل فهو عدم الربط بين أجزاء الكلام بحرف عطف»^(٢).

ثانياً: صور الفصل والوصل:

الصورة الأولى: أن يكون بين الجملتين كمال الاتصال:

بمعنى «لا تغاير بين الجملتين حتى تُعطفَ التالية على السابقة، ويكون كمال الاتصال لأمر ثلاثة:

الأول: أن تكون الثانية مؤكدة للأولى، والمقتضى للتأكيد دفع توهم التجوز والغلط وهو قسمان:

١- أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التوكيد المعنوي من متبوعه في إفادة التقرير مع الاختلاف في المعنى»^(٣)، كقوله تعالى: ﴿كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾^(٤)، فالجملة الثانية وهي قوله: ﴿كَانَ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ مقررة لما أفادته الجملة الأولى وهي قوله:

١ - الإيضاح في علوم البلاغة ص ٥٠.

٢ - الخلاصة في علوم البلاغة للشحود ص ٢٧.

٣ - البلاغة العربية وعلومها للميداني ١/٤٤٧.

٤ - لقمان: ٧.

﴿كَانَ لَمْ يَسْمَعَهَا﴾، كذا قوله: ﴿إِنَّمَا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾^(١)؛ لأن قوله: ﴿إِنَّمَا مَعَكُمْ﴾ معناه الثبات على اليهودية، وقوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ رد للإسلام؛ لأن المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له، ودافع له، لكونه غير معتد به، ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته.

٢- «أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد اللفظي من متبوعه في إفادة التقرير مع اتحاد المعنى، كقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢)، فإن معنى قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ معنى ما قبله، وهو قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ وكذا ما بعده تأكيد ثان، وهو قوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ﴾^(٣)؛ لأن عدم التفاوت بين الإنذار وعدمه لا يصح إلا في حق من ليس له قلب يخلص إليه حق، وسمع تدرك به حجة، وبصر تثبت به عبرة.

الثاني: أن تكون الثانية بدلاً من الأولى، والمقتضى للإبدال كون الأولى غير وافية بتمام المراد بخلاف الثانية، والمقام يقتضى اعتناء بشأنه لنكتة، ككونه مطلوباً في نفسه أو فظيماً، أو عجبياً، أو لطيفاً، وهو نوعان:

١- أن تنزل الثانية من الأول منزلة بدل البعض من متبوعه، كقوله تعالى: ﴿أَمْذَكُرُ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤)، فإنه مسوق للتنبيه على نعم الله تعالى عند المخاطبين، وقوله: ﴿أَمْذَكُرُ بِأَنْعَمِ رَبِّينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾^(٥)، أوفى بتأديته مما قبله، لدلالته عليها بالتفصيل من غير إحالة على علمهم من كونهم معاندين، والإمداد بما ذكر من الأنعام وغيرها بعض الإمداد بما يعلمون»^(٦).

١ - البقرة: ١٤، ١٥.

٢ - البقرة: ٦.

٣ - البقرة: ٧.

٤ - الشعراء: ١٣٢.

٥ - الشعراء: ١٣٣، ١٣٤.

٦ - الإيضاح في علوم البلاغة للقرويني ص ١٥١، والبلاغة العربية للميداني ١/٤٦٣، ٤٦٤، بتصرف.

٢- أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل الاشتمال من متبوعه، كقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾^(١)، فإن المراد هو حمل المخاطبين على إتباع الرسل، وقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾، أوفى بتأدية ذلك؛ لأن معناه لا تخسرون معهم شيئاً من دنياكم، وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة.

الثالث: أن تكون الثانية بيانا للأولى، وذلك بأن تنزل منها منزلة عطف البيان من متبوعه في إفادة الإيضاح، والمقتضى للتبيين أن يكون في الأولى نوع خفاء مع اقتضاء المقام إزالتة، كقوله تعالى: ﴿فَوَسَّوْا لِلَّهِ الشَّيْطَانَ قَالَ يَتَّكِدُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْغُلَّةِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾^(٢)، فصل جملة: ﴿قَالَ يَتَّكِدُ هَلْ أَدُلُّكَ..﴾ عما قبلها لكونها تفسيراً له^(٣).

الصورة الثانية: أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع:

«وهو أن يكون بين جملتين متتاليتين تباين تام فيجب عند ذلك فصل الجملة التالية عن الجملة السابقة- أي: لا يكون بين الجملتين حرف عطف- بشرط أن لا يؤدي هذا الفصل إلى إيهام معنى غير مقصود، وهذه الصورة تظهر في ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: أن تختلف الجملتان السابقة، والتالية خبراً وإنشاءً في لفظيهما وفي دلالتيهما، كقول الله تعالى: ﴿وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٤)، فجملة ﴿وَأَقْسَطُوا﴾ إنشائية، مصدره بفعل أمر، والجملة التالية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ خبرية في لفظها وفي معناها، فوجب الفصل بين الجملتين لكمال الانقطاع بينهما؛ لأن الأولى طلبية

١ - يس: ٢٠، ٢١.

٢ - طه: ١٢٠.

٣ - الإيضاح في علوم البلاغة للقرظيني ص ١٥١، والبلاغة العربية وعلومها للميداني ١/٤٦٣، بتصرف.

٤ - الحجرات: ٤٩.

تفيد التجدد والحدوث، والثانية اسمية تفيد الثبوت والاستمرار، وبين التجدد والثبوت تباين كبير يوجب الفصل»^(١)، ومثله قوله تعالى: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(٢)، فجملة: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾، وجملة: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ جملتان خبريتان في اللفظ والدلالة فوجب الوصل بينهما، ولكن جملة: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ جملة إنشائية لفظاً، ودلالة؛ فوجب الفصل بين الجملتين لكمال الانقطاع بينهما؛ لأن الأولى طلبية تفيد التجدد، والحدوث، والثانية اسمية تفيد الثبوت والاستمرار.

الوجه الثاني: أن تختلف الجملتان السابقة، والتالية خبراً وإنشاءً في دلالتيهما، ولو لم تختلفا في لفظيهما، كأن تكون الأولى خبراً في لفظها ومعناها، والثانية خبراً في لفظها وإنشاءً في معناها، كقوله تعالى: ﴿وَالسَّيِّئَاتِ الْأُولَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنِ رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾^(٣)، فالجملة الأولى: ﴿وَالسَّيِّئَاتِ الْأُولَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ خبرية لفظاً ومعنى، والجملة الثانية: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنِ﴾ خبرية لفظاً إنشائية طلبية معنى، والتقدير اتبعوهم بإحسان.

الوجه الثالث: أن لا يكون بين الجملتين مناسبة ما في المعنى، ولا يوجد ارتباط ما بين المسند إليه فيهما، ولا بين المسند، ومثاله قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٤)، فجملة: ﴿تَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، لا يوجد بينها ارتباط وبين الجملة السابقة: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾، فالمانع من العطف في هذا الموضع (أمر ذاتي) لا يمكن دفعه أصلاً وهو التباين بين الجملتين، ولهذا

١ - البلاغة العربية وعلومها للميداني ١/٤٤٥، بتصرف.

٢ - البقرة: ٥٧.

٣ - التوبة: ١٠٠.

٤ - النحل: ٣.

وجب الفصل، وترك العطف؛ لأن العطف يكون للربط، ومثل ذلك: أن تُعدد حكماً في موضوعات مختلفة لا ترابط بينها، كأن نقول: (رأس الحكمة مخافة الله- لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين - ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس)»^(١).

«أما الوصل مع وجود كمال الانقطاع فلا يكون إلا استثناءً إذا أوهم الفصل خلاف المقصود، ومن أمثلة ذلك ما روي أن أحد الأمراء سأل وزيره عن شيء فقال: (لا وأيد الله الخليفة)»^(٢).

الصورة الثالثة: أن يكون بين الجملتين شبه كمال الاتصال:

«وتكون هذه الصورة في حالة كون الجملة الثانية قوية الاتصال بالجملة الأولى لوقوعها جواباً لسؤال يفهم من الجملة الأولى، وفي هذه الحالة تكون الجملة الثانية استثنافية، ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(٣)، فالجملة الثانية وهي: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ تكاد تكون جواباً لسؤال بعد الجملة الأولى وهو: لماذا لا يبيريء نفسه؟ فكان الجواب؛ لأن النفس أمارة بالسوء»^(٤).

الصورة الرابعة: أن يكون بين الجملتين "شبه كمال الانقطاع":

«وتكون هذه الصورة حينما تسبق الجملة التالية بجملتين يصح عطفها على الأولى لوجود المناسبة، ولا يصح عطفها على الأخرى؛ لأنه يفسد المعنى المقصود للمتكلم، فيتترك العطف، ويجب حنيئذ الفصل دفعا لما قد يحدث من إيهام الوصل

١ - البلاغة العربية وعلومها للميداني ١/٤٤٧.

٢ - البلاغة العربية وعلومها للميداني ١/٤٦٤، والخلاصة في علوم البلاغة ص ٢٩، بتصريف.

٣ - يوسف: ٥٣.

٤ - علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط/الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، والبلاغة العربية للميداني ١/٤٦٠، بتصريف يسير.

بالواو، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾^(١)، فجملة: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ لا يصح عطفها على جملة: ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾؛ لأن العطف قد يوهم أن قوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ من مقول من قالوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾، وهذا يوقع في اللبس؛ لأنه من مقول الله تعالى في بيان حقيقة الكافرين، ولذلك ترك العطف ومثال ذلك أيضاً قول الشاعر^(٢):

وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلاً أراها في الضلال تهيم

فلم يعطف (أراها) على (تظن) لئلا يتوهم السامع أنه معطوف على (أبغي) لقربه منه مع أنه ليس بمراد، ويحتمل الاستئناف^(٣).

الصورة الخامسة:

أن يكون بين الجملتين توسط بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع مع قيام المانع. «وتكون هذه الصورة إذا كانت الجملتين متناسبتين وبينهما رابطة قوية ويمنع العطف بينهما عدم الاشتراك في الحكم، ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّمَا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾^(٤)، فجملة ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ لا يصح عطفها على جملة ﴿إِنَّمَا مَعَكُمْ﴾ لاقتضائه أنه من مقول المنافقين، والحال أنه من مقوله تعالى (دعاء عليهم) ولا على جملة: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾؛ لئلا يتوهم مشاركته له في التقييد بالظرف، وأن استهزاء الله بهم مقيد بحال خلوهم إلى

١- البقرة: ١١، ١٢.

٢- لم أعرف قائله، ولكن كُتِبَ البلاغة يستشهدون به، منها الخلاصة في علوم البلاغة ص ٢٩، والإيضاح في علوم البلاغة ١/٥٢، ومفتاح العلوم ١/ ١١٦.

٣- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي ص ١٣٣، مكتبة الآداب ط/السابعة عشر ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٤- البقرة: ١٤، ١٥.

شياطينهم، والواقع أن استهزاء الله بالمنافقين غير مقيد بحال من الأحوال، ولهذا
وجب أيضا الفصل»^(١).

ومما يتوسط بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع ما يلي:

الأول: الجملة الحالية؛ لأنها قد تقترن بالواو، وقد لا تقترن، فأشبهت الوصل
والفصل، وفي هذه الحالة يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها بالواو إذا خلت من
ضمير صاحبها، كقوله تعالى: ﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾^(٢)،
فجملة: ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾ جملة حالية اقترنت بالواو؛ لأنها خلت من ضمير عائد على
الجملة صاحبة الحال وهي: ﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ .

ويجب فصلها في ثلاثة مواضع:

١- إذا كان فعلها ماضياً تالياً (إلا)، أو وقع ذلك الماضي قبل (أو) التي للتسوية،
ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾^(٣)، ففعل جملة الحال
هو: ﴿ كَانُوا ﴾ جاء ماضياً تالياً (إلا).

٢- إذا كان فعلها مضارعاً مثبتاً أو منفيماً (بما) أو (لا)، نحو قوله تعالى: ﴿ وَجَاءُوا آبَاهُمْ
عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾^(٤)، وكقوله تعالى: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ ﴾^(٥).

٣- إذا كانت جملة اسمية واقعة بعد حرف عطف، أو كانت اسمية مؤكدة لمضمون ما
قبلها، كقوله تعالى: ﴿ فَجَاءَهَا بِأَسْنَابَيْتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾^(٦)، وكقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا
رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾^(١).

١ - علم الاسلوب، د/ مصطفى الصادق الجويني ص ٦٥، دار المعرفة الجامعية (بدون).

٢ - الأنبياء: ١.

٣ - الحجر: ١١.

٤ - يوسف: ١٦.

٥ - المائدة: ٨٤.

٦ - الأعراف: ٤.

الثاني: الوصل بين الجمل، ويكون كما سبق باتفاق الجملتين في الخبرية والإنشائية ولا بد مع اتفاقهما من جهة بها يتجاذبان، وأمر جامع به يتأخذان، وذلك الجامع: إما عقلي نحو: زيد يصلي ويصوم، أو وهمي، كشبه التماثل الذي بين نحو لوني البياض والصفرة، أو: خيالي: كالقلم والدواة، والقرطاس في خيال الكاتب»^(٢).

«ومن أمثلة القرآن في الوصل بالجامع العقلي قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(٣)، ومثال التجاذب الخيالي قوله تعالى: ﴿فَسَبَّحَنَ اللَّهُ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾^(٤)»^(٥).

وعليه فإن هذه المقدمة عن الجمل وعلاقة بعضها ببعض نحتاج إليها في كلامنا حول التأسيس والتأكيد؛ إذ من مواطن التأسيس توافق الجمل في اللفظ والمعنى، أو في المعنى فقط سواء مع وجود العاطف أو بدونه، وهذا ما سنبينه لاحقاً.

ثالثاً: التكرار في جمل القرآن:

التكرار أسلوب من أساليب اللغة العربية، كما أن النص القرآني بما له من إعجاز وبلاغة خاصة أوضح النصوص العربية، وأكثرها دقة وعليه فإني سأتناول هذه الظاهرة بشيء من التعريف والتفصيل:

أ- تعريف التكرار في اللغة:

قال ابن منظور: «كَرَّرَ الشَّيْءَ أَعَادَهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَيُقَالُ كَرَّرْتُ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ إِذَا رَدَّدْتَهُ عَلَيْهِ وَكَرَّرْتُهُ»^(٦)، «والتَّكْرِيرُ بِيْذِكْرِ الشَّيْءِ مَرَّتَيْنِ، وَبِيْذِكْرِ الشَّيْءِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، فَهُوَ عَلَى الْأَوَّلِ مَجْمُوعُ الذِّكْرَيْنِ، وَعَلَى الثَّانِي الْأَخِيرُ»^(١).

١ - البقرة: ٢.

٢ - الخلاصة في علوم البلاغة ص ٢٠.

٣ - البقرة: ٤٣.

٤ - الروم: ١٧، ١٨.

٥ - علم الأسلوب للجويني ص ٦٦.

٦ - لسان العرب: ١٣٥/٥.

«والتكرير أبلغ من التوكيد وله فوائد منها:

١- التقرير وقد قيل الكلام إذا تكرر تقرر.

٢- زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة.

والتوكيد قد يكون تكراراً، وقد لا يكون، وقد يكون التكرير غير توكيد، وإن كان مفيداً للتوكيد معنى، ومنه ما وقع فيه الفصل بين المكررين كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاكَ وَطَهَّرَكَ وَأَصْطَفَاكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^(٢)، والتأكيد لا يفصل بينه وبين مؤكده^(٣).

ومن الفروق بين التكرار والتأكيد ما ذكره صاحب تاج العروس بقوله: «وقد قرّر الفرق بينهما جماعة من علماء البلاغة، ومما فرقوا به بينهما: أنّ التأكيد شرطه الاتصال، وأن لا يزداد على ثلاثة، والتكرار يُخالفه في الأمرين، ومن ثم بنوا على ذلك أنّ قوله تعالى: ﴿فِي آيَةِ الْآلَاءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانَ﴾^(٤) تكرر لا تأكيد، لأنها زادت على ثلاثة، وكذا قوله تعالى: ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُكْذِبِينَ﴾^(٥)»^(٦).

ب- تعريف التكرار في الاصطلاح:

قال ابن الأثير^(٧): «هو دلالة اللفظ على المعنى مردداً»^(١).

١ - تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق أبو الفيض الملقب بمرتضى

الزبيدي ٢٨/١٤، دار الهداية، (بدون).

٢- آل عمران: ٤٢.

٣- كتاب الكليات لأبي البقاء الكفومي ص ٤١١.

٤- الرحمن: ١٢.

٥- المرسلات: ١٥.

٦- تاج العروس لمرتضى الزبيدي ٢٨/١٤.

٧- هو أبو الفتح نصر الله بن أبي بكر محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، الملقب ضياء الدين، انتقل مع والده إلى الموصل وهو صغير واشتغل بالعلم فحفظ كتاب الله وكثيراً من الأحاديث وطرفاً من النحو واللغة وشيئاً كثيراً من الأشعار، صاحب التصانيف، توفي سنة سبع وثلاثين وستمئة، ببغداد، انظر: وفيات الأعيان ٥/ ٣٨٩.

وهذا التعريف إن كان يعني بـ(اللفظ): الواحد فقد نسي الجملة، وإن كان عنى الملفوظ من الكلام قل أو كثر فلا إشكال.
وقيل: حقيقة التكرار أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفاً أو يأتي بمعنى ثم يعيده «^(٢)».

ج- أنواع التكرار:

«إن تكرار الكلام على ضربين:

أحدهما: وهو ما كان مستغنى عنه غير مستفاد به زيادة معنى لم يستفيدوه بالكلام الأول؛ لأنه حينئذ يكون فضلاً من القول ولغواً وليس في القرآن شيء من هذا النوع.

والثاني: ما كان بخلاف هذه الصفة، فإن ترك التكرار في الموضع الذي يقتضيه وتدعو الحاجة إليه كان مذموماً كالأول»^(٣).

د- صور التكرار الواقع في كتاب الله تعالى:

الصورة الأولى: تكرار في اللفظ والمعنى:

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي^(٤) عند ذكره لنوع تكرار اللفظ والمعنى: «وربما قيل: فقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنقُوا اللَّهَ وَتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ

^١ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح نصرالله بن محمد بن محمد الموصلي المعروف بابن

الأثير ٣/٢، تحقيق: د/أحمد الحوفي و د/بدوي طبانة، دار النهضة- مصر، (بدون).

^٢ - التكرار الأسلوبى في اللغة العربية، د/ السيد خضر ص، ط/الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

^٣ - بيان إعجاز القرآن، حمد بن محمد بن إبراهيم البستي المعروف بالخطابي ص ٥٢، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، دار المعارف- القاهرة، ط/الرابعة ١٩٩١م.

^٤ - هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل بن عبد الله القاضي أبو الحسن الهمداني الأسداباذي، وهو الذي تلقبه المعتزلة قاضي القضاة ولا يطلقون هذا اللقب على سواه ولا يعنون به عند الإطلاق غيره، كان إمام أهل الاعتزال في زمانه وكان ينتحل مذهب الشافعي في الفروع وله

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾، ما فائدة هذا التكرار؟

وجوابنا: أن المراد بالأول أن يتقوا الله في حفظ ما فعلوا من الطاعات، والمراد بالثاني أن يتقوا الله في جميع ما كلفوا، ولذلك قال بعده ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٢). وكلام القاضي يصلح مثلاً لما تكرر بلفظه دون معناه، لأنه بين أن تقوى الله في الأمر الأول: حفظ ما فعلوا من الطاعات، والمراد بالثاني: أن يتقوا الله في جميع ما كلفوا به، ولكن المثال المناسب لهذه الصورة هو قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا نَقُولُوا لِمَنْ ءَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبَتَّعُونَ عَرَصَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٣﴾، فالآية قد ذكرت جملة: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾^(٤) مرتين بنفس اللفظ والمعنى، وتكراره كما قال البيضاوي: «تأكيد لتعظيم الأمر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم»^(٥)، وبنحو هذا قال كثير من المفسرين^(٦)، وقد حذف المعمول ليدل على العموم في التبيين.

الصورة الثانية: تكرار في اللفظ دون المعنى:

التصانيف السائرة والذكر الشائع بين الأصوليين، عمر دهرًا طويلاً حتى بعد صيته وولى قضاء الري، وتوفي سنة خمس عشرة وأربعمائة بالري ودفن في داره، انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٩٧/٥.

١- الحشر: ١٨.

٢- بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار وآثره في الدراسات البلاغية، د/ عبد الفتاح لاشين ص ٢٠٢، مطبعة دار القرآن-ميدان الأزهر الشريف، دار الفكر العربي.

٣- النساء: ٩٤.

٤- التبيين: شدة طلب البيان، أي التأمل القوي حسبما تقتضيه صيغة النفع، انظر: لسان العرب ٦٣/١٣.

٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي ٢٣٧/٢، دار الفكر- بيروت (بدون)، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٢٢٥/٤.

٦- منهم ابن كثير في تفسيره ٣٨٥/٢، وابن عاشور في التحرير والتنوير ٢٢٥/٤.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجَلٍ لَّكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا وَإِنِ اللَّهُ رَزَقَهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝ (١) .

فقوله: ﴿ قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۝ ﴾ جملة مكررة في لفظها دون معناها؛ لأن الآية في الجملة الأولى هي المعجزات المذكورة بعد هذه الجملة وهي قوله تعالى: ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ ﴾، وأما الآية في قوله: ﴿ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۝ ﴾ فهي قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝ ﴾؛ لأنها القول الذي يقوله كل الأنبياء ويعرفون به»^(٢).

الصورة الثالثة: تكرار في المعنى دون اللفظ:

ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ (٣) .

فجملة: ﴿ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا ﴾ بنفس معنى البطلان في قوله: ﴿ وَبِطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ في عدم انتفاعهم به في الآخرة ودخولهم النار كما قال الألوسي^(١): ﴿ وَبِطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ في عدم انتفاعهم به في الآخرة ودخولهم النار كما قال الألوسي^(١): ﴿ وَبِطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ في عدم انتفاعهم به في الآخرة ودخولهم النار كما قال الألوسي^(١).

^١ - آل عمران: ٤٩-٥١.

^٢ - اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي ٢٥٥/٥، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية- بيروت- ط/الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م بتصرف.

^٣ - هود: ١٦.

وَبَطِّلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» هو تأكيد لقوله سبحانه: ﴿وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ والظاهر أن حمل ما كانوا يعملون على معنى ما صنعوا، والبطلان على معنى الحبوط^(٢)، والله أعلم.

١ - هو محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، شهاب الدين، مفسر، أديب، محدث من أهل بغداد، مولده سنة سبع عشرة ومائتين وألف، تقلد الإفتاء في بلده وله مصنفات أعظمها روح المعاني، مات سنة سبعين ومائتين وألف. انظر: الأعلام للزركلي ٧ / ١٧٦.

٢ - روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، محمود الألويسي أبو الفضل ٦ / ٢٢٦، تحقيق: على عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥ هـ.

الفصل الثاني

التأسيس والتأكيد عند المفسرين

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التأسيس وأهميته عند المفسرين.

المبحث الثاني: التأكيد وأغراضه البلاغية.

المبحث الأول

التأسيس وأهميته عند المفسرين

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التأسيس لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: قاعدة التأسيس عند المفسرين.

المطلب الثالث: أهمية التأسيس وفوائده في تفسير القرآن.

المطلب الأول

تعريف التأسيس لغة واصطلاحاً

أولاً: تعريف التأسيس في اللغة:

قال ابن فارس: «(أسّ) الهمزة والسين يدلّ على الأصل، والشيء الوطيد الثابت، فالأس أصل البناء وجمعه أسس، ويقال للواحد أساس»^(١)، وزاد على هذا ابن منظور فقال أن التأسيس يشمل حدود الدار ورفع القواعد كما في لسان العرب: «(أسس) الأسّ والأسّ والأسّ والأسّ كل مُبْتَدَأِ شَيْءٍ وَالْأَسُّ وَالْأَسَاسُ أَصْلُ الْبِنَاءِ، وَأَسَّسْتُ دَاراً إِذَا بَنَيْتُ حُدُودَهَا وَرَفَعْتُ مِنْ قَوَاعِدِهَا»^(٢).

والتأسيس: «هو أصل كل شيء، والتأسيس في الشعر ألفٌ تلزمُ القافية وبينها وبين حرف الروي حرف يجوز كسره ورفعُه ونصبه»^(٣).

وفي القاموس المحيط: «الأس: أصل البناء كالأساس، والتأسيس بيان حدود الدار، ورفع قواعدها، وبناء أصولها»^(٤)، وهذا هو ما ذهب إليه صاحب لسان العرب.

والخلاصة أن التأسيس في اللغة: هو أصل كل شيء ومبتدأه، والشيء الثابت، والتأسيس في الدار أصل بنائها وبيان حدودها ورفع قواعدها.

١ - معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١ / ١٤ .

٢ - لسان العرب لابن منظور ٦ / ٦ .

٣ - المصدر نفسه ٦ / ٦ .

٤ - القاموس المحيط ص ٦٨٢، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الرسالة، ط الثانية ١٤٠٧ هـ.

ثانياً: تعريف التأسيس في الاصطلاح:

التأسيس: «هو إفادة معنى آخر لم يكن حاصلًا قبل»^(١)، ولكن هذا التعريف فيه قصور؛ لأن المعنى الآخر إنما هو حاصل من التكرار للفظ أو الجملة ولم يجر له ذكر في التعريف.

وقيل التأسيس: «هو أن يكون اللفظ المكرر لإفادة معنى آخر لم يكن حاصلًا قبّله»^(٢)، وهذا التعريف كامل لا يرد عليه ما ورد على السابق من النقص، وعليه فيمكن شرح تعريف التأسيس كالاتي:

المعنى المقصود من التأسيس وليد اللفظ المكرر، سواء كان مفرداً أو جملة، فإذا تكرر اللفظ أو الجملة، وأمكن حمل كل واحد منهما على معنى مغاير لمعنى اللفظ الآخر فإن هذا أولى من حملها على معنى واحد، وعلى هذا جاءت القاعدة عند العلماء أن اللفظ أو الجملة إذا دار بين التأسيس والتأكيد فالأولى حمله على التأسيس؛ وذلك لإفادته معنى جديد بدلاً عن تكرار معنى اللفظ أو الجملة، وعلى هذا فإن الأصل عدم تكرار المعنى إلا لغرض من أغراض التوكيد كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

١- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني ص ٧١، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٥هـ، والتوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي ص ١٥٥ تحقيق الدكتور محمد رضوان، دار الفكر، ط/ ١٤١٠هـ .

٢- الكليات لأبي البقاء ص ٤٠٩، ومعجم القواعد العربية، عبد الغني الدقر ٥/٤، مكتبة مشكاة الإسلام، (بدون).

المطلب الثاني

قاعدة التأسيس عند المفسرين

نص القاعدة: «إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحملة على التأسيس أولى»^(١).

ومن هذا النص جاءت أقوال المفسرين والأصوليين في الاشتقاق من هذه القاعدة أو بقول قواعد أخرى كلها تعتبر صوراً لهذه القاعدة منها:

أ- الأصل في الكلام التأسيس دون التأكيد فيحمل كلام الشارع عليه^(٢).

ب- التأسيس حمل الكلام على الإفادة والتوكيد هو حمل الكلام على الإعادة وحمل الكلام على الإفادة خير من حملة على الإعادة^(٣).

ج- التأسيس أولى في كلام الشارع^(٤).

د- التأسيس هو الأصل في الدلالات اللفظية^(٥).

هـ التأسيس أصل والتأكيد فرع، وحمل اللفظ على الفائدة الأصلية أولى^(٦).

-
- ١ - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ١٢٤/٥، تحقيق: الدكتور أحمد الخراط. دار القلم - دمشق ط / ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م. وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين ابن محمد المختار الشنقيطي ٤٤٢/٢، دار الفكر - بيروت ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، وقواعد الترجيح عند المفسرين، حسن بن علي الحربي ٤٧٤ / ٢، دار القاسم - الرياض ط ١٤١٧ هـ.
 - ٢ - الإحكام في أصول القرآن، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري ص ٨٣.
 - ٣ - التعريفات للجرجاني ص ٧١، و معجم القواعد العربية للدقر ٥/٤.
 - ٤ - زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٣/١ ٧٩، دار الفكر العربي، (بدون).
 - ٥ - الإحكام في أصول القرآن لابن حزم، ص ٢١٣.
 - ٦ - الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الأمدي ٢/٢٠٦، تحقيق: د/سيد الجميلي ، دار الكتاب العربي - بيروت، ط/الأولى ١٤٠٤ هـ.

وعليه فإن «هذه القاعدة من القواعد التفسيرية والترجيحية عند الأصوليين»^(١)، والمفسرين، ووجه كونها كذلك أن المفسر لكتاب الله تعالى ينشئ تفسيراً فيستعملها في بيان معاني كلام الله، فهي في هذه الحالة تفسيرية، وإن كان ناظراً بين أقوال المفسرين المختلفة مرجحاً بينها فهي قاعدة ترجيحية»^(٢)، وفي الأمثلة الآتية نماذج من أقوال الأئمة توضح المسلكين:

المسلك الأول: أمثلة تفسيرية بقاعدة التأسيس:

١ - الإمام أبو بكر ابن العربي^(٣).

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٤)، «هل لفظ التطهر في الآية محمول على معنى واحد وهو انقطاع الدم فيكون من التكرار أم يحمل قوله: ﴿حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾ على انقطاع الدم، وقوله: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ على الاغتسال، وعلى القول الثاني قال مقرراً لهذه القاعدة: وإذا أمكن حمل اللفظ على فائدة متجددة لم يحمل على التكرار في كلام الناس، فكيف كلام العليم الحكيم؟!»^(٥).

١ - قال الأمدي: «...لأنه لو كان مقتضياً عين ما اقتضاه الأول لكانت فائدته التأكيد ولو كان مقتضياً غير ما اقتضاه الأول لكانت فائدته التأسيس، والتأسيس أصل والتأكيد فرع وحمل اللفظ على الفائدة الأصلية أولى» انظر: الإحكام في أصول الأحكام للأمدي ١ / ٤٣٤، وهي متفرعة عن القاعدة الأصولية (إعمال الكلام أولى من إهماله)، وقد ذكر نص قاعد التأسيس من الأصوليين جمال الدين الأسنوي في كتابه نهاية السؤل شرح منهاج الأصول ٢ / ٢١٨.

٢ - الأشباه والنظائر، عبد الوهاب بن علي السبكي ١ / ١٨٩، دار الكتب العلمية، ط/الأولى ١٤١١هـ.

٣ - محمد بن عبد الله بن محمد المعارفي الإشبيلي المالكي المعروف بأبي بكر ابن العربي القاضي، من حفاظ الحديث، ولد في إشبيلية سنة ثمان وستين وأربعمائة، ورحل إلى المشرق، من مصنفاته "العواصم من القواصم" وكتاب أحكام القرآن، توفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، انظر: طبقات المفسرين الأندلسي ١ / ١٨٠، الأوهام الواقعة في أسماء العلماء والأعلام ١ / ١١.

٤ - البقرة: ٢٢٢.

٥ - أحكام القرآن، محمد بن عبدالله الأندلسي الملقب ابن العربي ١ / ٣٢٢، دار الكتب العلمية. (بدون).

٢ - الإمام ابن عادل^(١).

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُسُفُّ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(٢)، «قوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ يحتمل وجهين: أحدهما: أنها جملة كررت للتوكيد؛ لما طال الفصل بالمفاعيل كما كررت ﴿أَنْتُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَعِدُّكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ﴾^(٣). الثاني: أنه ليس [بتأكيد]...إنما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جواباً له؛ كأن يعقوب عليه الصلاة والسلام قال له عند قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ كيف رأيتها؟ سائلاً عن حال رؤيتها، فقال: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ وهذا أظهر؛ لأنه متى دار الكلام بين الحمل على التأكيد والتأسيس، فحملة على التأسيس أولى»^(٤).

٣ - الإمام الآلوسي.

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا* إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٥) يحتمل أن يكون تكريراً للجملة السابقة لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب كما هو شأن التكرير، ويحتمل أن يكون وعداً مستأنفاً، والعسر على ما سبق، بيد أن المراد باليسر هنا ما تيسر لهم في أيام الخلفاء، أو يسر الآخرة، واحتمال الاستئناف هو الراجح لما علم من فضل التأسيس على التأكيد، كيف وكلام الله تعالى محمول على أبلغ

١ - هو عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، أبو حفص، سراج الدين: صاحب التفسير الكبير "اللباب في علوم الكتاب" وكان مشهوراً مشحوناً بأنواع قواعد العربية والعلوم السائرة في التفسير، وتوفى سنة ثمانين وثمانمائة للهجرة، طبقات المفسرين الأندروي ١/ ٤١٨، والأعلام للزركلي ٥/ ٥٨.

٢ - يوسف: ٤.

٣ - المؤمنون: ٣٥.

٤ - اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي بن عادل ١١/ ١٢، تحقيق: الشيخ/ عادل عبد الموجود والشيخ علي معوض، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، ط/ الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، بتصريف يسير.

٥ - الشرح: ٥، ٦.

الاحتمالين وأوفاهما، والمقام للتسلية والتفيس والاستئناف»^(١).

٤- الإمام محمد بن علي الشوكاني.

قال في قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٢). «أي أن الإنجيل أوتيته عيسى حال كونه مشتتلا على الهدى والنور ومصداقاً لما بين يديه من التوراة، وقيل: إن مصداقاً معطوف على مصداقاً الأول فيكون حالاً من عيسى مؤكداً للحال الأول ومقرراً له، والأول أولى؛ لأن التأسيس خير من التأكيد»^(٣).

٥- الإمام الطاهر بن عاشور^(٤).

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِّلْمُنَاقِبِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾^(٥)، «الإزلاف: التقريب مشتق من الزلف بالتحريك وهو القرية، أي جعلت الجنة قريباً من المنقبين، أي ادنوا منها، والجنة موجودة من قبل ورود المنقبين إليها، فإزلافها قد يكون بحشرهم للحساب بمقربة منها كرامة لهم عن كلفة المسير إليها، وقد يكون عبارة عن تيسير وصولهم إليها بوسائل غير معروفة في عادة أهل الدنيا، وقوله: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ يرجح الاحتمال الأول، أي غير بعيد منهم وإلا صار توكيداً معنوياً لجملة: ﴿وَأَزَلَّتْ﴾ كما

١- روح المعاني ١٧٠/٣٠.

٢- المائدة: ٤٦.

٣- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، محمد بن علي الشوكاني ٦٩ / ٢ دار الحديث - القاهرة، ط/الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٤- هو العلامة محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر ابن عاشور رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة، وعضو المجامع العربية ولد بتونس سنة ست وتسعين ومأتين وألف للهجرة، صاحب التصانيف في اللغة والأدب والتفسير، توفي في السابع عشر من رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف، انظر: الأعلام ٦ / ١٧٤، ومعجم المؤلفين ص ٦٦٢.

٥- ق: ٣١.

يقال: عاجل غير آجل، وقوله: ﴿وَأَصْلٌ فِرْعَوْنُ قَوْمُهُ وَمَاهِدَى﴾^(١)، والتأسيس أرجح من احتمال التوكيد»^(٢).

المسلك الثاني: أمثلة ترجيحية بقاعدة التأسيس:

١ - الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري.

قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾^(٣)، «واختلفوا في "اليوم" أي يوم هو؟ فقال بعضهم يوم القيامة، وقال آخرون: يوم بدر، ثم قال: والقول الثاني هو الأولى بتأويل الآية؛ لأنه لا وجه لأن يقال لا يزالون في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة، أو تأتيهم الساعة؛ وذلك أن الساعة هي يوم القيامة، فإن كان اليوم العقيم أيضا هو يوم القيامة، فإن معناه ما قلنا من تكرير ذكر الساعة مرتين باختلاف الألفاظ، وذلك ما لا معنى له فإن كان ذلك كذلك، فأولى التأويلين به أصحهما معنى، واشبههما بالمعروف في الخطاب وهو ما ذكرناه»^(٤).

ومن خلال كلام ابن جرير الطبري نرى أنه استخدم قاعدة التأسيس بعدم حمل جملة: ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾، وجملة: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ على معنى واحد؛ لأن الأصل عدم الحمل على التكرار المفيد للتوكيد، وإنما رجح الحمل على تغاير المعنى، وهو المعروف بلاغياً بالتأسيس.

٢ - أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي.

قال في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيْنَ

١ - طه: ٧٩ .

٢ - التحرير والتتوير: ١٤ / ١٤٩، بتصرف يسير.

٣ - الحج: ٥٥.

٤ - جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ١٨ / ٦٧٢، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط/ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكُمْ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ»^(١)، «ذَلِكُمْ بِمَا عَصَوْا»: اسم الإشارة رد على الأول في قوله: «ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ» وتكرير له، فأشير به لما أشير بذلك الأول - أي: ما فعلوه من سوء الخلق مع أنبيائهم وعدم صبرهم، وتعنتهم، ورعونتهم..- ويجوز أن تكون إشارة إلى الكفر والقتل المذكورين، فلا يكون تكريراً ولا توكيداً، ومعناه: أن الذي حملهم على جحود آيات الله وقتلهم الأنبياء إنما هو تقدم عصيانهم واعتدائهم، ويظهر أن قوله: «ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ» تعليل لضرب الذلة والمسكنة والمباعدة بالغضب، وأن الإشارة بقوله: «ذَلِكُمْ بِمَا عَصَوْا» إشارة إلى الكفر والقتل، و«بِمَا» تعليل لهما فيعود العصيان إلى الكفر، ويعود الاعتداء إلى القتل، فيكون قد ذكر شيئين وقابلهما بشيئين، كما ذكر أولاً شيئين وهما: الضرب والمباعدة، وقابلهما بشيئين وهما: الكفر والقتل، فجاء هذا لفاً ونشراً في الموضوعين، وذلك من محاسن الكلام، وجودة تركيبه، ويخرج بذلك عن التأكيد الذي لا يصار إليه إلا عند الحاجة، وذلك بأن يكون الكلام لا يبعد أن يحمل على التأسيس»^(٢).

٣ - محمد الأمين الشنقيطي^(٣).

قال في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتٍ كُلِّ قَدَعِلِمَ صَلَاتَهُ، وَتَسْبِيحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾^(٤)، «اعلم أن الضمير المحذوف الذي هو فاعل «عِلِمَ» قال بعض أهل العلم إنه راجع إلى الله تعالى في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ...﴾ الآية، وعلى هذا فالمعنى كل من المسبحين والمصلين قد

١ - البقرة: ٦١.

٢ - البحر المحيط ٢١٦/١.

٣ - هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، اللغوي، الأصولي، الأديب، المفسر، الفقيه، صاحب أضواء البيان، ودفع التعارض وغيرها، توفي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف. انظر: ترجمة تلميذه عطية محمد سالم في مقدمة الأضواء ٣/١.

٤ - النور: ٤١.

علم الله صلاته وتسبيحه، وقال بعض أهل العلم: إن الضمير المذكور راجع إلى قوله: «كُلُّ» أي كل من المصلين والمسبحين، قد علم صلاة نفسه وتسبيح نفسه. والأظهر على مقتضى ما ذكرنا عن الأصوليين، أن يكون ضمير الفاعل المحذوف في قوله: ﴿كُلُّ قَدِّ عِلْمِ صَلَاتِهِ، وَتَسْبِيحِهِ﴾ راجعاً إلى قوله «كُلُّ» أي كل من المصلين قد علم صلاة نفسه، وكل من المسبحين، قد علم تسبيح نفسه، وعلى هذا القول فقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ تأسيس لا تأكيد. أما على القول بأن الضمير راجع إلى الله: أي قد علم الله صلاته يكون قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ كالتكرار مع ذلك فيكون من قبيل التوكيد اللفظي والمقرر في الأصول أن الحمل على التأسيس أرجح من الحمل على التوكيد^(١).

ومن خلال كلام الشنقيطي نجد أنه استخدم قاعدة التأسيس في ترجيح عود الضمير إلى ما يفيد التأسيس، وهو أولى من رجوعه إلى ما يفيد التوكيد.

ومن خلال عرض الأمثلة السابقة يتبين أن قاعدة التأسيس قد استعملها المفسرون في تفسير الآيات، وفي الترجيح بين الأقوال الواردة في معاني الألفاظ والجمل، وما ذكرته هنا سيأتي مفصلاً في الباب الثاني إن شاء الله تعالى.

١ - أضواء البيان ٤٣٥/١، بتصرف يسير.

المطلب الثالث

أهمية التأسيس وفوائده في تفسير القرآن

تكمن أهمية التأسيس في أنه هو المقصود من الكلام لاسيما كلام الشارع الحكيم، ولا يأت التوكيد إلا لغرض محدد كأن يريد المتكلم تقرير الكلام في نفس السامع أو غير ذلك من الأغراض التي ستأتي لاحقاً. وعليه فيمكن أن نلخص فوائد التأسيس فيما يأتي:

١- التأسيس إفادة والتوكيد إعادة، والإفادة أولى، وإذا دار اللفظ بينهما فالأولى الحمل على التأسيس، ومثال ذلك ما قاله قال تاج القراء الكرمانى^(١) في كتابه أسرار التكرار في القرآن في قوله تعالى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾^(٢) «هذا التكرار اختصار وهو إعجاز؛ لأن الله نفى عن نبيه عبادة الأصنام في الماضي والحال والاستقبال، ونفى عن الكفار المذكورين عبادة الله في الأزمنة الثلاثة أيضاً فاقتضى القياس تكرار هذه اللفظة ست مرات فذكر لفظ الحال؛ لأن الحال هو الزمان الموجود واسم الفاعل (عابد) واقع موقع الحال، وهو صالح للأزمنة الثلاثة، واقتصر من الماضي على المسند إليهم فقال: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ

١- هو محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم الكرمانى المعروف بتاج القراء، مؤلف كتاب خط المصاحف وكتاب الهداية في شرح غاية ابن مهران، وأسرار التكرار في القرآن وكتاب البرهان في معاني متشابه القرآن إمام كبير محقق ثقة كبير المحل، وتوفى سنة خمس وخمسمائة. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ١/ ٤٠٤.

٢- الكافرون: ٢-٥.

مَاعَبَدْتُمْ؛ ولأن اسم الفاعل بمعنى الماضي واقتصر من المستقبل على لفظ المسند إليه فقال: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، وكان أسماء الفاعلين بمعنى المستقبل^(١).
 وخلاصة كلام الكرمانى أن التكرار في سورة (الكافرون) محمول على التأسيس، لأن التغيرات فيما تكرر كان بالنسبة للأزمنة الثلاثة الماضي والحال والمستقبل، ولم يكن التكرار للتوكيد.

٢- دفع إيهام التكرار المقنضي للتوكيد.

ومثال ذلك تكرر التوبة مرتين في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾^(٢).

قال أبو حيان: «قوله تعالى: ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يردكم من عصيانه إلى طاعته، ويوفقكم لها، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: عليم بأحوالكم وبما تقدم من الشرائع والمصالح، حكيم يصيب بالأشياء مواضعها بحسب الحكمة والإتقان، ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ تعلق الإرادة أولاً بالتوبة على سبيل العلية على ما اخترناه من الأقوال؛ لأن قوله: ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ معطوف على العلة، فهو علة، وتعلقها هنا على سبيل المفعولية، فقد اختلف التعلقان فلا تكرر»^(٣).

وقال الشوكاني: «قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ هذا تأكيد لما قد فهم من قوله: ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ المتقدم، وقيل: الأول: معناه الإرشاد إلى الطاعات،

١- أسرار التكرار في القرآن، محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى ص ٢١٣، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، ط/ الأولى (بدون).

٢- النساء: ٢٦، ٢٧.

٣- البحر المحيط ٢٣٦/٣.

والثاني: فعل أسبابها، وقيل: إن الثاني لبيان كمال منفعة إرادته سبحانه وكمال ضرر ما يريده الذين يتبعون الشهوات، وليس المراد به مجرد إرادة التوبة حتى يكون من باب التكرير للتأكيد»^(١).

وقال ابن عاشور: «كرر قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ ليرتب عليه قوله: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ فليس بتأكيد لفظي، وهذا كما يعاد اللفظ في الجزاء والصفة ونحوها»^(٢).

ومن خلال أقوال المفسرين يتبين أن جملة: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ قد تكون تأسيسية، وقد تكون توكيدية لجملة: ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾، وعليه فإن كان الكلام الثاني مقتضياً عين ما اقتضاه الأول لكانت فائدته التأكيد، ولو كان مقتضياً غير ما اقتضاه الأول لكانت فائدته التأسيس، والتأسيس أصل، والتأكيد فرع وحمل اللفظ على الفائدة الأصلية أولى.

٣- إعمال اللفظين أو الجملتين في معنيين أولى من إهمال معنى أحدهما حتى لا يكون الكلام مكرراً بدون فائدة، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

قال الإمام الماوردي^(٤): «﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ فيه قولان:

^١ - فتح القدير ٦٨١/١.

^٢ - التحرير والتنوير ٩٧/٤.

^٣ - آل عمران: ٤٢.

^٤ - هو علي بن محمد بن حبيب أفضى القضاة أبو الحسن الماوردي البصري الشافعي صاحب التصانيف المليحة الجيدة. روى عنه الخطيب ووثقه، ولي القضاء ببلدان كثيرة، ثم سكن بغداد وتفقّه على أبي القاسم الصيمري بالبصرة. وارتحل إلى أبي حامد الإسفراييني، ومن تصانيفه: النكت والعيون في التفسير، وكتاب الحاوي في الفقه، وغيرها، توفى سنة خمسين وأربعمائة، انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/٦٤، والعبر في خبر من غير ٣/٢٢٥، والوفاي بالوفيات ١/٧.

أحدهما: إنه توكيد للاصطفاء الأول بالتكرار.

والثاني: أن الاصطفاء الأول للعبادة، والاصطفاء الثاني لولادة المسيح»^(١).

وقال الزمخشري^(٢): «قوله تعالى: ﴿أَصْطَفَيْتَ﴾ أولاً حين تقبلت من أمك ورباك واختصك بالكرامة السنية، ﴿وَوَهَبْنَاكَ﴾ مما يستقذر من الأفعال، ﴿وَأَصْطَفَيْتَ﴾ آخراً ﴿عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ بأن وهب لك عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء»^(٣).

وقال الإمام الرازي^(٤): «اعلم أن المذكور في هذه الآية أولاً هو الاصطفاء، وثانياً التطهير، وثالثاً الاصطفاء على نساء العالمين، ولا يجوز أن يكون الاصطفاء أولاً هو الاصطفاء الثاني لما أن التصريح بالتكرير غير لائق، فلا بد من صرف الاصطفاء الأول إلى ما اتفق لها من الأمور الحسنة في أول عمرها، والاصطفاء الثاني إلى ما اتفق لها في آخر عمرها..، من أنه تعالى وهب لها عيسى عليه السلام من غير أب،

١- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ٣٩٢/١، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان (بدون).

٢- هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي النحوي اللغوي المتكلم المعتزلي المفسر، ولد في شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر قرية من قرى خوارزم، وقدم بغداد وسمع من أبي الخطاب وغيره وحدث، وله تصانيف منها الكشاف في التفسير والفائق في غريب الحديث ومات ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسائة، انظر: طبقات المفسرين للأذرنوي ١٧٢/١، وطبقات المفسرين للسيوطي ١٠٤/١.

٣- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ٣٨٩/١، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (بدون).

٤- هو محمد بن عمر بن الحسين القرشي فخر الدين الرازي، الأصولي المفسر كبير الأذكياء والحكام والمصنفين، ولد سنة أربع وأربعين وخمسائة، واشتغل على أبيه الإمام ضياء الدين خطيب الري، وقد بدت منه في مؤلفاته بلايا وعظائم والله يعفو عنه، فإنه توفي على طريقة حميدة، ومات بهراة يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة، انظر: وفيات الاعيان ٤٨٦/١، سير أعلام النبلاء ٢١ / ٥٠٠.

وأنطق عيسى حال انفصاله منها حتى شهد بما يدل على براءتها عن التهمة، وجعلها وابنها آية للعالمين فهذا هو المراد»^(١).

ووفقاً لقاعدة التأسيس فيرى الباحث أن حمل اللفظين على التغير في المعنى أولى من الحمل على إعادة المعنى الأول للاصطفاء، وعليه فجملة: «اصْطَفَاكَ» الأولى محمولة على الاصطفاء للعبادة، و«وَأَصْطَفَاكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ» تحمل على الاصطفاء لولادة عيسى أو لتفضيلها على نساء العالمين، أو أنها مصطفاة على النساء دون الرجال.

٤- الحمل على التأسيس يكسب السياق تنوعاً دلاليّاً لم يكن حاصلًا من قبل، ومثاله في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٢).

قال الإمام ابن حزم^(٣): «﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ أمر بالاعتصام بحبل الله ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ نهى عن التفرق في كل شيء مم اجتمعت عليه الأمة، ويجب الحمل عليه، وإلا كان النهي عن التفرق في الاعتصام بحبل الله مفيداً لما أفاده الأمر بالاعتصام به فكان تأكيداً^(٤)، والأصل في الكلام التأسيس دون التأكيد»^(٥).

وقال الرازي: «﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ في تأويلها وجوه:

^١ - مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي ٣٨/٨، دار الكتب العلمية - بيروت - ط/الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.

^٢ - آل عمران: ١٠٣.

^٣ - هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الأندلسي الظاهري، أبو محمد شاعر وفيلسوف وفقه. ولد في مدينة قرطبة سنة أربع وثمانين وثلاثمائة للهجرة وكان يلقب القرطبي، نشأ شافعي المذهب ثم انتقل إلى المذهب الظاهري حتى عرف بابن حزم الظاهري، وقد صنف العديد من الكتب وتوفي بقرية منتليشم-الأندلس، سنة ست وخمسين وأربعمئة للهجرة. انظر: سير أعلام النبلاء ١٦٦/٣٥.

^٤ - وقد استدلل ابن حزم بهذه الآية على عدم جواز مخالفة الإجماع بعد انعقاده ٨٣/١، ٨٤.

^٥ - الإحكام في أصول القرآن، لابن حزم ٨٣/١، بتصرف يسير.

الأول: أنه نهى عن الاختلاف في الدين؛ لأن الحق لا يكون إلا واحداً وما عداه يكون جهلاً فلما كان كذلك وجب أن يكون النهي عن الاختلاف في الدين.

الثاني: أنه نهى عن المعادة والمخاصمة فإنهم كانوا في الجاهلية مواظبين على المحاربة والمنازعة فنهاهم الله عنها.

الثالث: أنه نهى عما يوجب الفرقة ويزيل الألفة^(١)، وبمثله قال البيضاوي^(٢).

وقال الألوسي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ جملة تأكيدية بناءً على أن المعنى ولا تتفرقوا عن الحق الذي أمرتم بالاعتصام به، وقيل: لا يقع بينكم شقاق وحروب كما هو مراد المذكّر لکم بأيام الجاهلية، وقيل: لا تتفرقوا عن رسول الله ﷺ^(٣).

وقال ابن عاشور: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ تأكيد لمضمون اعتصموا جميعاً على الوجه الأول في تفسير ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾، وأما على الوجه الثاني فيكون قوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ أمراً ثانياً للدلالة على طلب الاتحاد في الدين وقد ذكرنا أن الشيء قد يؤكد بنفي ضده عند قوله تعالى: ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾^(٤)، وفي الآية دليل على أن الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده^(٥).

ومن خلال أقوال المفسرين يتبين أن المعاني الواردة لجملة: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ كثيرة، والحمل على العموم أولى من الاقتصار على تأكيد مضمون جملة: ﴿وَأَعْتَصِمُوا﴾؛ لأن الجملة حُذِفَ منها المعمول لتبقى مطلقة، ولا يخفى أن فائدة الإطلاق هو العموم، ولا يقصر المعنى إلا بدليل صريح، وعلى ذلك يحمل كلام الشارع الحكيم، وعليه فإن

١ - مفاتيح الغيب ١٤٢/٨.

٢ - أنوار التنزيل ٧٤/٢.

٣ - روح المعاني ١٩/٤.

٤ - الأنعام: ١٤٠.

٥ - التحرير والتنوير ١٧٥/٣.

ورد علينا أمر لم يرد الاعتصام به، ولا العكس فالأصل عدم التفرق لعموم ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، والله أعلم.

٥- التأسيس طريقة لفهم وتفسير كتاب الله تعالى.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ﴾^(١).

قال الماوردي: «قوله تعالى: ﴿فِتْمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ﴾ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» يعني أن اجتماع الأجلين تمام أربعين ليلة، ليدل بذلك على أن العشر هي ليلال وليست ساعات»^(٢).

وقال ابن عطية^(٣): «ثم ردد الأمر بقوله: ﴿فِتْمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ﴾ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»، قيل: ليبين أن العشر لم تكن ساعات، وبالجملة فتأكيد وإيضاح»^(٤).

وقال ابن الجوزي^(٥): «فإن قيل: ما معنى فتم ميقات ربه أربعين ليلة، وقد علم ذلك عند انضمام العشر إلى الثلاثين؟ فالجواب من وجوه:

١- الأعراف: ١٤٢.

٢- النكت والعيون ٢/٢٥٦.

٣- هو القاضي عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، أبو محمد، من أهل غرناطة، أحد القضاة بالبلاد الأندلسية، وصدور رجالها، فقيه مفسر عالم بالشعر، من تصانيفه: المحرر الوجيز في التفسير، ولد سنة إحدى وثمانين وأربعمائة، وتوفي في رمضان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة بمدينة لورقة، انظر: تاريخ قضاة الأندلس للنابهي الأندلسي ١/١٠٩.

٤- المحرر الوجيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ٢/٥١٦، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - لبنان - ط/الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٥- هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، أبو الفرج الواعظ، صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم، وتوفي أبوه وله ثلاث سنين، وكان أوحد وقته في الوعظ وكان حافظا ثقة توفي في ثاني عشر شهر رمضان من سنة سبع وتسعين وخمسمائة، انظر: تكملة الإكمال لمحمد بن عبد الغني البغدادي ٢/٣٨٤، والوافي بالوفيات ٦/٨٠.

أحدها: أنه للتأكيد.

الثاني: ليدل أن العشر ليال لا ساعات.

الثالث: لينفي تمام الثلاثين بالعشر أن تكون من جملة الثلاثين؛ لأنه يجوز أن يسبق إلى الوهم أنها كانت عشرين ليلة فأتمت بعشر»^(١).

وقال ابن عادل: «فَتَمَّ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» في هذه الجملة قولان:

أظهرهما: أنها للتوكيد؛ لأنَّ قوله قبل ذلك: «وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ» فُهِمَ أَنَّهَا أَرْبَعُونَ لَيْلَةً، وقيل: بل هي للتأسيس، لاحتمال أن يتوهم متوهم بعشر ساعات، أو غير ذلك، وهو بعيد»^(٢).

ويرى الباحث من خلال أقوال المفسرين أن جملة: «فَتَمَّ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» إما أن تكون جملة توكيدية لجملة: «وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ»، ويحتمل أن الإتيان بها لنفي أي توهم من أن الإتمام بالعشر هي ساعات، أو أن العشر داخلة ضمن الثلاثين، فيكون المعنى للجملة الثانية مستقل من حيث الوضع؛ فهي لإزالة التوهّمات التي قد يظنها من سمع التمام بعشر، وقد يقال أن هذه الجملة قررت للسامع الأربعين ليلة وأكدها، ولكن الصواب غير هذا؛ لأن الجملة السابقة فيها لبس لم يتحدد المعنى إلا بالجملة الثانية، وعليه فقوله تعالى: «فَتَمَّ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» أفادتنا إفادة مستقلة لم نحصل عليها من الجملة السابقة، فتكون هذه الإفادة أصل في تحديد المعنى، فتحمل على التأسيس، أما لو كانت توكيدية لكان المعنى تابعاً، ومؤكداً للأولى فقط، والله أعلم.

^١ - زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ٢٥٥/٣، المكتب الإسلامي -

بيروت، ط/ الثالثة ١٤٠٤هـ.

٢ - اللباب في علوم الكتاب ٢٩٨/٩.

٦- حسم مادة الخلاف؛ لأن الكلام إذا دار بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى، ولأنه أصل والتأكيد فرع، ومثال ذلك: لفظ (الإيتاء) في قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْضَرِّ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾^(١)، قال الزمخشري: «قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ إما أن يراد باليتامى الصغار وبإيتانهم الأموال أن لا يطمع فيها الأولياء والأوصياء وولاية السوء ويكفوا عنها أيديهم الخاطفة حتى تأتي اليتامى إذا بلغوا سالمة غير محذوفة، وإما أن يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس أو لقرب عهدهم إذا بلغوا بالصغر، على أن فيه إشارة إلى أن لا يؤخر دفع أموالهم إليهم عن حد البلوغ ولا يمتطوا إن أونس منهم الرشد»^(٢).

وقال ابن عاشور: «وظاهر الآية الأمر بدفع المال لليتيم، ولا يجوز في حكم الشرع أن يدفع المال له ما دام مطلقا عليه اسم اليتيم، إذ اليتيم خاص بمن لم يبلغ، وهو حينئذ غير صالح للتصرف في ماله، فتعين تأويل الآية إما بتأويل لفظ الإيتاء، أو بتأويل اليتيم، فلنا أن نؤول ﴿وَأَتُوا﴾ بغير معنى ادفعوا، وذلك بما نقل عن جابر بن زيد أنه قال: نزلت هذه الآية في الذين لا يورثون الصغار مع وجود الكبار في الجاهلية، فيكون ﴿وَأَتُوا﴾ بمعنى عينوا لهم حقوقهم، وليكون هذا الأمر وما يذكر بعده تأسيسات أحكام، لتوكيد بعضها لبعض»^(٣).

وقال الشوكاني: «قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ خطاب للأولياء والأوصياء، والإيتاء: الإعطاء. واليتيم: من لا أب له وقد خصصه الشرع بمن لم يبلغ الحلم، وأطلق اسم اليتيم عليهم عند إعطائهم أموالهم مع أنهم لا يعطونها إلا بعد ارتفاع اسم

١ - النساء: ٢.

٢ - الكشاف ١/٤٩٥.

٣ - التحرير والتوير ٤/١٣.

اليتيم بالبلوغ مجازاً باعتبار ما كانوا عليه، ويجوز أن يراد باليتامى المعنى الحقيقي وبالإيتاء ما يدفعه الأولياء والأوصياء إليهم من النفقة والكسوة لا دفعها جميعها، وهذه الآية مقيدة بالآية الأخرى وهي قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ أَسْتَمُّ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾^(١)، فلا يكون مجرد ارتفاع اليتيم بالبلوغ مسوغاً لدفع أموالهم إليهم حتى يؤنس منهم الرشد»^(٢).

وقال الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ «أمر الله تعالى في هذه الآية الكريمة بإيتاء اليتامى أموالهم، ولم يشترط هنا في ذلك شرطاً، ولكنه بين أن هذا الإيتاء المأمور به مشروط بشرطين: الأول: بلوغ اليتامى.

والثاني: إيناس الرشد منهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَبْلَوْا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنَّ أَسْتَمُّ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾^(٣)، وتسميتهم يتامى في الموضوعين، إنما هو باعتبار يتمهم الذي كانوا متصرفين به قبل البلوغ، إذ لا يتم بعد البلوغ إجماعاً، وإن حمل الإيتاء على معنى دفع الأموال حال يتمهم فيحمل إيتاؤهم أموالهم على إجراء النفقة والكسوة زمن الولاية عليهم»^(٤).

ومن خلال أقوال المفسرين نجد أن الأمر في قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا﴾ يتناول كل من له ولاية أو وصاية أو صلة باليتيم، كما يتناول ولاية الأمر، و﴿اليتامى﴾ جمع يتيم وهو الصغير الذي مات أبوه، والمراد بإيتائهم أموالهم على عدة معاني:

- ١- إعطاء اليتامى أموالهم إذا بلغوا، وتسميتهم يتامى على اعتبار ما كان.
- ٢- بمعنى عينوا لهم حقوقهم، على اعتبار أن بعض العرب كان يمنعهم حقوقهم.

١- النساء: ٦.

٢- فتح القدير ١/٦٣٠.

٣- النساء: ٦.

٤- أضواء البيان ١/٢٢٠، بتصريف يسير.

٣- ما يدفعه الأولياء والأوصياء إليهم من النفقة والكسوة لا دفعها جميعها.

٤- حفظها لهم وعدم الطمع في شيء منها.

وعليه فلو حملنا الإيتاء على (الإعطاء) واليتامى على (الصغار) فلا يصح إعطاؤهم أموالهم إجماعاً، ولو قصد باليتامى الكبار وأن تسميتهم يتامى على اعتبار ما كان، صار حمل جملة الإيتاء هنا مكرراً مع ما سيرد بعده في قوله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الَّتِي نَمَى حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾^(١)، وستكون هذه الجملة توكيدية، ولما كان التأسيس هو الأصل في الدلالات اللفظية، كان حمل الإيتاء في جملة ﴿وَأَتُوا الَّتِي نَمَى أَمْوَالَهُمْ﴾ على الحفظ، وعدم الطمع فيها، والنفقة عليهم منها هو الراجح عند الباحث، ويكون هذا التعبير من باب الكناية بإطلاق اللازم، وهو الإيتاء، وإرادة الملزوم وهو الحفظ، أو من باب المجاز بالمآل إذ الحفظ يؤول إلى الإيتاء، والله أعلم.

٧- التأسيس فيه إثراء لمعاني مادة اللفظ الواحد، ومثال ذلك في تكرار قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾^(٢)، قال القاضي عبد الجبار: «فأما ما ذكره تعالى من إعادة قوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ في سورة المرسلات؛ فلأن ذكره عند قصص مختلفة لم يعد تكراراً؛ لأنه أراد بما ذكره أولاً، ويل يومئذ للمكذبين بهذه القصة، وكلما أعاد قصة مختلفة ذكر مثله على هذا الحد، فهو بمنزلة من يقبل على غيره، وقد قتل جماعة فيقول ويل يومئذ لمن قتل زيداً.. ويل لمن قتل خالدًا ثم يجري الخطاب على هذا النحو في أنه لا يعد تكراراً»^(٣).

١ - النساء: ٦.

٢ - المرسلات: (١٥، ١٩، ٢٤، ٢٨، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٥، ٤٧، ٤٩).

٣ - بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار، لعبد الفتاح لاشين ص ٢٠٤، ٢٠٥.

وقال الإمام السبكي^(١): «عن شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام^(٢) رحمه الله أنه قال: اتفق الأدباء على أن التأكيد في لسان العرب إذا وقع بالتكرار لا يزيد على ثلاث مرات، قال: وأما قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ في جميع السورة فذلك ليس تأكيداً بل كل آية قيل فيها ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ في هذه السورة فالمراد المكذبون بما تقدم ذكره، ثم يذكر الله تعالى معنى آخر ويقول: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي بهذا فلا يجتمعان على معنى واحد فلا تأكيد»^(٣).

وقال أبو البقاء الفتوحى^(٤): «وكذا إذا دار اللفظ بين أن يكون مؤكداً أو مؤسساً فإنه يحمل على تأسيسه نحو قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ في سورة المرسلات فإن جعل تأكيداً لزم تكرار التأكيد أكثر من ثلاث مرات، والعرب لا تزيد

١ - هو على بن عبد الكافي بن على بن تمام السبكي أبو الحسن الشافعي ولد أول يوم من صفر سنة ثلاث وثمانين وستمئة وتفقّه على والده واشتغل على ابن الرفعة وغيره وطلب الحديث ورحل فيه إلى الشام والإسكندرية والحجاز فأخذ عن الحفاظ وتوفى رحمه الله في ثالث جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وسبعمئة، انظر: ذيل تذكرة الحفاظ ١ / ٣٩، والبدر الطالع للشوكاني ١ / ٤٤٦.

٢ - هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن السلمي ولد سنة سبع وسبعين وخمسماية للهجرة في دمشق ونشأ بها، وتفقّه على أكابر علمائها وحيد عصره سلطان العلماء، وبائع السلاطين لم يرى الناس مثله في عصره علماً وشجاعة وزهداً، توفى سنة ستين وستمئة للهجرة. انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهاب ٢ / ١٠٩، و حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي ٢ / ١٦١.

٣ - الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، علي بن عبد الكافي السبكي ١ / ٢٤٧، دار الكتب العلمية-بيروت، ط/الأولى ١٤٠٤هـ.

٤ - هو محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحى، تقي الدين أبو البقاء، الشهير بابن النجار، ولد سنة ثمان وتسعين وثمانمئة، فقيه حنبلي مصري من القضاة، له (منتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات مع شرحه للبهوتي، في فقه الحنابلة، وغيره ومات سنة اثنتين وسبعين وتسعمئة للهجرة. انظر: الأعلام للزركلي ٦ / ٦.

في التأكيد على ثلاث، فيحمل في كل محل على ما تقدم ذلك التكذيب، فيكون الجمع تأسيساً لا تأكيداً»^(١).

قال الزركشي: «وفيما قاله العز بن عبد السلام نظر لما سبق في الإتيان أنه سُمع خمسة مع أنه تأكيد في المعنى، وقال الزمخشري في تفسير سورة الرحمن^(٢): "كانت عادة النبي ﷺ أن يكرر عليهم ما كان يعظ به، وينصح ثلاث مرات وسبعاً، ليركزه في قلوبهم، ويغرزها في صدورهم"، وفي الحديث: (ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت)^(٣)»^(٤).

وهذا النقل لكلام الزركشي هو اعتراض على أن التوكيد مختص بما تكرر ثلاث مرات فقط، أما حمل المكرر على التغيرات في المعنى فلا اعتراض عليه، بل هو الأصل في كلام الشارع إلا لغرض يعرف من خلال حال المخاطب أو المتكلم، وقد نقل لنا من أشعار العرب ما تكرر خمس مرات، وثمان مرات^(٥).

١ - شرح الكوكب المنير، تقي الدين أبوالبقاء محمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحى المعروف بابن النجار ٢٩٧/١، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط/الثانية ١٤١٨-١٩٩٧ م .

٢- لعل الزركشي وهم في ذكر موضع كلام الزمخشري أنه في تفسيره لسورة الرحمن وإنما ذكره في تفسير سورة الزمر: الآية: ٢٣، عند قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا نَقَّصَرْنَا مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾، انظر: تفسير الكشاف ٤ / ١٢٥.

٣- متفق عليه، البخاري باب: ما قيل في شهادة الزور ٩٣٩/٢، برقم (٢٥١١)، ومسلم باب: بيان الكبائر وأكبرها ٦٤/١، برقم (٢٧٠).

٤- البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ١ / ٤٨٦، تحقق: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ط/ الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

٥- قال أبو هلال الحسن العسكري: وهذا كثير في كلام العرب وأشعارهم، قال مهلهل بن ربيعة يرثي أخاه كليبا:

على أن ليس عدلا من كليب ... إذا طرد اليتيم عن الجزور
وذكر المصراع الأول ثمان مرات في أوائل أبيات متتابعة. وقال الحارث بن عياد:
قربا مربط النعامة مني ... لحقت حرب وائل عن حبال

وقال الشنقيطي: «قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ في "المرسلات"، قيل: تكرار اللفظ فيهما تأكيد، وكونه تأسيساً أرجح لما ذكرنا- أن التأسيس أولى من التأكيد- فتحمل (المكذبين) في كل موضع على ما تقدم، فلا يتكرر منها لفظ»^(١).

وقال ابن عجيبة^(٢): «وأما تكرير قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ فقيل: لمعنى التأكيد فقط، وقيل: بل في كل آية منها ما يقتضي التصديق، فجاء الوعيد على التكذيب بذلك، وهذا الآخر هو الصواب»^(٣).

وقال ابن عاشور: «على الوجه الأول في موقع جملة ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ يقدر الكلام يوم إذ يقال لهم ﴿أَلَمْ نُهَبِكِ الْأُولَيْنِ﴾^(٤)، وعلى الوجه الثاني في موقع الجملة يقدر المحذوف المعوض عنه التنوين: يوم إذ ﴿النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾^(٥)، فتكون الجملة تأكيداً لفظياً لنظيرتها التي تقدمت، وعلى الاعتبارين فنقرر معنى الجملتين حاصل؛ لأن اليوم يوم واحد؛ ولأن المكذبين يصدق بالأحياء وبأهل المحشر»^(٦).

ثم كرر قوله: قريبا مربط النعامة مني، في أبيات كثيرة من القصيد. انظر: كتاب الصناعتين، أبي هلال الحسن بن سهل العسكري ص ٦٠، تحقيق: مفيد قحيمو، دار الكتب العلمية بيروت، ط/الثانية ١٤٠٤هـ.

١ - أضواء البيان ٤٤٣/٢، بتصرف يسير.

٢- هو أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجيبة، الحسني الانجري: مفسر صوفي من أهل المغرب، له كتب كثيرة، منها البحر المديد في تفسير القرآن المجيد وغيره، وقد توفي سنة أربع وعشرين ومائتين وألف ودفن ببلدة أنجرة، انظر: معجم المؤلفين ١٦٣/٢، الأعلام للزركلي ١/ ٢٤٥.

٣- البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة ٣١٧/٨، دار الكتب العلمية - بيروت، ط / الثانية ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م.

٤- المرسلات: ١٦.

٥- المرسلات: ٨.

٦- التحرير والتنوير ٣٩٧/٢٩.

وقال ابن عطية الأندلسي: «وأما تكرار قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ في هذه السورة فقيل: إن ذلك لمعنى التأكيد فقط، وقيل: بل في كل آية منها ما يقتضي التصديق فجاء الوعد على التكذيب بذلك الذي في الآية»^(١).

وقال الشوكاني في قوله تعالى: «﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ الويل الهلاك أو هو اسم واد في جهنم وكرر هذه الآية في هذه السورة؛ لأنه قسم الويل بينهم على قدر تكذيبهم فإن لكل مكذب بشيء عذابا سوى تكذيبه بشيء آخر، ورب شيء كذب به هو أعظم جرما من التكذيب بغيره فيقسم له من الويل على قدر ذلك التكذيب»^(٢).

ومن خلال عرض أقوال المفسرين يتبين أن التكرار في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ يحتتمل قولين:

١- تكرار الآية للتوكيد.

٢- الحمل في كل محل على ما تقدم ذلك التكذيب، فيكون الجميع تأسيساً.

وعلى القول الثاني جمهور المفسرين كما هو ظاهر في الأقوال فيكون تقدير كل آية حسب ما قبلها أي: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ الأولى: المكذبين بيوم الفصل، والثانية: المكذبين بهلاك الأولين والمجرمين، والثالثة: المكذبين بأن الله هو الخالق المقدر، وهكذا، فكل ما احتتمل التوكيد والتأسيس في كتاب الله تعالى، فالتأسيس هو الأولى، والله أعلم.

١- المحرر الوجيز ٣٩١/٥.

٢- فتح القدير ٥٠٢/٥.

المبحث الثاني

التوكيد عند المفسرين وأغراضه البلاغية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف التوكيد لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني : أغراض التوكيد البلاغية ، والقدر المتعلق بدراستنا.

المطلب الثالث : التوكيد بالجمل عند المفسرين.

المطلب الأول

تعريف التوكيد لغة واصطلاحاً

أولاً: تعريف التوكيد في اللغة:

أصل التوكيد من شد السَّرَج على ظهر الدابة بالسيور حتى لا تسقط، وتسمى هذه السيور تواكيد، ثم استعمل التوكيد في توثيق العهود، ومن هذا المعنى أخذ لتقوية صدق الكلام الخبري.

قال ابن فارس: «(أكد) الهمزة، والكاف، والdal ليست أصلاً، لأنّ الهمزة مبدلة من واو، أي (وكد) الواو، والكاف، والdal، وهي كلمة تدلُّ على شدِّ وإحكام، وأوكدَ عَدَكَ: أي شدّه، والوكاد: حبل تُشدُّ به البقرة عند الحلب، ويقولون: وكَدَ وكَدَهُ، إذا أمّه وعني به»^(١).

وقال ابن منظور: «(أكد): أكدَّ العهدَ، والعقدَ لغة في وكَّده، وقيل: هو بدل والتأكيد لغة في التوكيد، وقد أكَّدت الشيء ووكَّدته»^(٢).

وفي القاموس المحيط: «وكَدَ: أي أقام وقصد، والعقد أوثقه وأكده، والرجل شده... والتوكيد أفصح من التأکید، وتوكد وتأكّد بمعنى»^(٣).

وقيل: التوكيد في اللغة: «أصله شدُّ السَّرَج على ظهر الدابة بالسيور حتى لا يسقط، وتسمى هذه السيور تواكيد وتأكيد، ثم استعمل التوكيد في توثيق العهود، ومن هذا المعنى اللُّغوي أخذ لتقوية صدق الكلام الخبري بما يؤكده من ألفاظ»^(٤).

١- معجم مقاييس اللغة ١ / ١٣٨.

٢- لسان العرب ٣ / ٧٤.

٣- القاموس المحيط ص ٤١٧ .

٤- البلاغة العربية أساسها وعلومها وفنونها ١ / ١٨٥، ١٨٦.

والخلاصة أن التوكيد في اللغة: هو الشد والإحكام، ويطلق على شد السَّرَج على ظهر الدابة بالسُّيُور حتى لا يسقط، ومنهما أخذ المعنى اللُّغوي في تقوية صدق الكلام الخبري بما يؤكد من ألفاظ.

ثانياً: تعريف التوكيد في الاصطلاح:

التوكيد في الاصطلاح هو: «تقوية مدلول ما ذكر بلفظ آخر، أو تابع يُذكر تقريراً لمتبوعه، بغية رفع احتمال إرادة المجاز، أو رفع احتمال السَّهْو والغلط»^(١).

وعرف التوكيد بأنه: «تمكين المعنى في النفس وتقويته، وإمطة الشبهات عما أنت بصدد الإخبار عنه»^(٢).

وقال أحمد المراغي^(٣): «التوكيد تمكين الشيء في النفس وتقويته، وإمطة الشبهات عما أنت بصدد الإخبار عنه، والمراد في هذا الباب تأكيد الحكم لا تأكيد المسند إليه، ولا تأكيد المسند»^(٤).

وعليه فتعريف المراغي هو الذي يرجحه الباحث لما يكون في هذه الدراسة من التأكيد لمعنى الجملة، كقولنا: (قام زيدٌ، قام زيدٌ) فالتوكيد ليس لزيد وحده، ولا للقيام، بل التوكيد لمعنى الجملة كلها، وهو قيام زيد.

١- التعريفات ص ٧٦، والتوقيف على مهمات التعاريف ص ١٥٦.

٢- اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين العكبري ١/٣٩٤، غازي مختار طليمات، دار الفكر - دمشق، ط ١٩٩٥م.

٣- هو أحمد بن مصطفى المراغي: مفسر مصري، من العلماء، تخرج بدار العلوم سنة تسع وتسعمائة وألف للميلاد، ثم كان مدرس الشريعة الإسلامية بها، وعين أستاذاً للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم وله مؤلفات منها تفسير المراغي وعلوم البلاغة، وغيرها، وتوفي بالقاهرة عام إحدى وسبعين وثلاثمائة وألف للهجرة الموافق (١٩٥٢م)، انظر: الأعلام للزركلي ١/٢٥٨.

٤- علوم البلاغة: "البيان، المعاني، البديع" أحمد مصطفى المراغي ص ٥١، دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى/١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

المطلب الثاني

أغراض التوكيد البلاغية والقدر المتعلق بدراستنا

الفرع الأول: أغراض التوكيد ودواعيه:

أولاً: أغراض التوكيد:

الأصل أن الكلام يكون للتأسيس، وقد يأتي للتوكيد لأغراض معينة. «والغرض من توكيد المتكلم كلامه، إعلام المخاطب بأنه يقول كلامه جازماً، قاصداً لما يدل عليه كلامه، مثبتاً منه... وقد يُؤتى بالتوكيد لأغراض بلاغية غير ما سبق بيانه، كالرد على اعتقاد غير صحيح، وادعاء باطل، وتنزيل المخاطب منزلة منكر ما دل عليه التوكيد، والافتخار، والمدح، والذم، والترحم، والتشجيع، والإشعار بهول الحدث وفضاعته، إلى غير ذلك»^(١).

ثانياً: دواعي التوكيد:

دواعي التوكيد باعتبار المتكلم والمخاطب تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ما ينظر به إلى حالة المخاطب:

١- كان قلب نوح الحليم الرحيم من طبيعته أن يتحرك بعاطفة نحو قومه، فلربما سأل ربه أن يرفع العذاب عنهم، أو يؤخره، كانت حالته تستدعي تأكيد القضاء الرباني بإغراقهم، حتى لا يكون لدى نوح أمل بخلاف ذلك، فقال الله تعالى له: ﴿وَلَا تَحْطَبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾^(٢)، فأكد له أمر إغراقهم بحرف التأكيد "إِنَّ" مراعاة لحالته القلبية الحليمة الرحيمة^(٣).

١- البلاغة العربية أساسها وعلومها وفنونها ١/ ٤٦٦، ٤٦٧، بتصريف يسير.

٢- المؤمنون: ٢٧.

٣- البلاغة العربية أساسها وعلومها وفنونها ١/ ٥٥٣، ٥٥٤، بتصريف يسير.

٢- «أن يكون المخاطب شاكاً متردداً عند ما يوجه له الكلام، وفي هذه الحالة يحسن تقوية الخبر بمؤكد وتزداد المؤكدات بحسب قوة الشك والتردد»^(١)، ومثال ذلك: «أن نوحاً سأل ربه أن ينصره فقال: ﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي﴾»^(٢)، فأوحى الله إليه أن يصنع الفلك، حتى إذا أتمها وجاء أمر الله فإن عليه أولاً أن يسلك فيها من كل زوجين اثنين: وجميع أهله باستثناء من سبق عليه قول الله بأنه من المهلكين بسبب كفره، وأن عليه ثانياً أن لا يسأل ربه في رفع عذاب الهلاك عن قومه، ولما

٣- «أن يُنزل خالي الذهن منزلة المتردد السائل الذي يطلب تأكيد الخبر له، وذلك إذا شعر من مقدمات الكلام بما يشير إلى مضمون الخبر، فاستشرفت نفسه وتطلعت تطلع المستغرب المتردد في قبول الخبر، أو الطالب لما يؤكد له»^(٣)، ومثال ذلك: «قول الله عز وجل لرسوله بشأن الذين اعتروا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾»^(٤)، وبعد هذا الأمر للرسول ﷺ بأن يصلي عليهم، استشرفت نفس الرسول ﷺ للسؤال عن فائدة هذه الصلاة التي يُسمعهم إيّاها، فقال الله له مؤكداً: ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾، فاشتملت هذه الجملة على مؤكدين: (إن) و(الجملة الاسمية)»^(٥).

١- الإيضاح في علوم البلاغة للقرويني ص ٦٩.

٢- المؤمنون: ٢٣.

٣- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ص ٤١، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ط/١٤٢٦، ١٧هـ - ٢٠٠٥م.

٤- التوبة: ١٠٣.

٥- البلاغة العربية أساسها وعلومها وفنونها ١/ ١٣٨، بتصرف.

٤- «تقرير المؤكّد لَدَى من يُوجّه له الكلام، وتمكينه في نفسه، وإزالة ما لديه من شبه حوله، ومثاله قول الله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾^(١)، فإنه إذا كان ملكاً لم يكن بشراً، فإثبات كونه ملكاً تأكيد، وتحقيق لنفي كونه بشراً، ومن التأكيد بالمرادف قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَهْلَهُمْ رُؤْيَا﴾^(٢) «^(٣)»، فمعنى ﴿أَهْلَهُمْ﴾ أي: أنظرهم ولا تعجل، وهو نفس معنى ﴿رُؤْيَا﴾، فيكون قوله: ﴿رُؤْيَا﴾ تأكيد بالمرادف لقوله: ﴿أَهْلَهُمْ﴾، كما أنه قد يأتي التوكيد تقريراً للكلام، وتثبيته في نفس المخاطب، مراعاة لمضمون الكلام الذي تتطلب طبيعته تقريراً وتمكيناً، أو مراعاة لحال من يوجّه له الكلام، كقوله تعالى في مخاطبة النبي ﷺ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾^(٤)، فالمخاطب ﷺ ليس في نفسه إثارة شك في هذا، ولكن التوكيد يهدف إلى زيادة تقرير المعنى في نفسه ﷺ حتى يبلغ به عين اليقين، وفيه تعهد الإيمان الراسخ في يقينه ﷺ حتى ينهض بأثقال الدعوة»^(٥).

٥- «حالة الإنكار لدى من يُوجه له الكلام، وتزداد المؤكّدات بحسب قوة الإنكار، ومثال ذلك: ما ضربه الله مثلاً في قصة أصحاب القرية التي جاءها المرسلون قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾^(٦)، وهذا دال على أن المرسلين الاثنين قالوا لأصحاب القرية: نحن رسولان إليكم، فكذبوهما، فأرسل الله إليهم رسولاً ثالثاً،

١- يوسف: ٣١.

٢- الطارق: ١٧.

٣- علوم البلاغة للمراغي ص ٥٣، بتصريف.

٤- الإنسان: ٢٣.

٥- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، أبو موسى محمد بن محمد ص ٥٦، مكتبة وهبة، ط/السابعة. والبلاغة العربية أساسها وعلومها وفنونها ١/ ٤٦٧، بتصريف يسير.

٦- يس: ١٣، ١٤.

قال الله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِبَالِكٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾^(١)، وهنا نلاحظ أن إنكارهم ناسبه أن يؤكد لهم الكلام، فافتترنت عبارتهم: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ بمؤكدتين: الجملة الاسمية، وحرف "إن" ونلاحظ أيضاً في تقديم المعمول وهو: ﴿إِلَيْكُمْ﴾ من التخصيص أو الاهتمام ما يقوي التوكيد، أي: مرسلون إليكم فقط، لا إلى غيركم، فكان موقف أصحاب القرية ما أبانه الله بقوله: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾^(٢)، فافتضى هذا الإصرار على الإنكار والتكذيب، أن يكون الخطاب مشتملاً على مزيد من التوكيد كما قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٣)، فأضافوا إلى المؤكدات السابقة توكيدتين: الأولى: القسم في ﴿رَبَّنَا يَعْلَمُ﴾، الثاني: اللام المرحقة، التي هي لام الابتداء، زحقت إلى خبر (إن) فهي الداخلة على ﴿مُرْسَلُونَ﴾ فنكاثرت نسبة المؤكدات بحسب الإمعان في التكذيب والإنكار»^(٤).

وعليه فإن عناصر التوكيد تزداد وفقاً لقوة الإنكار وتصاعده في هذا الحوار القرآني الذي يحتاج إلى تأمل، ومراجعة تكشف عن الطبيعة العقلية المعاندة التي اتصف بها ذلك الجيل، وكيف كانت تتحرف في حوارها عن طلب الحقيقة، ومنهج الاحتجاج.

٦- «تنزيل غير المنكر منزلة المنكر إذا بدأ عليه شيء من أمارات الإنكار أو الشك، فيخاطب بأسلوب التوكيد في الأمر الذي لا ينكره»^(٥)، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾^(٦)، أكد إثبات الموت تأكيدتين، وإن كان مما لا ينكر

١- يس: ١٤.

٢- يس: ١٥.

٣- يس: ١٦، ١٧.

٤- خصائص التراكيب ص ٤٣.

٥- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة للصعيدي ص ٤١.

٦- المؤمنون: ١٥.

لتنزيل المخاطبين منزلة من يبالغ في إنكار الموت لتماديهم في الغفلة، والإعراض عن العمل لما بعده، ولهذا قيل: ميتون^(١).

٧- غرس اليقين بتحقق الوعد والوعيد لتزداد النفوس يقينا واطمئناناً، فمثال الوعد قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(٢)، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾^(٣)، وقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِإِنْفِهِمْ ظُلْمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(٤)، ومثله كثير جداً، وفي مقام الوعيد كقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرِدُونَ﴾^(٥) «^(٦).

٨- «دفع توهم المجاز في الفعل ويكون بتأكيد الفعل بمصدره، وهو ما يُسمى "المفعول المطلق" وهو عوضٌ عن تكرار الفعل مرتين، ومثاله: قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾^(٧) أي تكلماً حقيقياً، لا تكلماً مجازياً»^(٨).

٩- التخليط في التخويف والتهديد، ومثاله قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(٩)، فكرر قوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مرتين؛ لأن العرب إذا أرادت التخليط في التخويف والتهديد كرروا الكلمة مرتين^(١٠).

١- البلاغة العربية أساسها وعلومها وفنونها ١/ ٤٦٧، بتصرف.

٢- الحج: ٣٨.

٣- الأنبياء: ١٠١.

٤- الحج: ٣٩.

٥- الأنبياء: ٩٨.

٦- خصائص التراكيب ص ٥٨.

٧- النساء: ١٦٤.

٨- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ١/ ٢٨٨، تحقيق: فؤاد على منصور، دار الكتب العلمية- بيروت، ط/الأولى ١٩٩٨م.

٩- التكاثر: ٣، ٤.

١٠- جامع البيان ٢٤/ ٥٨١، بتصرف.

١٠- «تخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد في أمر علق بهما، كقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾^(١)»،^(٢) والمخصص بزيادة الذكر للتأكيد في الوصية به هنا هو الأم، فإنه فإنه بعد ذكر الوصية بالوالدين شرع في بيان فضلها، وفيه إشارة لزيادة البر بها.

القسم الثاني: ما ينظر فيه إلى حال المتكلم:

١- من أغراض التوكيد ما يدل على مدى انفعال المتكلم بقوله، وتأكيد. ومثاله في الدعاء، قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾^(٣)، فواضح أن هذا التأكيد ينظر فيه إلى حال النفس الراجية، ويدل على مدى انفعالها بهذا الرجاء، وتأكيدا لهذا الدعاء^(٤)، «وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَأَمَنَّا وَإِذَا حَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾^(٥)، قال الزمخشري: فإن قلت: لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية: ﴿ءَأَمَنَّا﴾، وشياطينهم بالاسمية: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ محققة بأن؟ قلت:... وذلك إما لأن أنفسهم لا تساعدكم عليه إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ولا محرك، وهكذا كل قول لم يصدر عن أريحية، وصدق رغبة واعتقاد، وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة، وأما مخاطبة إخوانهم فهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات... والقرار على اعتقاد الكفر، والبعد عن أن يزلوا عنه، على صدق رغبة، ووفور نشاط وارتياح للتكلم به، وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم، فكان مظنة للتحقيق^(٦).

١- لقمان: ١٤.

٢- الإيضاح في علوم البلاغة ص ١٩٥.

٣- آل عمران: ٩.

٤- خصائص التراكيب ص ٥٤ بتصرف.

٥- البقرة: ١٤.

٦- الكشاف ١/١٠٤ بتصرف.

٢- اهتمام المتكلم بالمعنى وأنه مستعظم له وأنه يريد أن ينقله إلى سامعه كما يجده في نفسه، قال في تحليله لبناء قولهم: "شر أهر ذا ناب"، كأنهم سمعوا هريير كلب في وقت لا يهر في مثله إلا لسوء فقالوا ذلك أي: أن الكلب إنما حملة على الهريير شر، فأراد المتكلم أن ينقل الخبر لغيره كما يجده في نفسه»^(١).

٣- «حرص المتكلم على أن يؤنس به نفس المخاطب لغرابة الخبر وإن كانت نفسه لا تتكر الخبر، وإنما هي في حاجة إلى ما يهيئها لقبوله، ومثاله: «قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْسُحَ إِبْرَاهِيمُ بِرَأْسِهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢)، فقد أكد أنني أنا الله رب العالمين ليؤنس نفس موسى عليه السلام بالخبر، ويحبط ما عساه يعلق بالنفس في مثل هذا الموقف، فقد انطلق عليه السلام ليأتي أهله بخبر، أو جذوة من النار لعلهم يصطلون، وبينما هو ذاهب إلى هذا الغرض، فجاء نداء الحق سبحانه من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة، وهذا موقف غريب فاحتاج إلى التوكيد»^(٣).

٤- الإشارة إلى أن الذي كان لم يكن على وفق ظن المتكلم، فكأن نفس المتكلم تتكره فيؤكد له، ومثاله قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾^(٤)، وقد تدخل كلمة إن للدلالة على أن الظن كان من المتكلم في الذي كان أنه لا يكون، كقولك للشيء وهو بمرأى،

١- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن على بن إسماعيل بن سيده المريسي ٩٨/٤، تحقيق: عبد الحميد

هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط/ ٢٠٠٠م.

٢- القصص: ٣٠.

٣- خصائص التراكيب ص ٥٨.

٤- الشعراء: ١١٧.

ومسمع من المخاطب: إنه كان من الأمر ما ترى وأحسننت إلى فلان، ثم إنه فعل جزائي ما ترى، وعليه: «قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ»^(١)؛ لأنها كانت تظن أنها ستضع ذكراً فجاء المولود على غير ما كانت تظن»^(٢).

٥- «إظهار معتقد النفس، وإيرازه لتزداد النفس يقينا به؛ لأن مقامها يقتضي ذلك، ومثاله قوله تعالى: «الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»^(٣)، فإن المصيبة قد تقلق النفس وتهز اليقين، وعندئذ تلوذ نفس المؤمن بكيونتها لله ورجعتها إليه، فتعلن ذلك وتؤكد لتثبت في مواجهة الشدة»^(٤).

هذا وإن أغراض التوكيد ليست محصورة، وما سقناه إنما هو على جهة التمثيل فقط.

الفرع الثاني: القدر المتعلق من التوكيد بدراستنا للجملة القرآنية:

التوكيد الذي نعنيه في دراستنا هذه هو توكيد معنى الجملة بجملة أخرى، ولو لم يكن في ذلك تكرار لأي لفظ من ألفاظ الجملة السابقة، وهو المعبر عنه عند البلاغيين والنحاة بالتوكيد المعنوي، وقد عرّف بأنه: «تمكين المعنى في النفس وتقويته، وإمطة الشبهات عما أنت بصدد الإخبار عنه»^(٥)، والذي تختص به دراستنا هذه ما كان منه في الجمل فقط.

وعليه فإن التوكيد الذي لا يدخل في بحثنا هو:

١- التوكيد المعنوي المحصور في سبعة ألفاظ، وهي: النفس، والعين، وكلا، وكلتا، وكل، وجميع، وعمامة.

١- آل عمران: ٣٦.

٢- البلاغة العربية أساسها وعلومها وفنونها ١/٣٦.

٣- البقرة: ١٥٦.

٤- خصائص التراكيب ص ٥٩.

٥- اللباب في علل البناء والإعراب ١/٣٩٤.

- ٢- توكيد الجمل بحروف تُزاد للتوكيد، وهي: "إِنْ - أَنْ - مَا - مِنْ - الْبَاء" مثل: "مَا إِنْ فَعَلْتَ مَا تَكْرَهُ - لَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ - أَكْرَمْتُكَ مِنْ غَيْرِ مَا مَعْرِفَةٍ - مَا جَاءَنَا مِنْ أَحَدٍ - مَا أَنَا بِمَهْمَلٍ - أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ".
- ٣- التوكيد اللفظي الذي يكون بإعادة المؤكِّد بلفظه أو بمرادفه، سواءً أكان اسماً أم ضميراً أم حرفاً، أما إذا كان التوكيد اللفظي في الجُمْل فإنه محل بحثنا.
- ٤- التوكيد الحاصل بنوعية الجملة، كأن تكون الجملة اسمية أو غير ذلك.
- ٥- التوكيد الحاصل بالتقديم والتأخير في الجملة.
- ٦- صيغ المبالغة التي يوتى بها للتأكيد، مثل: (غَفَّارٌ - شَكُورٌ - رَحِيمٌ - جَبَّارٌ - قَهَّارٌ) إلى غير ذلك من صيغ المبالغة القياسية والسماعية.
- ٧- التوكيد بالمصدر وهو ما يسمى بالمفعول المطلق.

المطلب الثالث

التوكيد بالجمل عند المفسرين

التوكيد هنا ما كان ضد التأسيس، وهو توكيد معنى الجملة بجملة أخرى إذا وجد نص أو قرينة تدل على إرادته، وقد حرص المفسرون على بيانه وبيان أغراضه:

الفرع الأول: التوكيد بالجمل بسبب نص:

١ - جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي.

قال في قوله تعالى: «فَاعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ»^(١)، أي: لا تقربوا جماعهن وهو تأكيد لقوله: «فَاعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ» حتى ينقطع عنهن الدم»^(٢).

٢ - أحمد مصطفى المراغي.

قال في الآية السابقة: «فاتركوا غشيانهن في هذه المدة والسر في هذا التأكيد كبح جماح الرغبة في ملابس النساء ولو وصلت إلى حد الإيذاء، وقد كان بعض الناس يظن أن الاعتزال ترك القرب الحقيقي، لكن السنة بينت أن المحرم إنما هو الوقاع فحسب»^(٣) «^(٤).

١ - البقرة: ٢٢٢.

٢ - زاد المسير ١/٢٤٨.

٣ - حديث انس عن النبي ﷺ: « اصنعوا كل شيء إلا الجماع » رواه مسلم باب جواز غسل رأس زوجها وترجيئه ١/٢٤٦، برقم (٣٠٢).

٤ - تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي ٢/١٥٦، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

٣- الطاهر بن عاشور.

قال في قوله تعالى: ﴿فَاعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾^(١) «جاء النهي عن قربانهن تأكيداً للأمر باعتزالهن وتبييناً للمراد من الاعتزال، وأنه ليس التباعد عن الأزواج بالأبدان كما كان عند اليهود بل هو عدم القربان، فكان مقتضى الظاهر أن تكون جملة: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ﴾ مؤكدة لمضمون جملة ﴿فَاعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ﴾ ومبينة للاعتزال وكلا الأمرين يقتضي الفصل، ولكن خولف مقتضى الظاهر اهتماماً بهذا الحكم ليكون النهي عن القربان مقصوداً بالذات معطوفاً على التشريعات»^(٢).

ومن خلال كلام ابن الجوزي والمراغي وابن عاشور يتبين أنهم حملوا جملة: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ﴾، وجملة: ﴿فَاعْتَرِلُوا النِّسَاءَ﴾ على معنى واحد وهو عدم الجماع، على الرغم أن المعنى اللغوي يمكن أن يحمل على غير هذا المعنى، إلا أن النص الشرعي قصر الجملتين على معنى واحد.

الفرع الثاني: التوكيد بالجمل بسبب قرينة:

١- أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي.

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَصْرِعْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾^(٣)، «﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ توكيد لقوله: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ فالصلاة في الوقتين هي نفسها التي في طرفي النهار، وهما صلاة الفجر وصلاة المغرب، كما اختصت الوسطى بالتوكيد»^(٤).

١- البقرة: ٢٢٢.

٢- التحرير والتنوير ٣٧٥/٢.

٣- طه: ١٣٠.

٤- اللباب في علوم الكتاب ٤٢٤/١٣، بتصرف يسير.

٢- أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبى الغرناطى^(١).

قال فى تفسير قوله تعالى: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ «إشارة إلى الصلوات الخمس عند من قال أن معنى التسبيح: الصلاة، فالتى قبل طلوع الشمس الصبح، والتى قبل غروبها الظهر والعصر، ومن آناء الليل المغرب والعشاء الآخرة وأطراف النهار المغرب والصبح، وكرر الصبح والمغرب فى ذلك تأكيداً للأمر بها»^(٢).

ومن خلال كلام ابن عادل وابن جزي نجد أنهما حملا جملة: ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ على التوكيد لجملة: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ □ لأنه حمل معنى هذه الجملة على صلاتي الفجر والمغرب فجاءت بعدها جملة: ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ فحملها على نفس المعنى توكيداً؛ لحمل معنى التسبيح فى الآية على أنه الصلاة ففرع التسبيح المذكور فى الآية، فتكرر لديهم وقت صلاتين فقالوا بالتوكيد، والله أعلم.

٣- شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني^(٣).

قال فى تفسير قوله تعالى: ﴿حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾^٤ أي: مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه، ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ توكيد لما قبله»^(٤).

١- هو محمد بن احمد بن جزي الكلبى أبو القاسم من أهل غرناطة ولد فى ربيع الثانى من سنة ثلاث وتسعين وستمائة، فقيه، أصولى مالكي من تصانيفه: القوانين الفقهية فى تلخيص مذهب المالكية والتسهيل لعلوم التنزيل، توفى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، انظر: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة ١١/٩، مكتبة المثنى- بيروت، دار إحياء التراث العربى، (بيروت).

٢- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبى الغرناطى المالكي ١٨٤/٢، دار الكتاب العربى- بيروت، ط/ الرابعة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٣- هو محمد بن أحمد شمس الدين، الخطيب الشربيني فقيه شافعى مفسر من أهل القاهرة له تصانيف منها السراج المنير فى التفسير، والإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع وغيرها، توفى سنة سبع وسبعين وتسعمائة، انظر: الأعلام للزركلى ٦ / ٦.

٤- السراج المنير، شمس الدين محمد بن أحمد للشربيني ٤٣٥/٢، دار الكتب العلمية- بيروت، (بدون).

ومن خلال كلام الشربيني يتبين إعماله للتوكيد في الجمل عندما يتعذر الحمل على التأسيس، فقد حمل قوله: ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ على التوكيد لجملة: ﴿حُفَاءَ لِلَّهِ﴾ لأن الشيء يؤكد بنفي ضده، كما سيأتي لاحقاً في الفصل الثالث من الباب الثاني.

٤ - محمد بن علي الشوكاني.

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾^(١)، أي: أضلهم عن الرشد وما هداهم إلى طرق النجاة لأنه قدر أن موسى ومن معه لا يفوتونه لكونهم بين يديه يمشون في طريق يابسة وبين أيديهم البحر وفي قوله: ﴿وَمَا هَدَى﴾ تأكيد لإضلاله؛ لأن المضل قد يرشد من يضلّه في بعض الأمور^(٢).

وفي هذا المثال نجد الشوكاني قد اعتبر جملة: ﴿وَمَا هَدَى﴾ توكيدية لجملة:

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ﴾ لأن عدم الهداية بمعنى الضلال.

ومن خلال عرض الأمثلة السابقة يتبين أن حمل الجمل على التوكيد قد عمل به المفسرون عند تعذر التأسيس في تفسير الآيات وفي الترجيح بين الأقوال الواردة في معاني الألفاظ والجمل، وما ذكرته هنا من الأمثلة سيأتي مفصلاً ومضافاً إليه أقوال المفسرين الآخرين في الباب الثاني إن شاء الله تعالى.

^١ - طه: ٧٩.

^٢ - فتح القدير ٣/٥٤١.

الباب الثاني

التأسيس والتأكيد في الجملة القرآنية

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: التأسيس في تكرار الألفاظ والمعاني.

الفصل الثاني: أثر القرائن في ترجيح قاعدة التأسيس.

الفصل الثالث: التأكيد في الجمل القرآنية.

الفصل الأول

التأسيس في تكرار الألفاظ والمعاني

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التأسيس فيما تكرر بلفظه واختُلفَ في معناه.

المبحث الثاني: التأسيس في تكرار جملة بعينها أكثر من مرة في السورة.

المبحث الثالث: التأسيس فيما اختلفَ لفظه واختُلفَ في تكرار معناه.

المبحث الأول

التأسيس فيما تكرر بلفظه واختُلفَ في معناه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التأسيس فيما تكرر بلفظه واختُلفَ في معناه متصلاً.

المطلب الثاني: التأسيس فيما تكرر بلفظه واختُلفَ في معناه منفصلاً.

المطلب الأول

التأسيس فيما تكرر بلفظه واختلاف في معناه متصلاً

نقصد بالاتصال ههنا تتابع الجملتين من غير فاصل بينهما بحيث تأتي الجملة الثانية بنفس لفظ الأولى، وعلى هذا الأساس سنتناول المعنى المقصود من هذا التكرار عند المفسرين، مقدماً المعنى العام للآيات، ثم أذكر أقوال المفسرين من جهة كون الجملة الثانية تأسيسية أم توكيدية للأولى، ثم أقوم بمناقشة الأقوال والترجيح.

المثال الأول:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْرِضُوا لِلنِّسَاءِ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (١).

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ ذكر المفسرون أن اليهود كانت إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها، ولم يشاربوها، ولم يسكنوا معها في بيت كفعل المجوس فسأل أبو الدحداح رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: [كيف نصنع بالنساء إذا حضن؟ فنزلت الآية ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾] (٢)، والمحيض: الحيض، ﴿قُلْ هُوَ أَذَى﴾ أي: قدر ودم، ﴿فَاعْرِضُوا لِلنِّسَاءِ فِي الْمَحِيضِ﴾ أي: مجامعتهن إذا حضن، ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ أي: ولا تجامعوهن، ﴿حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ﴾ أي: يغتسلن، ومن قرأ ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بالتخفيف أي: ينقطع عنهن الدم، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ اغتسلن، ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾ أي: جامعوهن، ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ بتجنبه في الحيض - وهو الفرج - ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ من الذنوب، ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾

١ - البقرة: ٢٢٢.

٢ - صحيح مسلم، باب: غسل الحائض رأس زوجها وترجيله ١/١٦٩، برقم (٧٢٠).

بالماء من الأحداث والجنابات»^(١).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في تكرار جملة الطهر في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَطْهَرَنَّ فَإِذَا تَطَهَّرَنَّ﴾ هل تفيد التأسيس أم التوكيد إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد من لفظ الطهر في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَطْهَرَنَّ﴾ هو انقطاع الحيض، والطهر الثاني في قوله: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرَنَّ﴾ هو الغسل، ولم يفرقوا باختلاف القراءة، وممن قال بهذا القول: الثعلبي^(٢) في تفسيره^(٣)، وابن عطية الأندلسي^(٤)، وابن جزي^(٥)، وابن عادل^(٦)، والشربيني^(٧)، والشوكاني^(٨)، وابن عاشور^(٩).

١- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن ص ١٦٧، دار القلم- دمشق، والدار الشامية- بيروت، ط/ الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٢- هو أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق: مفسر، من أهل نيسابور له اشتغال بالتاريخ من كتبه عرائس المجالس في قصص الأنبياء، والكشف والبيان في تفسير القرآن، وكان صادقا واعظا موثقا بصيرا بالعربية وتوفى سنة سبع وعشرين وأربعمائة، انظر: سير أعلام النبلاء ٣٣ / ٤٣١.

٣- الكشف والبيان، أحمد بن محمد الثعلبي النيسابوري ١٥٩/٢، تحقيق أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط/ الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

٤- المحرر الوجيز ٢٨٥/١.

٥- التسهيل لعلوم التنزيل ١٤٨/١.

٦- اللباب في علوم الكتاب ٧٤/٤، ٧٥.

٧- السراج المنير ١٢٣/١.

٨- فتح القدير ٣٤٤/١.

٩- التحرير والتنوير ٣٧٥/٢.

وحمل أبو الليث السمرقندي^(١) قراءة التخفيف في قوله: ﴿حَيَّ يَطْهَرَنَّ﴾ على انقطاع الحيض، والطهر الثاني على الغسل^(٢)، وهذا مفيد للتأسيس لتغاير المعنى بين الجملتين على هذه القراءة.
وأدلتهم في ذلك:

أ- الاستدلال بصيغة الفعل؛ لأن قول تعالى: ﴿حَيَّ يَطْهَرَنَّ﴾ أي بانقطاع الدم، وهو ليس من فعلهن، وإنما طَهَّرٌ يجري عليهن فيحمل على انقطاع الحيض، أما قوله: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرَنَّ﴾ أي: اغتسلن، والاعتسال من فعلهن، والعرب تقول: "طَهَّرَتُ المرأة، وطَهَّرَتُ، وإن لم تغتسل بالماء"^(٣).

ب- الأصل هو حمل ألفاظ القرآن على التغاير، وهو أولى من حملها على الترادف، فنحمل الطهر الثاني على معنى غير معنى الأول، والكل سائغ من ناحية اللغة، ومن ناحية الشرع؛ وسبق في تقرير قاعدة التأسيس أن حمل اللفظ على معنى مغاير أولى من حمله على التوكيد^(٤).

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن المقصود بالطهر في الآية هو الغسل فقط،

١- هو نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الليث السمرقندي إمام الهدى له تفسير القرآن وكتاب النوازل في الفقه وخزانة الأكل وتبنيه الغافلين وكتاب بستان العارفين، توفي ليلة الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، انظر: سير أعلام النبلاء ٣٢٣/١٦، والجواهر المضوية في طبقات الحنفية عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد ١٩٦/٢، مير محمد كتب خانة- كراتشي، (بدون).

٢- بحر العلوم ٣/٣١٠، ٣١١.

٣- قال ابن سيده: (وقد طَهَّرَتُ تَطَهَّرْتُ وَطَهَّرْتُ وَهِيَ طَاهِرٌ إِذَا انْقَطَعَ عَنْهَا الدَّمُ)، انظر: المخصص، أبو أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده ٦٨ / ١، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط/ الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

٤- انظر: ص ٦٤ من هذا البحث.

أو انقطاع الحيض فقط، سواء على قراءة التشديد^(١) ﴿حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾، أو على قراءة التخفيف ﴿حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾، وجملة: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ توكيدية، لمعنى جملة: ﴿حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾، وممن قال أنه الغسل فقط ابن جرير الطبري^(٢)، والبيضاوي^(٣)، وممن نقل أنه انقطاع الحيض فقط ابن الجوزي^(٤).

وممن حكى أن معنى الطهر في الآية محمول على الوضوء أو على غسل الفرج ابن جرير الطبري^(٥)، ولم ينتصر لهما، وكلاهما فرع عن الغسل، وكل هذه الأقوال تقتضي بأن الطهر الثاني هو عين معنى الطهر الأول، فيكون إيرادها للتوكيد لا للتأسيس.

وأدلتهم في ذلك:

أ- أن الطهر المذكور هو واحد في الجملتين فيجب أن يكون المعنى واحد إلا بدليل يدل على التغاير، بمعنى كيف نحمل الطهر الأول على معنى ثم نحمل الطهر الثاني على معنى آخر بدون دليل صارف عن المعنى الأول؟!^(٦).

ب- التكرير مراد به التأكيد؛ لأن الغرض هو التشديد على عدم قرب الزوجة حتى تطهر؛ وذلك حتى لا يتساهل الناس في إتيان الزوجة وهي على الصفة المقتضية للتحريم؛ لأن داعي الشهوة مع طول المانع قد يوقع المكلف في الحرام.

١- وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر بتشديد الطاء والهاء والباقون بتخفيفهما، انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/ ٢٥٩، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات للدمياطي ص ٢٨٨.

٢- جامع البيان ٤/ ٣٨٤.

٣- مدارك التنزيل ١/ ٥٠٩.

٤- زاد المسير ١/ ٢٤٨.

٥- جامع البيان ٤/ ٣٨٤.

٦- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد ١/ ٥٨، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده- مصر، ط/ الرابعة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

ج- قراءة التشديد ﴿حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾ تدل على القيام بالفعل، والمقصود الغسل، وقوله: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي: أغتسلن، فتكون هذه الجملة توكيدية، وممن قال بهذا القول: السمرقندي^(١).

د- استدل من قال الطهر بغسل الفرج بقوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا﴾^(٢)، أي: أن المقصود بالطهر الوارد هنا الاستنجاء، فحملوا الطهر الوارد هناك على هذا المعنى، وأما من قال أن الطهر هو الوضوء فاستدل بقوله تعالى: ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمَطَهَّرُونَ﴾^(٣)، وهذا شبيه بالاستدلال السابق، وهو من باب تفسير القرآن ببعضه.

المناقشة والترجيح:

إن استدلال الفريق الأول بأن قوله: ﴿حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾ ليس من فعلهن، وإنما يسلم لهم على قراءة التخفيف، أما على قراءة التشديد، فإنه يكون من فعلهن ولا مانع من حمله على أي نوع من أنواع التطهر، إلا إذا اعتبرنا التخفيف مفسراً للمعنى المراد من قراءة التشديد؛ لأن ذلك سائغ أيضاً في اللغة، فيقال: اطَّهَّرْتُ بمعنى طَهَّرْتُ. والاستدلال باللغة يصح للفريقين، فيقال: (طَهَّرْتُ، وَتَطَهَّرْتُ) بمعنى اغتسلت وبمعنى انقطع حيضها، وعليه فلا مرجح من جهة اللغة.

وأما استدلالهم بالأصل وهو الحمل على تغاير المعنى أولى من الحمل على ترادفه في الجملتين فهو استدلال قوي مدعم بقاعدة التأسيس؛ و«حمل ألفاظ الوحي على التباين أولى من حملها على الترادف»^(٤).

وأما أدلة القائلين بالتوكيد فإن قولهم الأصل في الألفاظ الحمل على معنى واحد

١- بحر العلوم ٣/٣١١، ٣١٠.

٢- التوبة: ١٠٨.

٣- الواقعة: ٧٩.

٤- قواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٤٨١.

الإبقرينة، فلا نسلم لهم بذلك؛ لأن الأصل في الكلام الإفادة وليس الإعادة، وعلى ذلك يحمل كلام العليم الخبير إلا لداعٍ معين من دواعي التوكيد.

وأما استدلالهم بأن غرض التوكيد هو التشديد في عدم إتيانهم حتى يطهرن فالجواب: أن حمل اللفظين على معنيين يفضي إلى نفس المعنى المقصود من التوكيد؛ لأن التشديد في التطهر تشديد في المنع؛ حيث رتب الإتيان على طهرين، وهذا المعنى غير حاصل من التوكيد، وعليه فإن التأسيس أبلغ في التشديد، مع ذكره لمعنى جديد، وتضمنه للمعنى المراد من التوكيد.

وأما من حمل الطهر هنا على الاستنجاء، أو الوضوء فقد أبعد؛ لأن الطهارة من الحيض إنما تكون بالغسل.

والذي يريجه الباحث هو ما ذهب إليه القائلون بالتأسيس؛ لأن الحمل على اختلاف المعنى إذا لم يحصل منه تضاد هو الأولى، لتكون الجملة الثانية مفيدة معنىً جديداً، والحمل على التأسيس أولى من الحمل على التوكيد، والحكم الناتج عن ترجيح التأسيس هو عدم جواز مجامعة الزوجة حتى تغتسل بعد انقطاع الدم، وهو مذهب الجمهور خلافاً لمذهب الحنفية، والله أعلم.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١).

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ أكلوا من الخمر والميسر قبل التحريم، ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ المحرمات، ﴿وَأَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ثُمَّ اتَّقَوْا

١ - المائدة: ٩٣.

وَأَمَّنُوا ﴿١﴾ ثبتوا على التقوى والإيمان، ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسِنُوا﴾ العمل، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ بمعنى أنه يثيبهم»^(١).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في تكرار جملة: ﴿اتَّقُوا﴾ هل تفيد التأسيس أم التوكيد إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس ودليلهم:

ذهب أكثر المفسرين إلى أن إعادة ذكر التقوى ليس فيه تكرار للتوكيد؛ لأن كل جملة لها معنى مغايراً للأخرى، أو يحتمل أن يكون هذا التكرير باعتبار الأوقات الثلاثة، أو باعتبار الحالات الثلاث استعمال الإنسان التقوى والإيمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله تعالى، ولذلك بدل الإيمان بالإحسان في الكرة الثالثة، أو باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى أو باعتبار ما يتقي فإنه ينبغي أن يترك المحرمات توقياً من العقاب، والشبهات تحرزاً عن الوقوع في الحرام، وبعض المباحات تحفظاً للنفس عن الخسة، وممن قال بهذا القول: ابن جرير الطبري^(٢)، والماوردي^(٣)، والبغوي^(٤)، وابن الجوزي^(٥)، والقرطبي^(٦)، في كتابه الجامع لأحكام

^١ - التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد السيد طنطاوي ٤/٢٨٥، الرسالة، ط/ الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

^٢ - جامع البيان ١٠/٥٧٧.

^٣ - النكت والعيون ٢/٦٥.

^٤ - معالم التنزيل ٣/٩٦.

^٥ - زاد المسير ٢/٤٢٠.

^٦ - هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله الأنصاري الأندلسي القرطبي المفسر كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين وقد صنف كتاباً كبيراً سماه كتاب جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي القرآن والكتاب الأسنى في أسماء الله الحسنى وغيرها وتوفى سنة إحدى وسبعين وستمائة، انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ١/١٦٤.

القرآن^(١)، والبيضاوي^(٢)، والخازن^(٣)، والشرييني^(٤)، والآلوسي^(٥)، والشوكاني^(٦)،
واختلفوا في تقدير المعاني المرادة من التكرار، وإليك بعضها على النحو الآتي:

الاتقاء الأول يحتمل:

- ١- الاتقاء بتلقي أمر الله بالقبول والتصديق، والدينونة به، والعمل.
- ٢- أن المراد خوف الله عز و جل.
- ٣- مخاطبة لمن شربها قبل التحريم.
- ٤- اتقوا بالإيمان بالله ونبذ الشرك.
- ٥- اتقوا ما حرم الله تعالى.

والاتقاء الثاني يحتمل:

- ١- اتقاء الخمر والميسر بعد التحريم.
- ٢- الأمر بالدوام على التقوى.
- ٣- خطاب لمن شربها بعد التحريم، وهذا يتضمن النهي عن العودة إليها.
- ٤- الاتقاء بالثبات على التصديق، وترك التبديل والتغيير.
- ٥- اتقوا الكبائر، وازدادوا إيماناً.

والاتقاء الثالث يحتمل:

- ١- اجتنبوا العود إلى الخمر بعد تحريمها.
- ٢- اتقوا ظلم العباد.

^١ - الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي ٢٩٦/٦. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،
دار الكتب المصرية - القاهرة، ط/الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

^٢ - أنوار التنزيل ٢/٣٦٤.

^٣ - لباب التأول في معالم التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المشهور بالخازن
٧٧/٢، دار الفكر - بيروت/لبنان، ط/١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

^٤ - السراج المنير ١/٣١٦.

^٥ - روح المعاني ٤/٣٣.

^٦ - فتح القدير ٢/٣٥٥.

٣- اتقوا الشبهات.

٤- اتقوا جميع المحرمات.

٥- هو الاتقاء بالإحسان بترك الصغائر والتقربُ بنوافل الأعمال^(١).

واستدلوا بالآتي:

أ- الأصل في العطف بين الجمل التغاير بينها في المعنى.

ب- المتعلقات المختلفة للتقوى تدل على اختلاف معانيها.

ج- الأصل الحمل على التأسيس.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى التقوى في الجمل الثلاث هو معنى واحد وهو أداء الطاعات أو اجتناب المحرمات، وممن قال بهذا القول: السيوطي والمحلي^(٢) في تفسير الجلالين^(٣)، وابن عاشور^(٤)، وحكاه الرازي^(٥)، قالوا: وغرض هذا التوكيد التوكيد تنبيه المخاطب على لزومها للأهمية، ولكي يستقر المعنى في نفس السامع فيلزمه.

ودليلهم في ذلك:

أن المعنى الشرعي للتقوى معلوم فلا ينبغي الخروج عنه إلا بصارف.

تنبيه: واحتمل فريق ثالث من علماء التفسير المعنيين السابقين، ولم يجزموا

^١ - النكت والعيون ٢/ ٦٥، و زاد المسير ٢/ ٤٢٠، و الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٩٦، بتصرف.

^٢ - هو محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم المحلي، المصري، الشافعي (جلال الدين) مفسر، فقيه، متكلم، أصولي، نحوي، منطقي، ولد بالقاهرة سنة إحدى وتسعين وسبعمائة للهجرة، من تصانيفه: مختصر التنبيه للشيرازي في فروع الفقه الشافعي، وله تفسير القرآن بالاشتراك مع جلال الدين السيوطي، توفي سنة أربع وستين وثمانمائة، انظر: حسن المحاضرة ١/ ٢٥٢، والبدر الطالع ٢/ ١١٥.

^٣ - تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي و جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ص ١٥٥، الدار الحديث - القاهرة، ط/ الأولى.

^٤ - التحرير والتنوير ٥/ ٢٠٦.

^٥ - مفاتيح الغيب ١٢/ ٦٩.

بأحدهما لاحتمال حمل الآية عندهم على التأسيس أو التوكيد؛ وذلك لعدم قيام المرجح عندهم، منهم: ابن عادل^(١)، والشوكاني^(٢).

المناقشة والترجيح:

ما استدل به الفريق الثاني من أن التقوى مصطلح شرعي لا يتغير فلا يسلم لهم بذلك؛ لأن اللفظ القرآني قد يطلق ويراد به المعنى اللغوي لا الشرعي كلفظ الصلاة، وأيضاً فإن لفظ التقوى وإن كان من المصطلحات الشرعية غير أن العلماء لم يتفقوا في حده بلفظ معين؛ ومرجع هذا الاختلاف المتعلق بحد التقوى شرعاً يرجع إلى اختلاف متعلقات التقوى معنىً، وعليه فإن تقدير معنى التقوى يختلف باختلاف متعلقاتها، ويفهم هذا الاختلاف من دلالة السياق.

وأما قولهم التكرار فائدته التوكيد للزوم التقوى، وغرض هذا التوكيد تنبيه المخاطب على لزومها للأهمية، ولكي يستقر المعنى في نفس السامع فيلزمه، فهذا المعنى حاصل من التأسيس؛ لأن الأمر الإلهي يلزم المكلف من غير توكيد، ويترتب عليه أيضاً الوعد والوعيد وهذا يدفع الناس إلى لزوم الأوامر وترك النواهي، وبهذا التقدير يتأكد لزوم التقوى من جهتين:

إحدهما: ما يقتضيه الأمر الإلهي من اللزوم.

ثانيهما: ما يترتب على مخالفة الأمر من العقاب الشديد.

كما أن أهمية التقوى حاصلة بالتكرار مع تغير المعنى، وبناءً على هذا فلا معنى من نفي حمل لفظ التقوى على معاني متغايرة إلا مجرد التحكم في النص.

وأما الفريق الأول وهم القائلون بالتأسيس فاستدلّهم بالتعاطف المقتضي للمغايرة مع استدلالهم بمتعلقات التقوى، وأن معنى التقوى يفهم بحسب متعلقاتها هو استدلال شديد وسالم عن المعارض؛ لأن التقوى لها معان عدة فيؤخذ منها ما يتناسب

^١ - اللباب في علوم الكتاب ٥١١/٧.

^٢ - فتح القدير ٣٥٥/٢.

مع السياق ومقام الخطاب، وهو الذي يراه الباحث؛ لاحتمال لفظ التقوى لمعان عدة، والأصل في الكلام الإفادة لا الإعادة، والله الموفق.

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَفَيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعَيْسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۚ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ۖ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(١).

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿وَقَفَيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعَيْسَىٰ﴾ أي: جعلناه يقفو آثار النبيين، يعني: بعثناه بعدهم على آثارهم، ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ يصدق أحكامها، ويدعو إليها، ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً﴾ معناه: وهدايا وواعظاً»^(٢).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في تكرار جملة: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ هل تفيد التأسيس أم التوكيد إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس وأدلتهم:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ أي: عيسى مصدق للتوراة، وقوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ أي: الإنجيل مصدق للتوراة، وممن قال بهذا: مقاتل^(٣)، وابن جرير الطبري^(٤)، والسمرقندي^(١)،

١- المائدة: ٤٦.

٢- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ص ٣٢١.

٣- تفسير أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي ١/ ٣٠٣، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية - لبنان، ط/ الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٤- جامع البيان ١٠/ ٣٧٣.

١- بحر العلوم ٤١٨/١.

والبغوي^(١)، وابن الجوزي^(٢)، والرازي^(٣)، والخازن^(٤)، وأبو حيان^(٥)، وابن عادل^(٦)، والشوكاني^(٧)، وابن عاشور^(٨).

وأدلتهم في ذلك:

- ١ - دلالة السياق، فإنه يدل على أن المصدق الثاني هو الإنجيل.
- ٢ - الأصل في التكرار التأسيس، فلا نحمل الجملة الثانية على المعنى السابق.
- ٣ - عود الضمير إلى أقرب مذكور فقوله تعالى: ﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ الضمير في قوله: ﴿فِيهِ﴾ راجع إلى الإنجيل، قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا﴾.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن جملة: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ توكيد للجملة السابقة بلفظها، ومعناها، وممن قال بهذا القول ابن عطية^(٩)، والألوسي^(١٠)، وظاهر كلام ابن كثير^(١١)، واحتمله القرطبي^(١٢)، والشوكاني^(١٣).

^١ - معالم التنزيل ٣ / ٦٤.

^٢ - زاد المسير ٢ / ٣٦٩.

^٣ - مفاتيح الغيب ١٢ / ٣٧٠.

^٤ - لباب التأول ٢ / ٥٩.

^٥ - البحر المحيط ٣ / ٥١٠.

^٦ - اللباب في علوم الكتاب ٧ / ٣٥٨.

^٧ - فتح القدير ٢ / ٣١٧.

^٨ - التحرير والتنوير ٥ / ١٢٠.

^٩ - المحرر الوجيز ٢ / ٢٩٨.

^{١٠} - روح المعاني ٦ / ١٥٠.

^{١١} - تفسير ابن كثير ٣ / ١٢٦.

^{١٢} - الجامع لأحكام القرآن ٦ / ٢٠٨.

^{١٣} - فتح القدير ٢ / ٣١٧.

ودليلهم في ذلك:

- ١- أن الذي يقوم بالتصديق بالتوراة هو عيسى وليس الإنجيل، فتكون جملة: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ حالاً من عيسى مؤكداً للحال الأولى ومقرراً له.
- ٢- أن مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ إلى عيسى.

المناقشة والترجيح:

اتفق العلماء على أن المراد بالمصدق بالتوراة في قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ أنه عيسى ﷺ، واختلفوا في المصدق الثاني في قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ إلى ثلاثة أقوال هي:

- ١- الإنجيل يدعو إلى التصديق بالتوراة.
- ٢- عيسى وكتابه الذي أنزل عليه هما مصدقان لما تقدمهما من التوراة.
- وعلى القولين - الأول والثاني - يكون قوله: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ جملة تأسيسية.
- ٣- أن مصدقاً معطوف على مصدق الأول، فيكون حالاً من عيسى مؤكداً للحال الأول ومقرراً له، وعلى هذا القول تكون جملة: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ توكيدية.

فأما استدلال القائلين بالتوكيد أن عيسى هو الذي يصدق بالتوراة وليس الإنجيل فلا يسلم لهم؛ لأن الإنجيل أيضاً يصدق التوراة بإقرار شرائعه، وأما استدلالهم بأن جملة: (مصدقاً) الثانية معطوفة على جملة: (مصدقاً) الأولى ففيه تكلف، والأصل في التعاطف التغاير، كما أن استدلالهم بعود الضمير في قوله: ﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ إلى عيسى مرجوح؛ لأن الأصل أن يعود الضمير إلى أقرب مذكور وخاصة إذا أفاد التأسيس إلا

لدليل يقوى على معارضة الأصل ولا دليل ههنا.

فيرى الباحث ترجيح القول بالتأسيس لقوة أدلة القائلين به، والتي منها: عود الضمير في قوله: ﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ إلى أقرب مذكور؛ لأنه الأصل، كما أن الأصل في التعاطف إفادة التغاير، والحمل على التأسيس أصل والحمل على التأكيد فرع، فيقدم الحمل على الأصل لا سيما عند اجتماع ثلاثة أصول مع عدم قيام المعارض.

المثال الرابع:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(١).

المعنى العام للآية:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإن كنت يا محمد، لمن الغافلين عن نبأ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم إذ قال لأبيه يعقوب بن إسحاق: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا...﴾؛ يقول: إنني رأيت في منامي أحد عشر كوكبا، والشمس والقمر ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ أي: والشمس والقمر رأيتهم في منامي سجوداً^(٢).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ هل هي جملة تأسيسية أم توكيدية لجملة: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا...﴾ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس:

حمل جمهور أهل العلم قوله تعالى: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ على التأسيس، واختلفوا في معنى هذا التأسيس على قولين:

^١ - يوسف: ٤.

^٢ - جامع البيان ١٥/٥٥٤-٥٥٦، بتصرف.

الأول: حملوا معنى الرؤيا الأولى على أنه رأى أجرام الكواكب، والشمس والقمر، ومعنى الرؤيا الثانية أنه أُخبر بسجودها له، وممن قال بهذا القول: جمهور المفسرين منهم الماوردي^(١)، والخازن^(٢)، والشربيني^(٣).

الثاني: أنه لما قال: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ فكأنه قيل له: وكيف رأيت؟ قال: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ فكلام الرؤيا الثانية عن الحال أو أنها استئناف بياني، وكلاهما من أوجه التأسيس؛ لأن رؤية الشيء مجردة عن الوصف يختلف عن وصفه فقط، وعلى هذا جاء معنى الآية، ففي الموطن الأول أخبر عن رؤيته، وفي الموطن الثاني بين صفة المرئي، وكلا من الحال والبيان إنما المقصود منهما إظهار الصفة على كفيتهما، والتعبير بالحال أو الاستئناف البياني جارٍ على اصطلاح النحاة والمقصود منهما ما سبق بيانهما، وممن قال بهذا القول: الزمخشري^(٤)، والبيضاوي^(٥)، والسمين الحلبي^(٦)، وابن عادل^(٧)، وأبو السعود^(٨) في تفسيره^(٩)، والشوكاني^(١٠)، وابن عاشور^(١١).

١ - النكت والعيون ٧/٣.

٢ - لباب التأويل ٢٦٢/٣.

٣ - السراج المنير ٩٩/٢.

٤ - الكشاف ٤٤٤ / ٢.

٥ - أنوار التنزيل ٢٧٣/٣.

٦ - الدر المصون في علم الكتاب المكنون ٥١٨ / ٤.

٧ - اللباب في علوم الكتاب ١٢/١١.

٨ - محمد بن محمد بن مصطفى العمادي أبو السعود الحنفي، ولد سنة ثمان وتسعين وثمانمائة بقرية قريبة من قسطنطينية، تولى القضاء والفتيا، له إرشاد العقل السليم في التفسير، وحاشيته علي العناية، وغيرها، توفي في جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة هـ، انظر: شذرات الذهب ٣٩٨/٨.

٩ - إرشاد العقل السليم ٤٠٣/٣.

١٠ - فتح القدير ٤/٢.

١١ - التحرير والتنوير ١٣/١٢.

ودليلهم في ذلك:

- ١- دلالة السياق على رؤيا الأجرام التي ذكرها ثم جاء ذكر رؤيا أخرى تبين الهيئة، وهي هيئة السجود فهي استئناف بياني.
- ٢- أن الحمل على التأسيس وهو تغاير المعنى بين الجملتين أولى من التوكيد الذي هو حمل الرؤيا الثانية على أنها عين الأولى، والأصل الوقوف على التأسيس حتى يزحزحنا الدليل.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد:

ذهب بعض المفسرين إلى أن جملة: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ بمعنى جملة: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ فالرؤيا نفسها في الجملتين منامية، وتكرر الفعل تطرية للعهد، وذلك على لغة من قال: (كلمت أخاك كلمته)، توكيداً للفعل بالتكرير، والجملة المبيّنة للهيئة وهي الجملة الثانية بيّنت كيف كانت هذه الكواكب عند رؤيتها أي: رآها وهي ساجدة له، والجملة المبيّنة تحتل التوكيد، وممن قال بهذا القول: ابن جرير الطبري^(١)، وابن عطية^(٢)، والقرطبي^(٣)، وأبو حيان^(٤)، وابن جزي^(٥)، والألوسي^(٦).

المناقشة والترجيح:

من ذهب إلى القول بالتأكيد قال جملة: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ بمعنى جملة: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ فالرؤيا نفسها في الجملتين، وهذا منهم إلزام

^١ - جامع البيان ١٥/٥٥٤-٥٥٦.

^٢ - المحرر الوجيز ٤/٢٤١.

^٣ - الجامع لأحكام القرآن ٩/١٢٢.

^٤ - البحر المحيط ٦/٢٣٨.

^٥ - التسهيل لعلوم التنزيل ١/٧٢٢.

^٦ - روح المعاني ١٢/١٧٩.

بما لا يلزم فزيادة المبنى يدل على زيادة المعنى إلا بدليل يقصر على عدم الزيادة، كما أن الجملة المبينة لما أبهم في سابقتها أفادت معناً جديداً ليس في الأولى والإفادة خير من الإعادة.

والذي يراه الباحث هو القول بأن جملة: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ تأسيسية، فيحمل معنى الرؤيا الأولى على أنه رأى أجرام الكواكب والشمس والقمر، ومعنى الرؤيا الثانية أنه أخبر بسجودها له؛ لأن كلام الرؤيا الثانية عن الحال، أو أنها استئناف بياني يفيد زيادة لم تكن معلومة من الجملة السابقة، والأصل التأسيس حتى يحصل اليقين بضده، والله ولي التوفيق.

المثال الخامس:

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ﴾^(١).

المعنى العام للآية:

قال البقاعي^(٢): «قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ﴾ أي أيها المكذبون بما لنا من العظمة التي لا تعدلها عظمة، ﴿مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾ أي: نطفة مذرة ذليلة، وهو من مهن بالفتح، والمهين: الحقير الضعيف والقليل، ﴿فَجَعَلْنَاهُ﴾ أي: بما لنا من العظمة بالإنزال لذلك الماء في الرحم ﴿فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ أي: محفوظ مما يفسده من الهواء وغيره ومددنا ذلك لأجل التطوير في أطوار الخلقة والتدوير في أدوار الصناعة، ﴿إِلَى قَدَرٍ﴾ أي: مقدار من الزمان

١ - المرسلات: ٢٢، ٢٣.

٢ - هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أديب أصله من البقاع في سورية، ومن تصانيفه نظم الدرر في تناسب الآي والسور يتعلق بعلم التفسير، توفي سنة خمس وثمانين وثمانمائة بدمشق انظر: طبقات المفسرين للأندروني ١ / ٣٤٧.

قدره الله تعالى للولادة ﴿مَعْلُومٍ﴾ أي عندنا من تسعة أشهر للولادة إلى ما فوقها أو دونها لا يعلمه غيره، ولما كان هذا عظيماً ترجمه، وبينه معظماً له بقوله: ﴿فَقَدَرْنَا﴾ أي: بعظمتنا على ذلك، أو فجعلناه على مقدار معلوم من الأرزاق، والآجال، والأعمال، ﴿فَنِعَمَ الْقَدِيرُونَ﴾ نحن القادرون مطلقاً على ذلك وغيره، أو المقدرين في تلك المقادير لما لنا من كمال العظمة بحيث نجعل ذلك بمباشرة من أردناه منه بطوعه واختياره»^(١).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿فَنِعَمَ الْقَدِيرُونَ﴾ هل هي جملة تأسيسية أم توكيدية لجملة: ﴿فَقَدَرْنَا﴾، إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس وأدلتهم:

ذهب كثير من المفسرين إلى أن معنى جملة: ﴿فَقَدَرْنَا﴾ من التقدير للزمن أو للمراحل سواء كانت لزمن الحمل، أو الولادة أو غيرها، وسواء كان بقراءة التخفيف أو التشديد^(٢)، ومعنى جملة: ﴿فَنِعَمَ الْقَدِيرُونَ﴾ من القدرة على الفعل، والتمكن في الملك، أو العكس، أي: أنهم حملوا معنى جملة: ﴿فَقَدَرْنَا﴾ على القدرة على الفعل، وقوله: ﴿فَنِعَمَ الْقَدِيرُونَ﴾ على التقدير للمراحل أو الزمن، فهو لاء قالوا جملة: ﴿فَنِعَمَ الْقَدِيرُونَ﴾ تأسيسية، لتغاير المعنى بين الجملتين، وقد قال هذا القول: ابن جرير الطبري^(٣)، والقرطبي^(٤)،

^١ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ١/٥٥٨، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

^٢ - قرأ نافع والكسائي وأبو جعفر ﴿فقدرونا﴾ بتشديد الدال من التقدير، وقرأ الباقون بالتخفيف من القدرة، انظر: التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني ص ١٣٨، دار الكتاب العربي، ط/الثانية ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

^٣ - جامع البيان ٢٤/١٣٣.

^٤ - معالم التنزيل ٨/٣٠٥.

والآلوسي^(١)، وابن عاشور^(٢)، ورجحه البيهقي^(٣).

وأدلتهم على ذلك:

- ١- الأصل هو الحمل على التأسيس؛ لأن فيه زيادة في المعنى.
- ٢- سياق النص يدل على أن المراد بقوله: ﴿فَقَدَرْنَا﴾ من التقدير للشيء سواء كان في الموصفات أو المدة، فقد قال تعالى: ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾^(٤)، وقال سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾^(٥)، وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٦)، وقوله: ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾^(٧) ثناء من الله تعالى لذاته بما هو أهله، أي: فنعم الموجودون والقادرون على الخلق نحن، وقيل: ﴿فَقَدَرْنَا﴾ من القدرة على الفعل وجملة: ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ من التقدير، وعلى كلا القولين التباين بين الجملتين قائم، فتكون جملة: ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ جملة تأسيسية.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد وأدلتهم:

- ذهب كثير من المفسرين إلى أن معنى جملة: ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ على نفس معنى جملة: ﴿فَقَدَرْنَا﴾ سواء كان على معنى التقدير لمراحل الخلق أو القدرة عليها، فيكون من باب تكرار المعنى المقتضي للتوكيد، ومن ذهب إلى هذا القول: الأصفهاني^(٧) في

١- روح المعاني ١٧٤/٢٩.

٢- التحرير والتنوير ٣٩٩/٢٩.

٣- معالم التنزيل ٣٠٥/٨.

٤- عبس: ١٩.

٥- الفرقان: ٢.

٦- القمر: ٤٩.

٧- هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني أو الأصبهاني المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء، من (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، له مؤلفات عديدة توفي سنة اثنتين وخمسمائة من الهجرة، انظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص ١٩.

في كتابه مفردات ألفاظ القرآن^(١)، والزمخشري^(٢)، والرازي^(٣)، والخازن^(٤)،
والشربيني^(٥)، والشوكاني^(٦).

وأدلتهم في ذلك:

١- أن جملة: ﴿فَقَدَرْنَا﴾ جاءت للمعنى الحاصل قبلها، وهو التقدير لمراحل الخلق.

٢- النصوص القرآنية في السور الأخرى كقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ،

نَقْدِيرًا﴾^(٧)، وقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٨) تبين أن المقصود هو التقدير للمراحل

للمراحل وليس القدرة على الفعل فيستوى المعنى في جملة: ﴿فَقَدَرْنَا﴾ مع معنى

جملة: ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾.

وهناك قول ثالث لمجموعة من المفسرين ذكروا القولين ولم يتبين لهم وجه

الترجيح، منهم: السمرقندي^(٩)، وابن جزي^(١٠)، وابن عادل^(١١)، وابن عجيبة^(١٢).

المناقشة والترجيح:

خلاصة أقوال المفسرين أن جملة: ﴿فَقَدَرْنَا﴾، وجملة: ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ إما أن

١- مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني ٢/٢٢٣، دار القلم دمشق.

٢- الكشاف للزمخشري ٤/٦٨٠.

٣- مفاتيح الغيب ٣٠/٢٣٩.

٤- التسهيل لعلوم التنزيل ٣/٢٦٩.

٥- تفسير السراج المنير ٤/٣٣٨.

٦- فتح القدير ٥/٥٠٣.

٧- الفرقان: ٢.

٨- القمر: ٤٩.

٩- بحر العلوم ٣/٣١٠ / ٣١١.

١٠- لباب التأويل ٧/١٩٧.

١١- اللباب في علوم الكتاب ٢٠/٤٤٠٩.

١٢- البحر المديد ٨/٣١٩.

يتحد معنى القدرة فيهما فيكون المعنى في الجملتين من التقدير، أو من القدرة على الفعل، وعليه فتكون جملة: ﴿فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ﴾ توكيدية لجملة: ﴿فَقَدَرْنَا﴾، وإما أن يختلف المعنى فتكون الجملة تأسيسية، ومجمل أقوال أهل التفسير في المعنى أربعة هي:

- ١- فملكنا فنعم المالكون.
- ٢- فقدّرنا ذلك تقديراً فنعم المقدرون له نحن.
- ٣- فقدّرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن.
- ٤- فقدّرنا على ذلك فنعم المقدرون.

أما على المعنى الأول: فجملة: ﴿فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ﴾ من التقدير، وجملة: ﴿فَقَدَرْنَا﴾ مخففاً من القدرة على الفعل فيكون المعنى: فملكنا فنعم المالكون، فأفادت الكلمتان معنيين متغايرين، أي: قدرنا وقت الولادة وأحوال النطفة في التنقل من حالة إلى حالة حتى صارت بشراً سوياً، أو ﴿فَقَدَرْنَا﴾ من التقدير، أي: قدرنا الشقي والسعيد، أو الطويل والقصير، وقوله: ﴿فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ﴾ من القدرة على الشيء هكذا حكاه القرطبي^(١)، فغاير بين معنى الجملتين في هذا الموطن.

أما التقدير الثاني: فكلا الجملتين على معنى التقدير فيفيد التوكيد.

وأما على التقدير الثالث، والرابع فالمعنى بينهما متغايرٌ يفيد التأسيس. ومن حيث الأدلة فاللغة والسياق يصلحان دليلاً لكلا الفريقين، فنرجع إلى الأصل وهو الحمل على التأسيس؛ لأنه أولى من تكرار المعنى السابق، والله الموفق.

١ - الجامع لأحكام القرآن ١٦٠/١٩، بتصريف.

المطلب الثاني

التأسيس فيما تكرر بلفظه واختلف في معناه منفصلاً

سبق الحديث عن التكرار متصلاً، وبينت هنالك معنى الانقطاع وسيأتي الكلام هنا عن التكرار منفصلاً في مقابل ذكر الاتصال هنالك وعليه فإني أقصد بالانفصال هنا أن تأتي جملة أو أكثر بين جملتين متفتحتين في ألفاظهما ومختلف بين كون الثانية تأسيسية أو توكيدية للأولى.

المثال الأول:

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَا كِنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾^(١).

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ هذه الآية نزلت حين سألت أم أسماء بنت أبي بكر ابنتها أن تعطى شيئاً وهي مشركة فأبت وقالت: حتى أستمُر رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، والمعنى: ليس عليك هدى من خالفك، فمنعهم الصدقة ليدخلوا في الإسلام، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ أي: مال، ﴿فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾ ثوابه، ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ خير، والمراد به الأمر، وقيل: هو خاص في المؤمنين أي: قد علم الله ذلك منكم ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ من مال على فقراء أصحاب الصفة، ﴿يُوفَّ إِلَيْكُمْ﴾ أي: يوفر لكم جزاؤه، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ أي: لا تتقصون من ثواب أعمالكم شيئاً»^(٢)

^١ البقرة: ٢٧٢

^٢ الوجيز للواحد ص ١٩٠

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ﴾ هل هي جملة تأسيسية، أم توكيدية لجملة: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾؟ على قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس ودليلهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى جملة: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾ أي: لأنفسكم جزاؤه في الدنيا، وجملة: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ﴾ أي: في الآخرة، وممن قال بهذا القول: ابن عرفة^(١) في تفسيره^(٢)، والرازي^(٣).
وقيل: الجملة الأولى لبيان الجزاء على النفقة، والثانية: لبيان مقدار الجزاء فتغاير المعنى بينهما فلم يخرج عن إفادة التأسيس، قاله الزمخشري^(٤)، وأبو حيان^(٥)، ابن عاشور^(٦).

ودليلهم في ذلك:

- ١- أن التوفية تدل على الثواب العظيم، وهذا لا يكون إلا في الدار الآخرة.
- ٢- الفصل بين الجملتين والتعاطف مقتضى لتغاير المعنى.
- ٣- دلالة النصوص على أن جزاء الأعمال غير مقصور على الآخرة فقط.

^١ هو محمد بن محمد بن محمد بن عرفة أبو عبد الله الورغمي إلى ورغمة قرية من افريقية التونسي المالكي عالم المغرب المعروف بابن عرفة ولد سنة ست عشرة وسبعمائة ومهر في المعقول والمنقول وصار المرجوع إليه بالمغرب ومات في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانمئة للهجرة. انظر: شذرات الذهب لابن العماد ٣٧/٧، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ٢٤٨/٢.

^٢ تفسير ابن عرفة المالكي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي ٣٥٠/١ تحقيق: د/حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية- تونس، ط/ الأولى ١٩٨٦م.

^٣ مفاتيح الغيب ٧٠/٧.

^٤ الكشاف ٣١٧/١.

^٥ البحر المحيط ٧٠٠/٢.

^٦ التحرير والتنوير ٥٤١/٢.

٤- الحمل على التأسيس أولى من حيث الأصل.

٥- دلالة السياق في الجملة الأولى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾ أي في الدنيا لذكر الإخلاص بعدها بقوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾، أما قوله في الجملة الثانية: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ﴾ أي: في الآخرة؛ لأن الآية بعدها: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تظلمُونَ﴾ وهو ختام للآية يتوافق مع قول الله تعالى عن يوم القيامة: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(١).

٦- من الأدلة أيضاً لأصحاب هذا القول أن الجملة الأولى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾ ألحق الجزاء بفاء التعقيب مما يدل على قرب هذا الجزاء، أما في الجملة الأخرى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ﴾ فلم تأت فاء الترتيب، والتعقيب مما يدل على تأخره عن الأول.

٧- اختلاف المباني في قوله: ﴿فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾، وقوله: ﴿يُوفَّ إِلَيْكُمْ﴾ يدل على اختلاف المعاني.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى جملة: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ﴾ أي لكم جزاؤه في الآخرة، وهو نفس معنى جملة: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾، فتكون الثانية توكيد للجملة الأولى، وممن قال بهذا القول: القرطبي^(٢)، والبيضاوي^(٣)،

^١ غافر: ١٧.

^٢ الجامع لأحكام القرآن ٣/٣٣٩.

^٣ أنوار التنزيل ١/٥٧٢.

والخازن^(١)، وابن عادل^(٢)، والشربيني^(٣)، وأبو السعود^(٤) والآلوسي^(٥)، والشوكاني^(٦).

ودليلهم في ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿يُوفِّ إِلَيْكُمْ﴾ بينت ما أبهم في قوله: ﴿فَلَا تَنْفُسِكُمْ﴾ أنه

توفيه الجزاء، والتبيين لما أبهم نوعاً من التوكيد المعنوي^(٧).

٢- يُستدلُّ لهم أيضاً أن الذهن يصرف جزاء الأعمال المقصود منها الثواب إلى الآخرة فقط.

٣- من أغراض التوكيد حث المخاطب على الفعل وإزالة تردده، والحمل هنا على التوكيد يجعل المتردد والبخيل بالإنفاق يُقدِّمُ عليه، وقد قال الآلوسي في تعليقه للحمل على التوكيد «أي: تُعطون جزاءً وافراً وافياً، والمراد نفي أن يكون لهم عذر في المخالفة للأمر المشار إليه في الأنفاق»^(٨).

٤- هذا التكرار إنما حصل لطول الفصل بجملة: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءً وَجْهِ اللَّهِ﴾، والتكرار لطول الفصل يقتضي التوكيد.

المناقشة والترجيح:

ذهب أكثر المفسرين إلى أن جملة: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ حَيْرٍ يُوفِّ إِلَيْكُمْ﴾ توكيدية،

واستدلوا بأنها بيَّنت قوله: ﴿فَلَا تَنْفُسِكُمْ﴾ في الجملة السابقة، والجواب أن الجملة

^١ لباب التأويل ١ / ٢٠٧.

^٢ اللباب في علوم الكتاب ٤ / ٤٣٠.

^٣ السراج المنير ١ / ٢٠٩.

^٤ إرشاد العقل السليم ١ / ٣٢٩.

^٥ روح المعاني ٢ / ٤٥.

^٦ فتح القدير ١ / ٤٤٢.

^٧ اللباب في علوم الكتاب ١ / ٤٣٠.

^٨ روح المعاني ٣ / ٤٦، بتصرف.

المستأنفة فيها نوع من البيان لما سبقها، ولا يشترط القول بالتوكيد؛ لأن المعنى بين الجملتين غير متماثل، فالجملة الثانية فيها زيادة وهي التوفية التي لم تعلم من الجملة الأولى.

كما أن وجود جملة فاصلة بينهما، وهي قوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ لا شك يُضعف القول بالتوكيد؛ لأن الانتقال إلى موضوع آخر يدل على استيفاء السابق فيكون من باب الأولى أن الذي بعده مغاير للذي قبله.

وأما استدلال من قال بالتوكيد أن التوكيد فيه حث على الإنفاق، فالجواب أن الحمل على التأسيس فيه أن الأجر يكون في الدارين وهذا فيه حث للإنفاق أكثر من الذي قبله؛ لأن النفس تميل إلى الجزاء العاجل أكثر، وأيضاً تعلق أملاً بالمستقبل من خلال الوعد بالجزاء في الآخرة، وكلا المعنيين يقتضي الحث.

وأما أن التكرار يكون لطول الفصل فلا يصح؛ لأن الجملة الأولى وهي: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ﴾ قد أتى جوابها وهو: ﴿فَلَا تُنْفِسْكُمْ﴾ فهي جملة مستقلة عن الجملة الأخرى، كما أن إمكانية الحمل على معنيين متغايرين للجملتين هو الأولى من الحمل على معنى واحد.

وعليه فالذي يراه الباحث أن حمل جملة: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ﴾ على التأسيس هو الراجح جرياً على الأصل، والفصل الواقع بين الجملتين يضعف القول بالتأكيد، ودلالة السياق على وجود جزاء عاجل بعد الإنفاق كما قال تعالى: ﴿فَلَا تُنْفِسْكُمْ﴾، وجزاء آخر يوفى بعد ذلك كما قال تعالى: ﴿يُوفَّ إِلَيْكُمْ﴾ يدل على وجود جزاءين متغايرين، فحمل الجملة الأولى وهي: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ﴾ على الجزاء في الدنيا، أي: لكم نفعه في الدنيا، وقد ورد ما يؤيد ذلك عنه ﷺ: [صنائع المعروف تقي مصارع السوء]^(١)، وقوله ﷺ: [من أحب أن يبسط له

^١ رواه الطبراني في "الكبير" من حديث أبي أمامة ٢٦١/٨، وحسن إسناده المنذري والهيثمي، ورواه في "الأوسط" ١٦٣/٦، والبيهقي في شعب الإيمان ٢٤٤/٣.

في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه^(١)، والجملة الثانية: وهي ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ حَيْرِ يَوْفِ الْيَوْمِ﴾ أي في الآخرة، قال سبحانه: ﴿يَوْمَ يُؤْفِقُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾^(٢) أي: يوم القيامة يوفيهم الله حسابهم وجزاءهم الحق على أعمالهم^(٣)، والله الموفق.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بَلِ... إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^(٤).

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾ أي انهزموا، ﴿مِنْكُمْ﴾ يا معشر المسلمين، ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ جمع المسلمين وجمع المشركين يوم أحد، ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: طلب زلتهم، وقيل: حملهم على الزلة، وهي الخطيئة، ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ أي: بشؤم ذنوبهم، ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ إن الله غفور للذنبيين التائبين، حلیم لا يعاجل من عصاه بالعقوبة»^(٥).

^١ متفق عليه، البخاري باب: من بسط له في الرزق بصلة الرحم برقم: (٥٦٤٠) ومسلم باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها ٨/٨، برقم: (٦٦٨٨)، من حديث أنس بن مالك.

^٢ النور: ٢٥.

^٣ جامع البيان ١٩/١٤١.

^٤ - آل عمران: ١٥٢ - ١٥٥.

^٥ - معالم التنزيل ٢/١١٨ - ١٢٣.

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ هل هي جملة تأسيسية أم توكيدية لجملة: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب جماعة من المفسرين أن معنى العفو الأول في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ غير العفو الثاني في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾، فحملوا الأول: أنه عفو عن الرماة الذين خالفوا أمر رسول الله ﷺ ونزلوا من الجبل، وأما الثاني: فعفو عما كان منهم من الفرار، وممن قال بذلك: ابن جرير الطبري^(١)، وابن كثير^(٢).
وقيل العفو الأول: عن رغبتهم في الغنيمة، وفشلهم في الجهاد، وعدولهم عن الإخلاص، وإنما كانت العقوبة ابتلاء وتمحيص، والعفو الثاني: عدم استئصالهم بسبب جرم المخالفة، وممن قال به: أبو حيان^(٣)، وابن الجوزي^(٤)، والسيوطي^(٥)، ومقاتل^(٦)، ومقاتل^(٦)، وابن جزري^(٧).

ودليلهم في ذلك:

- ١- سياق الآيات ودلالاتها واضحة في ذكر الذنب الأول وهو التنازع والعصيان الذي غفره الله لهم، وفي ذكر الذنب الثاني للذين استزلهم الشيطان الذي استدعى عفواً ومغفرة أخرى غير السابقة.
- ٢- الاستدلال بالأصل، وهو الحمل على اختلاف المعنى.

^١- جامع البيان ١٤٣/٦.

^٢- تفسير ابن كثير ١٤٦/٢.

^٣- البحر المحيط ٣٩٨/٩.

^٤- زاد المسير ١/١٥٢.

^٥- الدر المنثور ٤/٨٤.

^٦- تفسير مقاتل ١/١٩٨.

^٧- التسهيل لعلوم التنزيل ١/٢١٢.

٣- العفو الأول كان لجميع الحاضرين من المسلمين على ما وقع من التنازع والعصيان وحب الدنيا، والعفو الثاني كان للذين استزلهم الشيطان ببعض ما فعلوه من الذنوب والمخالفات فيكون متعلق العفو الأول هم الحاضرون من المسلمين، ومتعلق العفو الثاني هم الذين استزلهم الشيطان.

٤- الخطاب في العفو الأول كان بقوله تعالى: ﴿عَنْكُمْ﴾ لجميع المسلمين الذين ابتلاهم الله في المعركة، وعلى هذا التقدير يكون متعلق العفو أعم مما ذكر في الدليل الثاني؛ لأنه شمل جميع المبطلين في المعركة سواء من الذين كانوا على الجبل أو لم يكونوا على الجبل، أما العفو الثاني فكان بقوله: ﴿عَنْهُمْ﴾، بعد قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ قَدْ..﴾ فدل على أنه عفو للذين تولوا يوم التقى الجمعان، فاختلف المتعلق ههنا.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى حمل العفو في كلا الموضعين على معنى واحد، وخص به جميع الموجودين في الغزوة، وممن قال به: الألوسي^(١)، وابن عاشور^(٢).

ودليلهم في ذلك:

- ١- أن التوكيد فيه حث وإغراء للمذنبين بالتوبة.
- ٢- يمكن أن يستدل لهم بأن العفو واحد، وهو محو الذنوب سواء صغرت هذه الذنوب أو كبرت، بصرف النظر عن سبب الذنب.
- ٣- ذكر المغفرة الخاصة بالذين تولوا بعد ذكر المغفرة العامة بجميع المسلمين الذين شهدوا القتال يدل على التوكيد.

^١ - روح المعاني ٩٩/٤.

^٢ - التحرير والتنوير ٢٦١/٣، ٢٦٢.

المناقشة والترجيح:

من خلال النظر في أدلة الفريقين يرى الباحث أن استدلال من قالوا بالحمل على التأكيد لغرض الحث والإغراء على التوبة، فالجواب: أن القول بالتأسيس واختلاف المعنى فيه من التنويع لمغفرة الذنوب ما يقوم مقام التوكيد مع بقائنا على الأصل، وهو الحمل على الإفادة، وهو أولى من الإعادة.

كما أن استدلالهم بأن العفو عن الذنوب هو واحد لا يتعدد فالجواب أن العفو جاء لذنوب محددة فيحمل ويقيد العفو عليها، وليس عاماً بجميع الذنوب، كما أن تعاطف الجمل يدل على التغاير، والعفو قد يكون بعدم المؤاخظة بالذنب، وقد يكون المعنى عفا عن عقوبتكم أو عفا عن استئصالكم، وقد يكون بتبديل السيئات حسنات، وله صور كثيرة.

واستدلالهم بإيراد الخاص بعد العام أنه يقتضي التوكيد لا يثبت إلا إذا دخل الفريق الثاني بالأول في المغفرة، وهو من مواطن الخلاف، وعليه فالقول بالتأسيس هو الراجح استدلالاً بالأصل والتعاطف المفيد للمغايرة في المعنى والفصل بين الجملتين مع استكمال جواب الجملة الأولى منهما مضعف لجانب القول بالتأكيد.

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً^١ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ^٢ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا^٣﴾ (١).

المعنى العام للآية:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ خطاب للكافة، فهو كقوله: يا بني آدم ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: احذروا أمر ربكم أن تخالفوه فيما أمركم به أو نهاكم عنه، ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ

١ - النساء: ١.

﴿يعني من أصل واحد، وهو آدم أبو البشر عليه السلام، ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني حواء، ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾ نشر وأظهر من آدم وحواء، ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ إنما وصف الرجال بالكثرة دون النساء؛ لأن حال الرجال أتم وأكمل، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ إنما كرر التقوى للتوكيد، وأنه أهل أن يتقى، والتساؤل بالله هو كقولك أسألك بالله، وأحلف عليك بالله، وأستشفع إليك بالله، ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ قرئ بفتح الميم، ومعناه: واتقوا الأرحام أن تقطعوها، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ يعني حافظاً، والرقيب في صفة الله تعالى هو الذي لا يغفل عما خلق فيلحقه نقص^(١).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في معنى التقوى المأمور بها في جملة: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ هل هي نفس معنى التقوى المأمور بها في جملة ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أم يختلف المعنى إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب فريق من العلماء إلى أن معنى التقوى في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ توحيده والاعتراف له بصفات الكمال وتنزيهه عن الشركاء، وهي عامة لجميع الناس مؤمنين وكافرين، والتقوى في قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ تقوى المؤمن بالحدز من التساهل في حقوق الأرحام واليتامى من النساء والرجال.

وقيل: الأمر الأول بالتقوى بمعنى احذروا أيها الناس ربكم في أن تخالفوه فيما أمركم، وفيما نهاكم، فيحل بكم من عقوبته ما لا قبل لكم به، والأمر الثاني بالتقوى بمعنى اتقوا الله الذي تعاقدون وتعاهدون به واتقوا الأرحام أن تقطعوها، وممن قال

^١ - لباب التأويل ١/٤٧٢، ٤٧٣، بتصرف.

بهذا القول: ابن جرير الطبري^(١)، والبخاري^(٢)، وابن عاشور^(٣)، ومحمد رشيد رضا^(٤).

ودليلهم في ذلك:

١- أن الخطاب الأول: عام لجميع المكلفين، وهذا هو الأصح، وأيدوه بثلاثة وجوه:
أ- كون اللام في الناس للاستغراق.

ب- كون جميعهم مخلوقين.

ج- كونهم مأمورين بالتقوى.

والخطاب الثاني تقوى الله في المعاهدات والوصية بالأرحام ولا يكون هذا الخطاب إلا لمن قد صار مسلماً، حكا هذا القول: الآلوسي^(٥).

٢- التعاطف بين الجملتين يقتضى التغاير، كما أن دلالة السياق في الآية تقتضي اختلاف المعنى بين الجملتين.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى التقوى في قوله تعالى: ﴿يَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾، وهو الخوف من الله بتوحيده وامتنال أوامره، والخطاب يشمل جميع المكلفين من المسلمين والكافرين، فتكون الجملة الثانية توكيدية للأولى، وممن قال بهذا القول: القرطبي^(٦)، والخازن^(٧)،

١ - جامع البيان ٧ / ٥٢٣.

٢ - معالم التنزيل ٢ / ١٥٩.

٣ - التحرير والتنوير ٤ / ٨.

٤ - تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا المتوفى: (١٣٥٤) هـ - ٤ / ٢٦٤،

الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط/ ١٩٩٠م

٥ - روح المعاني ٤ / ١٨٣.

٦ - الجامع لأحكام القرآن ٥ / ٢.

٧ - لباب التأويل ١ / ٤٧٢، ٤٧٣.

وأبو حيان^(١)، وابن عادل^(٢)، والآلوسي^(٣).

ودليلهم في ذلك:

أن الأمر بالتقوى محمول كله على العموم، وعلى اعتبار أن الأمر الأول بالتقوى عام لجميع الناس، والثاني خاص بمن أسلم، فمجيء الخاص بعد العام مفيداً للتوكيد.

المناقشة والترجيح:

من قال بأن المعنى في الجملتين واحد حمل جملة: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ على التوكيد لجملة: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: كلا الأمرين بالتقوى بمعنى آمنوا بالله أو بمعنى لزوم الطاعات واجتناب المحرمات، كما أنهم قالوا على اعتبار أن الأمر الثاني بالتقوى خاص إما بالمؤمنين أو خصوصيته من حيث التوجيه الرباني بالحذر من قطع الأرحام، والأول شامل للمؤمنين وغيرهم فالخاص بعد العام يفيد التوكيد، كما أن الخطاب الثاني بالتقوى، وإن كان بلزوم بعض فروع الشريعة فجائز أن يخاطب به غير المسلم، ولكن لا يقبل منه حتى يُسلم، وهذا دليل قوي لمن قال بالتأكيد، لولا أن التعاطف، والفصل بين الجملتين، والسياق الذي فرق بين المخاطبين بالتقوى في الجملتين واختلاف موضوع الجملتين، كل هذا اقتضى اختلاف المعنى، والأصل أن نقف على القول بالتأسيس حتى يدل الدليل السالم عن المعارضة على التوكيد، والله الموفق.

١ - البحر المحيط ٣/١٦٤.

٢ - اللباب في علوم الكتاب ٦/١٣٩.

٣ - روح المعاني ٤/١٨٣.

المبحث الثاني

التأسيس في تكرار جملة بعينها أكثر من مرة في السورة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التأسيس في تكرار جملة بعينها أكثر من مرة في السورة متصلاً.

المطلب الثاني : التأسيس في تكرار جملة بعينها أكثر من مرة في السورة منفصلاً.

المطلب الأول

التأسيس في تكرار جملة بعينها أكثر من مرة في السورة متصلاً

قد مر معنا سابقاً أن الاتصال ههنا تتابع الجملتين من غير فاصل بينهما بحيث تأتي الجملة الثانية بنفس لفظ الأولى، وعلى هذا الأساس سنتناول المعنى المقصود من تكرار جملة بعينها في السورة عند المفسرين حسب الأمثلة الآتية:

المثال الأول:

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(١).

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ ليس الأمر الذي ينبغي أن تكونوا عليه التكاثر، ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عند النزاع سوء عاقبة ما كنتم عليه، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ سوء عاقبة ما كنتم عليه في القبر والتكرير لتأكيد التهديد»^(٢).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ هل هي جملة تأسيسية أم توكيدية لجملة: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب القائلون بالتأسيس إلى أن معنى قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي: إذا نزل بكم الموت، أو إذا سئلتم في القبر، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عند البعث أن ما وعدتم

١- التكاثر: ٣، ٤.

٢- الوجيز للواحي ص ١٢٢٩.

به صدق، وبمعنى آخر: الأولى: ستعلمون في الدنيا، والثانية: ستعلمون في الآخرة، وهو مذهب جمهور المفسرين منهم: أبو الليث السمرقندي^(١)، وأبو حيان^(٢)، والشوكاني^(٣)، ومن المفسرين من حكى هذا القول، ولم ينتصر له، كالماوردي^(٤)، والبيضاوي^(٥)، والشربيني حكاه عن علي عليه السلام^(٦)، وحكاه الشنقيطي^(٧).

وقال بعضهم يحمل قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يعني: الكفار، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يعني: المؤمنين، وممن قال به: البغوي^(٨)، وابن كثير^(٩)، وحكاه الثعلبي^(١٠)، والخازن^(١١)، وأبو حيان^(١٢).

واستدل من حمل الجملتين على التأسيس بالآتي:

- ١- العطف بين الجملتين بـ(ثم) المفيدة للتغاير والمهلة الزمنية.
- ٢- الأصل حمل اللفظ المكرر على الإفادة وهو أولى من الإعادة.
- ٣- حذف معمول ﴿تَعْلَمُونَ﴾ في الجملتين يدل على العموم في كليهما مما يدل على عدم التقييد بمعنى معين لكلا الجملتين، ومعلوم عند أهل التفسير، والأصول أن العموم في كل شيء بحسبه.

١- بحر العلوم ٥٨٨/٣.

٢- البحر المحيط ٣٨٢/٣.

٣- فتح القدير ٦٩٥/٥.

٤- النكت والعيون ٣٣١/٦.

٥- أنوار التنزيل ٥٢٤/٥.

٦- السراج المنير ٦٧٥/٤.

٧- أضواء البيان ٨١/٩.

٨- معالم التنزيل ٥١٨/٨.

٩- تفسير ابن كثير ٤٧٤/٨.

١٠- الكشف والبيان ٢٧٧/١٠.

١١- لباب التأويل ٢٨٦/٧.

١٢- البحر المحيط ٣٨٢/٣.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب كثير من المفسرين إلى أن جملة: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ بمعنى كلا سوف تعلمون إذا متم وصرتم في المقابر أنه ما كان لكم أن تتكاثروا بالأموال وغيرها من حطام الدنيا، وبنفس المعنى حملوا جملة: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وهذا التكرار غرضه التوكيد، وداعي التوكيد هو التخليط في التخويف والتهديد، وقد قال بهذا القول: ابن جرير الطبري^(١)، والثعلبي^(٢)، والماوردي^(٣)، والزمخشري^(٤)، والبيضاوي^(٥)، والخازن^(٦)، والشنقيطي^(٧)، وابن عاشور^(٨).

وقد استدلوا على ذلك بالآتي:

- ١- المقصد في الجملة الأولى هو ردع الناس عن الاشتغال بالتكاثر في شهوات الدنيا عن الآخرة، فكرر الجملة بمعناها الأول؛ لأن العرب إذا أرادت التخليط في التخويف والتهديد كرروا الكلمة، قاله: ابن جرير الطبري^(٩).
- ٢- حذف معمول: ﴿تَعْلَمُونَ﴾ في الجملتين المتعاطفتين يدل على أن المقدر واحد، وعطفه بـ(ثم) يقتضي كون الثاني أقوى من الأول في التهديد والزجر المقتضي للتغاير^(١٠).

١- جامع البيان ٥٨١/٢٤.

٢- الكشف والبيان ٢٧٧/١٠.

٣- النكت والعيون ٣٣١/٦.

٤- الكشف للزمخشري ٧٩٨/٤.

٥- أنوار التنزيل ٥٢٤/٥.

٦- لباب التأويل ٢٨٦/٧.

٧- أضواء البيان ٨١/٩.

٨- التحرير والتنوير ٤٥٨/٣٠.

٩- جامع البيان ٥٨١/٢٤.

١٠- التحرير والتنوير ٤٥٨/٣٠، بتصرف.

المناقشة والترجيح:

الأصل في العطف التغاير إلا لدليل يقتضي إرادة نفس المعنى لغرض من أغراض التوكيد، كالتقرير، أو التهديد، أو غير ذلك^(١).
وأما استدلال الفريقين بحذف المعمول ليفيد الترادف أو التباين فهو محتمل للفريقين وهو أقرب إلى التوكيد إلا لقرينة تفرق بين متعلق المعمولين.
وأما استدلال من قال أن التكرار للتوكيد والمقصود هو ردع الناس وتخويفهم، وأن أسلوب العرب في ذلك هو تأكيد المعنى السابق.
فالجواب: أن الحمل على تغاير المعنى يؤدي نفس الغرض ويزيد عليه بالتخويف من عدة أمور، كالقبر، والنار، وهو أولى من التخويف بأمر واحد مكرراً.
وعليه فالحمل على التأسيس هو ما يرجحه الباحث لدلالته على معنى جديد مع بقاء علة التأكيد من التهديد والتخويف، كما أن الأصل في العطف الدلالة على تغاير المعنى، والأصل أن الحمل على التأسيس أولى من الحمل على التوكيد، والله الموفق.

المثال الثاني:

قوله تعالى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِ﴾^(٢).

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ نزلت في رهط من قريش قالوا للنبي ﷺ تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة فأنزل الله هذه السورة ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ في الحال، ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ في الحال ما أعبد، ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ في الاستقبال، ﴿مَا

^١ - روح المعاني ٤١/١١.

^٢ - سورة الكافرون: ١-٦.

عَبُدْتُمْ ، ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ في الاستقبال، ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ فنفي عنهم عبادة الله في الحال وفيما يستقبل، وهذا في قوم أعلمه الله أنهم لا يؤمنون، ونفي أيضاً عن نفسه عبادة الأصنام في الحال، وفيما يستقبل؛ لبيئسوا في ذلك، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الشرك، ﴿وَلِي دِينِ﴾ الإسلام، وهذا قبل أن يؤمر بالحرب»^(١).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في التكرار الحاصل في جُمَل هذه السورة، هل محمول على اختلاف المعنى أم على ترادفه؟ بمعنى: هل جملة: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ تؤكد جملة: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، أم تحمل على معنى مغاير فنقيض التأسيس؟ كذلك جملة: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾^(٢) هل هي جملة تأسيسية أم مؤكدة لجملة: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾^(٣)؟ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب جمهور المفسرين إلى تغاير معنى الجمل المكررة في هذه السورة فحملوا جملة: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ من الآلهة والأوثان الآن في الزمن الحاضر، وجملة: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ في المستقبل، وتكرار جملة: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ محمولة الأولى على الحال، أي: لا أعبد الآن ما تعبدون، والثانية على المستقبل، أي: لا أعبد في الزمن القادم معبوداتكم، وممن قال بهذا: ابن جرير الطبري^(٤)، والماوردي^(٥)،

١ - الوجيز للواحي ص ١١٤٥.

٢ - الكافرون: ٥.

٣ - الكافرون: ٣.

٤ - جامع البيان ٢٤/٦٦٣، ٦٦١.

٥ - النكت والعيون ٦/٣٥٨.

والواحدي^(١) في تفسيره^(٢)، والزمخشري^(٣)، وابن عطية^(٤)، وحكاه القرطبي^(٥)، وأبوحيان^(٦)، وابن عادل^(٧)، والشربيني^(٨)، ورجحه أبو السعود^(٩)، والشوكاني^(١٠)، والشوكاني^(١٠)، وابن عاشور^(١١).

وقال قوم: أن (ما) في الجملتين الأوليين اسم موصول بمعنى الذي، أي: لا أعبد الذي تعبدون، ولا أنتم عابدون الذي أعبد، فتكونان في المعبود، أما (ما) في الجملتين الأخريين فهما مصدريتان، أي: لا أعبد عبادتكم المبنية على الشرك ولا أنتم تعبدون مثل عبادتي المبنية على اليقين فيزول التكرار، حكا هذا القول أبو حيان^(١٢)، وابن عادل^(١٣)، وأبو السعود^(١٤).

وأدلتهم في ذلك:

١- اختلاف صيغة الجمل الواردة، فبعضها بصيغة الحال: ﴿لَا أَعْبُدُ﴾، وبعضها بصيغة الاستقبال: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ واختلاف المبنى يدل على اختلاف المعنى.

١ - هو علي بن أحمد بن محمد أبو الحسن الواحدي العلامة، النيسابوري، الشافعي، صاحب التفسير وإمام علماء التأويل، صنف التفاسير الثلاثة: البسيط، والوسيط، والوجيز ومات بنيسابور سنة ثمان وستين وأربعمائة. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٣٩/١٨، وطبقات الشافعية الكبرى ٢٤٠/٥.

٢ - الوجيز للواحد ص ١١٤٥.

٣ - الكشف ٤/ ٨٠٩.

٤ - المحرر الوجيز ٦/ ٦٤.

٥ - الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٢٨.

٦ - البحر المحيط ٨/ ٥٢٢.

٧ - اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٥٣١، ٥٣٢.

٨ - السراج المنير ٤/ ٤٣٩.

٩ - إرشاد العقل السليم ٩/ ٢٠٦، ٢٠٧.

١٠ - فتح القدير ٨/ ٧٣.

١١ - التحرير والتنوير ٣٠/ ٥١١.

١٢ - البحر المحيط ٨/ ٥٢٢.

١٣ - اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٥٣١، ٥٣٢.

١٤ - تفسير أبو السعود ٩/ ٢٠٦، ٢٠٧.

٢- أن (ما) موصولة في الجملتين الأوليين، ومصدرية في الآخرين، وهذا دال على التغاير.

٣- عطف الجمل على بعضها لمناسبة نفي أن يعبدوا الله، فأردف بنفي أن يعبد هو آلهتهم، وعطفه بالواو صارف عن أن يكون المقصود به التوكيد؛ لأن العطف يدل على التغاير، قاله ابن عاشور^(١).

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن جملة: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ توكيد لجملة: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، وجملة: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ﴾ ثانياً توكيد لقوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ﴾ وفائدة التوكيد هنا قطع أطماع الكفار، وتحقيق الإخبار بإقامتهم على الكفر، وأنهم لا يُسلمون أبداً، وممن قال بهذا القول: البغوي^(٢)، وحكاه القرطبي^(٣)، وأبو حيان^(٤)، وابن عادل^(٥)، والشربيني^(٦).

وأدلتهم في ذلك:

١- أن القرآن جاء على أساليب كلام العرب، فأتى هنا التكرار للتوكيد بغرض قطع آمال الكافرين في المساومة على عبادة آلهتهم.

٢- أن من مذاهب العرب الاختصار لإرادة التخفيف والإيجاز، فيؤتى بالتوكيد لهذه الأغراض، وهذه قاعدة عامة إلا أن الشربيني استدل بها في هذا الموطن لتأكيد كون المراد هنا هو التوكيد.

١ - التحرير والتنوير ٥١١/٣٠.

٢ - معالم التنزيل ٥٦٤ / ٨.

٣ - الجامع لأحكام القرآن ٢٢٨/٢٠.

٤ - البحر المحيط ٥٢٢/٨.

٥ - اللباب في علوم الكتاب ٥٣١/٢٠، ٥٣٢.

٦ - السراج المنير ٤٣٩/٤.

المناقشة والترجيح:

من استدل بأساليب العرب للقول بالتأكيد لقطع آمال الكافرين في المساومة على عبادة آلهتهم.

فالجواب: نعم هذا أسلوب عربي، لكنه يفتقر إلى قرينة؛ لأن الأصل في الكلام هو الحمل على تغاير المعنى، بل إن قطع آمال الكافرين في المساومة على عبادة آلهتهم بقولنا بالتأسيس أشد منه؛ لأنه نفي لعبادة ما يعبدون في الحاضر والمستقبل. وأما أن هذا أسلوب عربي للتخفيف والإيجاز فليس الإيجاز محموداً دائماً فوضعه في موضع يقتضى الإطناب مشينٌ والعكس صحيح.

ومن قال بالتأسيس فاستدل بأن (ما) موصولة في الجملتين الأوليين، ومصدرية في الأخيرين، وهذا دال على التغاير؛ لأن المصدر يدل على الحدث مجرداً عن الزمان بخلاف الفعل وعامله فيدل كل منهما على الحدث والزمن المقدر فيه الحدث، ولكن الفريق الآخر لا يسلم لهم بذلك، وهذا لا يعدوا أن يكون توجيه منهم لما ذهبوا إليه من الحمل على التأسيس.

والذي يراه الباحث هو الحمل على التأسيس؛ لأن قوله: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ عطف على ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ عطف الجملة على الجملة لمناسبة نفي أن يعبدوا الله فأردف بنفي أن يعبد هو آلهتهم، وعطفه بالواو صارف عن أن يكون المقصود به تأكيد ﴿لَا أَعْبُدُ مَّا تَعْبُدُونَ﴾، فجاء به على طريقة ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ بالجملة الاسمية للدلالة على الثبات، ويكون الخبر اسم فاعل دالا على زمان الحال، فلما نفي عن نفسه أن يعبد في المستقبل ما يعبدونه بقوله: ﴿لَا أَعْبُدُ مَّا تَعْبُدُونَ﴾ كما تقدم أنفاً، صرح هنا بما تقتضيه دلالة الفحوى على نفي أن يعبد آلهتهم في الحال، بما هو صريح الدلالة على ذلك؛ لأن المقام يقتضي زيادة في البيان، فاقتضى الاعتماد على دلالة المنطوق إطناباً في الكلام، لتأيسهم مما راودوه عليه، ولمقابلة كلامهم المرود بمثله في إفادة الثبات، وحصل من ذلك تقرير المعنى السابق وتأكيده، تبعاً

لمدلول الجملة لا لموقعها؛ لأن موقعها أنها عطف على جملة: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ "وليس توكيداً لجملة: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ بمرادفها؛ لأن التوكيد للفظ بالمرادف لا يعرف إلا في المفردات^(١)، والله الموفق.

١ - التحرير والتنوير ٥١١/٣٠.

المطلب الثاني

التأسيس في تكرار جملة بعينها أكثر من مرة في السورة منفصلاً

المثال الأول:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾^(١).

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾؟ استفهام تعظيم وتعجب، لتوجيه قلوب السامعين للإصغاء إلى ما يُلقى إليهم قبل ذكره؛ لتهويله وتعظيمه أي: كان عذابي وإنذاري لهم على هيئة هائلة، لا يُحيط بها الوصف، والنذر: جمع نذير، وإنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله»^(٢).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في تكرار جملة: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ هل يفيد التأسيس أم التأكيد؟ على قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن تكرار جملة: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ ليس تأكيداً، وإنما تكررت أربع مرات لمعان مختلفة هي:
الأول: كان بعد ذكر إغراق قوم نوح، فيكون المعنى: فكيف كان عذابي لقوم نوح ونذري؟!
الثاني: لتحذير قوم عاد قبل العذاب والخزي بما يحيق بهم في الدنيا.

^١ - القمر: ١٦، ١٨، ٢١، ٣٠.

^٢ - البحر المديد ٦/١٩١، ١٩٢.

والثالث: لتحذير غيرهم بعد هلاكهم وما يحق بهم في العقبي، كما قال تعالى:
﴿لِنُذِقَهُمُ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾^(١).

الرابع: بعد عصيان قوم صالح بعقر الناقة فجاءت الآية مبينة للعذاب الذي نزل بقوم صالح، وبذلك لم يحصل أي تكرار للجمل، وممن قال بهذا القول: ابن جرير الطبري^(٢)، والبغوي^(٣)، وأبو السعود^(٤)، وإسماعيل حقي^(٥) في تفسيره^(٦)، والآلوسي^(٧)، والشوكاني^(٨).

ودليلهم في ذلك:

- ١- أن عذاب كل أمة كان مختلفاً عن عذاب الأمم الأخرى فيترتب عليه اختلاف معنى العذاب فلا تكرار، كما أن الحمل على عذاب الدنيا يختلف عن عذاب العقبي في حق قوم عاد.
- ٢- الحمل على اختلاف المعنى هو الأولى في كلام العليم الحكيم، إلا بقريئة تصرف من الإفادة إلى الإعادة.

١- فصلت: ١٦.

٢- جامع البيان ٢٢ / ٥٩٣.

٣- معالم التنزيل ٧ / ٤٣١.

٤- إرشاد العقل السليم ٦ / ٢٣٩.

٥- هو إسماعيل حقي بن مصطفى الاسلامبولي الحنفي، أبو الفداء: متصوف مفسر، تركي، ولد في آيدوس وسكن القسطنطينية، وكان من أتباع الطريقة (الخلوتية) فنفي إلى تكفور طاع، وأوذي وعاد إلى بروسة فمات فيها. له كتب عربية وتركية. فمن العربية روح البيان في تفسير القرآن ويعرف بتفسير حقي، وغيره، ومات في سنة سبع وعشرين ومائة وألف. انظر: الأعلام للزركلي ١ / ٣١٣.

٦- روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي ٩ / ٢٢٦، دار إحياء التراث، (بدون).

٧- روح المعاني ١٤ / ٨٦.

٨- فتح القدير ٧ / ٩٥.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن تكرار جملة: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾؟ للتهديد، والتخويف، والتذكير، والتنبيه لمشركي العرب أن يحل بهم ما حل بالأمم قبلهم، فحملوا تطابق الألفاظ على تطابق المعاني، وممن قال بهذا القول: ابن عطية^(١)، والثعالبي^(٢)، وابن عاشور^(٣).

ودليلهم في ذلك:

أن جملة: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾؟ جاءت في معنى التذييل^(٤)، وهو تعريض بتهديد المشركين أن يصيبهم عذاب جزاء تكذيبهم الرسول ﷺ، وإعراضهم، وأذاهم كما أصاب قوم نوح وغيرهم، فاقترضى التكرار توكيد هذا التهديد، والتخويف.

المناقشة والترجيح:

من قال أن تكرار هذه الجملة للتوكيد نظر إلى الألفاظ المتكررة، وأسلوب التهديد والتحويل والتخويف وَهَزُّ النُفُوسِ بما حل بالأمم الماضية ليتعظ كفار العرب فيدخلوا في الإسلام؛ فيكون هذا التكرار للتوكيد؛ ولكن القول بالتأسيس: يحمل أيضاً معنى التهديد ويؤكد، ويزيد عليه بحمل لفظ العذاب على عدة أنواع، وفيه زيادة في التهديد غير موجودة في حملنا العذاب على معنى واحد مكرراً.

وأما استدلالهم أن التكرار للجملة في نهاية ذكر القصص في معنى التذييل وهو يفيد التوكيد، فبعض هذه الجمل لم تكن تذييلاً، وعليه فلا تكون توكيداً.

وأما استدلال من قال بتكرار الآية مرتين في حق قوم عاد بأن الأول: لما حاق بهم في الدنيا، والثاني: لما يحيق بهم في الآخرة، يردُّه ترتيبُ الثاني على العذابِ الدنيويِّ.

١ - المحرر الوجيز ٦ / ٢٤٥.

٢ - الجواهر الحسان ٤ / ٢٢.

٣ - التحرير والتنوير ١ / ٤٢٢٥.

٤ - التذييل: هو ختم الكلام بجملة تؤكد ما قبلها، وسيأتي الكلام عنه مفصلاً ص .

والذي يراه الباحث هو الحمل على التأسيس، لضعف أدلة القائلين بالتوكيد؛ لأن الأصل في الكلام حمله على التأسيس، وهو الذي لا نتزحزح عنه حتى يثبت لنا خلافه، فيحمل الاستفهام في كل موضع على ما تقدم من العذاب الذي حل بتلك الأمة فلا يتكرر منها لفظ، والله الموفق.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ تُكذِّبَانِ﴾^(١).

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ تُكذِّبَانِ﴾: فبأي نعم ربكما معشر الجن والإنس من هذه النعم تكذبان»^(٢).

أقوال المفسرين في تكرار الآية:

اختلف المفسرون في تكرار قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ تُكذِّبَانِ﴾ هل يفيد التأسيس أم التوكيد؟ على قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب القائلون بالتأسيس إلى أن كل موضع ذكر فيه قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ تُكذِّبَانِ﴾ يرجع إلى معنى الآية التي قبله، فتحمل الآلاء في كل موضع على ما تقدم قبل لفظ ذلك التكذيب فلا يتكرر منها لفظ، وممن قال بهذا القول: ابن جرير الطبري^(٣)، والنيسابوري^(١)، والبقاعي^(٢)، والشربيني^(٣)، والألوسي^(٤)، وابن عاشور^(٥)

١ - الرحمن: ١٣.

٢ - جامع البيان: ٢٢/٢٢.

٣ - المصدر نفسه: ٢٢/٢٣.

عاشور^(٥) والشنقيطي^(٦)، وحكاه كل من: ابن عطية^(٧)، وأبو حيان^(٨)، وابن جزي^(٩)، والشوكاني^(١٠).

وأدلتهم في ذلك:

١- أن هذا التكرار كان بسبب اختلاف النعم لطرده الغفلة فتحمل كل آية منها على النعمة التي قبلها.

٢- أن الأصل هو الحمل على تباين المعاني، فنحمل تكرار الآية على المعاني المختلفة.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن تكرار قوله: ﴿فَبِأَيِّ آءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ لتقرير النعم، وتأکید التذكير بها، وتنبيهها للنفوس وتحريكاً لها على عادة العرب في التأكيد، وممن قال بهذا القول:

ابن عطية^(١)، وابن الجوزي^(٢)، والرازي^(٣)، وابن جزي^(٤)، والخازن^(٥)، وأبو حيان^(٦)، وابن عادل^(٧)، والشوكاني^(٨).

١ - غرائب القرآن ورجائب الفرقان ١/ ٤٣٥.

٢ - نظم الدرر ٧/ ٣٧٨.

٣ - السراج المنير ٤/ ١٠٨.

٤ - روح المعاني ٢٧/ ٩٧.

٥ - التحرير والتنوير ٢٧/ ٢٣٠.

٦ - أضواء البيان ٢/ ٤٤٣.

٧ - المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٦.

٨ - البحر المحيط ٨/ ١٨٤.

٩ - التسهيل لعلوم التنزيل ٣/ ١١٠.

١٠ - فتح القدير ٥/ ١٨٨.

ودليلهم في ذلك: أن الأصل في التكرار أنه للتقرير والتفريع، ولا يبالغ الإنسان في استخراج الأمور البعيدة كما قال الرازي.

المناقشة والتفريع:

من قال أن تكرار هذه الجملة للتوكيد نظر إلى الألفاظ المتكررة، وأسلوب التقرير أو التوبيخ حسب غرض التوكيد كما تصوره أكثر المفسرين. ومن ذهب إلى أن هذا التكرار ليس للتوكيد نظر إلى المعاني، وتعلق كل جملة من الجمل المكررة بمعنى الجملة قبلها، فتحمل الآلاء في كل موضع على ما تقدم من النعمة أو المنة التي سبقتها قبل لفظ ذلك التكذيب، فلا يتكرر منها لفظ، وهذا ينطبق على كل تكرار لقوله تعالى: ﴿فَأَيُّ آءِآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٩)، وهذا هو الراجح؛ لأن الحمل على التأسيس فيه إفادة، كما أن فائدة التوكيد موجودة على أقوى صورها فبدلاً من التقرير والتأكيد لنعمة واحدة، يكون التأكيد والتفريع على نعم متعددة، والله الموفق.

١- المحرر الوجيز ٢٠٦/٥.

٢- زاد المسير ١١٠/٨.

٣- مفاتيح الغيب ٨٥/٢٩.

٤- التسهيل لعلوم التنزيل ١١٠/٣.

٥- لباب التأويل ٣/٧.

٦- البحر المحيط ١٨٤/٨.

٧- اللباب في علوم الكتاب ٣١١/١٨.

٨- فتح القدير ١٨٨/٥.

٩- المرسلات: ١٩.

المبحث الثالث

التأسيس فيما اختلفَ لفظه واختلفَ في تكرار معناه

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التأسيس فيما اختلفَ لفظه واختلفَ في تكرار معناه متصلاً .

المطلب الثاني : التأسيس فيما اختلفَ لفظه واختلفَ في تكرار معناه منفصلاً .

المطلب الأول

التأسيس فيما اختلف لفظه واختلف في تكرار معناه متصلاً

المقصود باختلاف الألفاظ هاهنا اختلاف مبنى الجملتين من حيث التركيب، غير أن المعنى المراد يحتمل أن يكون واحداً فتحمل الجملة الثانية على التوكيد للأولى لشبهها بمعناها، ويحتمل أن معنى كل جملة مغايراً لمعنى الجملة الأخرى من باب دفع الترادف في كتاب الله، ولقوة إرادة التأسيس في مثل هذه الجمل، كما أن ما يندرج تحت هذا المطلب هو أكثر ما ورد في القرآن فيما يتعلق بالتأسيس، وبالتالي كانت كثرة وروده سبباً لكثرة الاختلاف في تفسيره، ومن ناحية أخرى فإن اختلاف اللفظ يدل على اختلاف المعنى، والقاعدة المعروفة عند المفسرين والأصوليين والبلاغيين: أن الاختلاف في المبنى يدل على اختلاف في المعنى وعلى هذا الأساس كان الاختلاف في ترجيح التأسيس أقوى وأبين مما ورد في المطالب السابقة، ولهذا وذلك سأكثر من إيراد الأمثلة فيه؛ لأهميته في تقريب فهم مراد الله تعالى، وفتح باب الاجتهاد القائم على القرائن إلى أذهان الباحثين، وذلك فيما يلي من الأمثلة:

المثال الأول:

قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا^(١) كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَاقَةِ لَنَا بِهِ﴾^(٢).

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾ أي: عهداً ثقيلاً يأصر ظهورنا، أي:

^١ - أَصَرَ الشَّيْءُ يَأْصِرُهُ أَصْرًا كَسْرَهُ وَعَطَفَهُ، وَيُقَالُ لِلشَّيْءِ الَّذِي تُعَقَّدُ بِهِ الْأَشْيَاءُ: الْإِصْرُ أَصَرَ الشَّيْءُ يَأْصِرُهُ أَصْرًا، إِذَا حَبَسَهُ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ، انظر: لسان العرب ٤ / ٢٢، تهذيب اللغة ١٢ / ١٦٣.

^٢ - البقرة: ٢٨٦.

يثقلها، فتعذبنا بتركه وعدم حمله، ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ مثل اليهود في تكليفهم بقتل الأنفس في التوبة، وقطع موضع النجاسة، وغير ذلك من التكاليف الشاقة، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾ من التكاليف التي لا تسعها طاقتنا^(١).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾، هل هي جملة تأسيسية، أم توكيدية لجملة: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾ إلى قولين:
القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

حمل جمهور أهل العلم قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ على التأسيس، واختلفوا في معنى الجملتين الذي أفاد التأسيس إلى أربعة أقوال:
الأول: قالوا معنى جملة: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ راجع إلى أمور الآخرة من الحساب ودنو الشمس، ومراحل الحشر، فتباينت من حيث المعنى مع جملة: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾؛ لأن المقصود بها طلب رفع التكاليف الشاقة أو العقوبات التي كانت على الأمم السابقة، فتكون على هذا المعنى جملة تأسيسية؛ لتعلق الطلب بأمور يراد رفعها في الدنيا لا الآخرة، وممن قال بهذا القول: ابن عرفة^(٢).

الثاني: أن يكون معنى الجملتين مراداً به رفع المشاق الدنيوية، فتكون جملة: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾ دعاء برفع التكاليف الشاقة التي فرضت على الأمم السابقة، وجملة: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ دعاء برفع كل ما لا طاقة لنا به من العقوبات أو التكاليف الشاقة من التي حصلت أو يتوق حصولها، ومن أدرك حقيقة التخصيص والتقييد والنسخ أدرك حقيقة هذا المعنى، وقيل: العكس؛ فيكون من باب

^١ - البحر المديد ١/٣٧٤.

^٢ - تفسير ابن عرفة ٢/٨١٩ بتصرف.

التغاير في المعنى المقتضي للتأسيس، وممن قال بهذا القول: البغوي^(١)، والنسفي^(٢)، وأبو حيان^(٣)، وابن كثير^(٤)، وابن عجيبة^(٥)، والشوكاني^(٦)، وابن عاشور^(٧).

الثالث: قالوا معنى قوله: ﴿مَا لَأَطَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ المقصود به المبالغة في رفع الأمر المستصعب الذي تطيقه النفوس، ولكن بمشقة، وقوله: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾ دعاء برفع الإصر فيما كان من تكاليف الأمم السابقة، ولو لم يكلف بها من قبلنا، فتغاير المعنى فأفاد التأسيس، وممن حكا هذا القول: ابن عرفة^(٨).

الرابع: قالوا أن (ما) في قوله: ﴿مَا لَأَطَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ عام، وعمومه ينصرف إلى المستقبل من زمن الوحي، وهو دعاء برفع كل ما يتوقع أن يفرض على الأمة مما لا يطاق، وقوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ خاص، ويشمل طلب رفع كل ما لحق بالأمم السابقة من التشديد، وممن قال بهذا القول: أبو حيان^(٩)، وأبو السعود^(١٠)، والبقاعي في تفسيره^(١١)، والشوكاني^(١٢).

^١ - معالم التنزيل ١/ ٣٥٨.

^٢ - تفسير ابن كثير ١/ ٧٣٨.

^٣ - البحر المحيط ٧/ ١٢٣.

^٤ - مدارك التنزيل / ١٤٠.

^٥ - البحر المديد ١/ ٣٧٤.

^٦ - فتح القدير ١/ ٤٦٤.

^٧ - التحرير والتنوير ٢/ ٦٠٢.

^٨ - تفسير ابن عرفة ٢/ ٨١٩ بتصرف.

^٩ - البحر المحيط ٢/ ٢٨٠.

^{١٠} - إرشاد العقل السليم ١/ ٣٤٤.

^{١١} - نظم الدرر في ١/ ٥٥٨.

^{١٢} - فتح القدير ١/ ٤١٩.

وأدلتهم في ذلك:

- ١- استدلوا بالأصل في تغاير المباني أنه يدل على تغاير المعاني ما لم يأت ما يبين إرادة نفس المعنى.
- ٢- العموم في قوله: ﴿مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ بعد الخاص في قوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَيَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ يدل على التأسيس.

القول الثاني: القائلون بالتأكيد، وأدلتهم:

هذا الفريق من المفسرين حملوا قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ على معنى الآية قبله، وهي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَيَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾، أي: لا تحملنا ما لا نطيقه وهو الإصر الذي حملته على من قبلنا من التكليف والعقوبات، وممن قال هذا القول: ابن جرير الطبري^(١)، والزمخشري^(٢)، وحكاه ابن عرفة^(٣)، وأبو السعود^(٤).

ودليلهم في ذلك: أن المقصود من الدعاءين في الجملتين إزالة المشقة في التكليف أو في الابتلاء، أو العقوبات، وهو عين طلب التيسير في الدين، فكان حملهما على معنى واحد أولى من تفريق المعنى^(٥).

المناقشة والترجيح:

من خلال أقوال المفسرين يتبين أنهم حملوا معنى الإصر على ثلاثة أقوال:
الأول: التكليف التي تنقل كواهلنا فلا نستطيع الوفاء بها في الدنيا.
الثاني: العهد والميثاق المؤكّد فيما يصعب الوفاء به.

^١ - جامع البيان ١٣٩/٦.

^٢ - الكشاف ٣٣٣/١.

^٣ - تفسير ابن عرفة ٨١٩/٢.

^٤ - إرشاد العقل السليم ٣٤٤/١.

^٥ - جامع البيان ١٣٩/٦.

الثالث: العقوبات التي نزلت بالأمم من قبل.

وحملوا قوله: ﴿مَا لَأَطَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ على معانٍ هي:

الأول: لا تكلفنا من الأعمال ما لا نطيق.

الثاني: ما لا طاقة لنا به من العذاب.

الثالث: العقوبات النازلة بمن قبلنا.

الرابع: الابتلاء الشديد.

الخامس: جزاء السيئات.

السادس: هو تكرير للأول وتصوير للإصر بصورة ما لا يستطاع للمبالغة.

السابع: الحمل على العموم فتشمل كل ما سبق.

وعليه فقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾، إما أنه راجع لأمر الآخرة، أو راجع لأمر الدنيا من التكاليف، أو العقوبات، فإن كان راجعاً لأمر الآخرة فهي جملة تأسيسية؛ لأن جملة الدعاء برفع الإصر راجع لأمر الدنيا. وإن كان الدعاء برفع ما لا طاقة لنا به راجعاً لأمر الدنيا التي حصلت للأمم قبلنا فهي جملة توكيدية لجملة: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ لترادف معنى الجملتين، وهو ما رجحه ابن جرير الطبري^(١).

أما إذا كان من عطف العام على الخاص بمعنى أن جملة طلب رفع ما لا طاقة لنا به أعم من جملة رفع الإصر الذي كان على من قبلنا فتكون جملة: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَأَطَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ تأسيسية.

وأما من جهة الحقيقة والمجاز فإذا أريد بما لا طاقة لنا به الحقيقة، وهو ما ليس في قدرة البشر فهو منفي بالجملة السابقة، وهي ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾؛ لأن الدعاء بنفي الإصر يستلزم الدعاء بنفي ما فوقه، وهو ما لا طاقة للنفس به،

^١ - جامع البيان ٦/١٣٩.

فيكون من التكرار وهو توكيد للجملة السابقة، وإن أريد به المجاز، أي: أن ما لا طاقة لنا به هو الأمر المستصعب، وإن كانت النفس تطيقه فتكون الجملة تأسيساً لتغاير المعنى، وقد يراد به الحقيقة، ولكن لم يكن ممكناً كلف به الذين من قبلنا، فيفيد التأسيس. وأما استدلال من قالوا بأن المقصود من الدعاءين في الجملتين إزالة المشقة في التكليف أو في الابتلاء، أو العقوبات، وهو طلب عين التيسير في الدين، فكان حملهما على معنى واحد أولى، ففيه نظر؛ لأن الدعاء برفع الإصر كان مقصوداً به الذي كان في الأمم السابقة فقط، والجملة الثانية زاد فيها الطلب برفع كل ما فيه مشقة سواء ما سبق في الأمم السابقة، أو ما لم يسبق فكان الطلب أعم من الذي قبله، فحصلت الزيادة في الجملة الثانية.

والذي يراه الباحث أن الأصل هو الحمل على الحقيقة، فقوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ دعاء برفع المشقة من التكاليف والعقوبات التي حلت بالأمم السابقة، أو من التكاليف التي لا نطيقها ولو لم يكلف بها من قبلنا، والمقصود في الدنيا، وهذا ما يدل عليه السياق، فإذا كان ذلك كذلك فحمل جملة: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ على كل المعاني السابقة هو الأولى؛ لأن طلب رفع ما لا طاقة لنا به يفيد العموم، والعام الوارد في هذه الجملة بعد الخاص الوارد في جملة رفع الإصر يدل على التأسيس، وهو قول جمهور المفسرين كما سبق بيانه قريباً في قول القائلين بالتأسيس، والله الموفق.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ ۖ﴾^(١).

^١ - يونس: ٢٤.

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ في سرعة تقضيها، وذهاب نعيمها بعد إقبالها، واغترار الناس بها، ﴿كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ أي: اشتبك ﴿نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ حتى اختلط بعضه ببعض، ﴿الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ﴾ من الزرع والبقول والحشيش ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ أي: زينتها وبهجتها بكمال نباتها، ﴿وَأَزَيَّنَّتْ﴾ أي: تزينت بأصناف النبات وأشكالها وألوانها المختلفة..»^(١).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَأَزَيَّنَّتْ﴾ هل هي جملة تأسيسية أم توكيدية لجملة: ﴿أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى جملة: ﴿أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ أي: كمال حسنها الذاتي، ومعنى جملة: ﴿وَأَزَيَّنَّتْ﴾ أي: بأشكال النبات، والبناء، والألوان، وغيرها من أمور الزينة، فتباين لديهم معنى الزخرفة عن معنى الزينة؛ فحملوا معنى الجملتين على التغاير، فتكون جملة: ﴿وَأَزَيَّنَّتْ﴾ للتأسيس لا التوكيد، وممن قال بهذا القول كل من:

الطبري^(٢)، والرازي^(٣)، والبيضاوي^(٤)، وأبو حيان^(٥)، وحكاه ابن عجيبة^(٦).

^١ - البحر المديد ٢٠٩/٣.

^٢ - جامع البيان ١٥٢/١٢.

^٣ - مفاتيح الغيب ٥٩/١٧.

^٤ - أنوار التنزيل ١٩٣/٣.

^٥ - البحر المحيط ١١٦/٥.

^٦ - البحر المديد ٢٠٩/٣.

وأدلتهم في ذلك:

- ١- الأصل في المعنى اللغوي للزخرفة أنه غير الزينة^(١)، ثم استخدم في الزينة.
- ٢- الأصل حمل الألفاظ على التباين لا الترادف، فيحمل معنى الزخرفة على غير معنى الزينة.
- ٣- التعاطف بين جملي الزخرفة والزينة يفيد التغاير.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب من قال بأن جملة: «وَأَزَيَّنَتْ» توكيدية، لجملة: «أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا» أن معناها نفس معنى الزخرف، إذ كلا اللفظين يطلق على الزينة من ألوان، ونبات، وغيره، وممن قال بهذا القول: ابن عطية^(٢)، وابن كثير^(٣)، وابن عجيبة^(٤)، والشوكاني^(٥)، وحكاه أبو حيان^(٦).

أدلتهم في ذلك:

- ١- المعنى اللغوي للزخرف في الأصل هو الذهب ثم نقل إلى كل زينة يتزين بها، ولا يمكن حمل المعنى في حق الأرض على الذهب فيكون هذا المعنى مرادفاً لمعنى الزينة، فيحمل على التوكيد.
- ٢- بعد أن قال في الآية: «أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا» وصفها بقوله: «وَأَزَيَّنَتْ» أي: زخرفها هو أخذها لزينتها، قاله الشوكاني^(٧).

^١ - الزُخْرُفُ: الذهب هذا الأصل، ثم سُمِّي كل زِينَةٍ زُخْرُفًا، ومنه قوله تعالى: «حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَزَيَّنَتْ»، قيل: زينتها بالنبات، وقيل: تمامها وكمالها. انظر: لسان العرب ٩ / ١٣٢.

^٢ - المحرر الوجيز ٣ / ١٢٩.

^٣ - تفسير ابن كثير ٢ / ٥٠٣.

^٤ - البحر المديد ٣ / ٢٠٩.

^٥ - فتح القدير ٢ / ٦٣٣.

^٦ - البحر المحيط ٥ / ١١٦.

^٧ - فتح القدير ٢ / ٦٣٣.

المناقشة والترجيح:

وردت الزخرفة في أقوال المفسرين بمعاني هي:

الأول: زينة الألوان، والثاني: الذهب، والثالث: حسنها وبهجتها، والرابع: تمامها وكمالها.

ووردت الزينة بمعاني هي:

الأول: حضرت زينتها، والثاني: أصناف النبات وأشكالها، والثالث: حسنت بما خرج في رباها من الزهور النضرة، والرابع: الزينة التي عليها.

فمن حمل معنى الزينة على معنى الزخرفة قال جملة: ﴿وَأَزَيَّنْتَ﴾ جملة توكيدية لجملة: ﴿أَخَذْتَ الْأَرْضَ زُخْرَفَهَا﴾.

ومن قال أن جملة: ﴿وَأَزَيَّنْتَ﴾ تأسيسية حمل أخذ الأرض للزخرفة على كمالها وحسنها الذاتي، أو قد يكون أخذ الزخرفة لا لقصد التزيين، فتغاير المعنى مع جملة: ﴿وَأَزَيَّنْتَ﴾.

وأما من ناحية الأدلة فالذين قالوا بالتوكيد احتجوا بأن الزخرفة نوع من الزينة فهو بمعناه، والجواب: أن أصل معنى الزخرف هو الذهب، وليس الزينة، وإن كان نوع مما يتزين به، فمعنى الزينة أوسع منه، وبمعنى آخر أعم منه، وذكر العام بعد الخاص يدل على التأسيس في الجزء الذي لم يسبق له ذكر، كذا التعاطف بين جملة: ﴿أَخَذْتَ الْأَرْضَ زُخْرَفَهَا﴾ ، وجملة: ﴿وَأَزَيَّنْتَ﴾ يدل على التغاير، والحمل على التأسيس أولى؛ لأن فيه إفادة، وهو خير من الإعادة الحاصلة بالتوكيد، والله الموفق.

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١).

^١ - المائدة: ٨٧.

المعنى العام للآية:

«يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، وأقرؤا بما جاءهم به نبيهم ﷺ أنه حق من عند الله ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يعني بـ"الطيبات"، اللذيات التي تشتهيها النفوس، وتميل إليها القلوب، فتمنعوها إيّاها، كالذي فعله القسيسون والرهبان، فحرّموا على أنفسهم النساءَ والمطاعمَ الطيبةَ، والمشاربَ اللذيذةَ، وحبسوا أنفسهم في الصوامع، ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ حدّ الله الذي حدّ لكم فيما أحلّ لكم، وحرّم عليكم، فتجاوزوا حدّه الذي حدّه، فإن الله لا يحبُّ من اعتدى حدّه الذي حدّه لخلقه»^(١).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ هل هي جملة تأسيسية أم توكيدية لجملة: ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن معنى جملة: ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ لا تمنعوا أنفسكم من اللذيات التي تشتهيها النفوس، وتميل إليها القلوب وتشمل كل ما أحله الله من الطعام، والمشرب، والنساء، والمسكن، ومعنى جملة: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ نهي عن الاعتداء يدخل فيه جميع أنواع الاعتداء من تحليل الحرام أو تحريم الحلال، فيكون الاعتداء أعم من تحريم الطيبات، فأنت بمعنى جديد، فهي جملة تأسيسية، وممن قال بهذا القول: ابن جرير الطبري^(٢)، والزمخشري^(٣)، والقرطبي^(٤)، وأبو

^١ - جامع البيان ٥١٣/١٠.

^٢ - جامع البيان ٦٠٦/٨.

^٣ - الكشف ٧٠٥/١.

^٤ - الجامع لأحكام القرآن ٢٦٣/٦.

حيان^(١)، وابن عادل^(٢)، والآلوسي^(٣)، وابن عاشور^(٤)، وحكاه ابن عطية بصيغة التمريض^(٥).

وأدلتهم في ذلك:

- ١- دلالة السياق؛ فجملة النهي عن الاعتداء تفيد العموم من وجهين:
الأول: حذف متعلق الفعل. الثاني: النهي في سياق النكرة.
 - ٢- الأصل الحمل على التأسيس، فنحمل جملة: «وَلَا تَعْتَدُوا» على معنى مغاير أولى من تكرار المعنى السابق.
 - ٣- التعاطف بين الجمل يدل على تغاير معناهما.
 - ٤- اختلاف المباني يدل على اختلاف المعاني إلا لدليل يدل على غير ذلك.
- القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:**
- ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى جملة: «وَلَا تَعْتَدُوا» أي: لا تعتدوا بتحريمكم للطيبات، فكان هو نفس معنى الجملة قبله- «لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ»- فصارت جملة توكيدية، وممن قال بهذا القول: ابن عطية^(٦)، والبيضاوي^(٧)،

^١- البحر المحيط ١١/٤.

^٢- اللباب في علوم الكتاب ٤٨٨/٧.

^٣- روح المعاني ٩/٧.

^٤- التحرير والتنوير ١٩٢/٥.

^٥- المحرر الوجيز ١٩٢/٢.

^٦- المحرر الوجيز ١٩٢/٢.

^٧- معالم التنزيل ٣٠٤/٢.

وسيد طنطاوي^(١)، وحكاه القرطبي^(٢)، وأبو حيان^(٣)، والآلوسي^(٤).

ودليلهم في ذلك:

- ١- دلالة سبب النزول للآية؛ فقد نزلت بسبب تحريم بعض الصحابة على أنفسهم ما أحل الله ظناً منهم أن ذلك من دين الإسلام، أو أن الإسلام لا يعارضه، فكانت جملة: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾، توكيدية، والغرض التشديد في لزوم هدي النبي ﷺ فيما أحل الله لنا، وحرمة علينا.
- ٢- أن تحريم ما أحل الله هو اعتداء، فأتى النهي بعدم الاعتداء تأكيداً، وعلى هذا يكون متعلق النهي مقدر فيشمل النهي عن تحريم ما أحل الله فقط.

المناقشة والترجيح:

حمل المفسرون قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ على عدة معانٍ منها:

- ١- لا تحرموا ما أحل الله.
- ٢- لا تسرفوا في تناول الطيبات.
- ٣- تشريع ما لم يأذن به الله تعالى.
- ٤- لا تحلوا ما حرم الله.
- ٥- لا تعتدوا على حقوق الله.
- ٦- لا تجاوزوا ما حد لكم من الحلال إلى الحرام.
- ٧- لا تعتدوا بالخنا وتحريم النساء.
- ٨- لا تعتدوا على حقوق الناس.
- ٩- يشمل جميع أنواع الاعتداء من تحليل الحرام، أو تحريم الحلال، أو المبالغة.

^١ - التفسير الوسيط ٤/٢٦١.

^٢ - الجامع لأحكام القرآن ٦/٢٦٣.

^٣ - البحر المحيط ٤/١١.

^٤ - روح المعاني ٧/٩.

فمن قال أن جملة: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ جملة توكيدية لجملة: ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾، استدل بسبب النزول^(١) على قصر معنى الاعتداء على تحريم الطيبات. والجواب: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب إذا لم يكن معارضاً لأصل صحيح يقتضي قصره على سببه. وأما استدلالهم بأن تحريم ما أحل الله هو اعتداء، فأتى النهي بعدم الاعتداء تأكيداً.

فالجواب: نعم، ولكن هذا من باب قصر العام على بعض أفرادها، أو من باب التخصيص على بعض أفراد العام، والتخصيص لا يقتضي التخصيص، ولهذا لم تقصر الشريعة الاعتداء على تحريم الحلال فقط، بل منه تحليل ما حرم الله، والغلو في المباحات، أو الزيادة في الواجبات التعبدية، ونحو هذا مما لا يخفى على من له أدنى نظر في نصوص الكتاب والسنة.

وعليه فالذي يترجح للباحث هو القول بأن جملة: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ تأسيسية بدلالة الأصل، وهو الحمل على التغاير، وبدلالة حذف معمول ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ الذي أفاد العموم، كما أن التعاطف يدل على التغاير في المعنى، ولا يخفى أن التعميم بعد التخصيص يدل على التأسيس، والله الموفق.

المثال الرابع:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبِئِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَازْرَةً وَلَا نُزِرُ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخَلِّفُونَ﴾^(٢).

١- وسبب النزول أن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم علي، وعثمان بن مظعون، وابن مسعود، وابن عمر، هموا بصيام الدهر، وقيام الليل، واعتزال النساء، وجبّ أنفسهم، وتحريم الطيبات من الطعام عليهم، فأنزل الله الآية، انظر: النكت والعيون للماوردي ١/ ٣٧٥.

٢- الأنعام: ١٦٤.

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْنَىٰ رَبًّا﴾: سيداً وإلهاً، ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾: مالكة وسيده، ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾: لا تجني نفس ذنباً إلا أخذت به، ﴿وَلَا نُزِرُ وَاِزْرَةً وَلَا نُزِرُ وَاِزْرَةً﴾: لا يحمل أحد جناية غيره حتى لا يؤاخذ بها الجاني»^(١).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿وَلَا نُزِرُ وَاِزْرَةً وَلَا نُزِرُ وَاِزْرَةً﴾ هل هي جملة تأسيسية أم توكيدية لجملة: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب فريق من المفسرين إلى أن معنى جملة: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ مغاير لمعنى جملة: ﴿وَلَا نُزِرُ وَاِزْرَةً وَلَا نُزِرُ وَاِزْرَةً﴾ فحملوا الأولى على معنى: لا تكسب نفس إلا لها من الحسنات أو عليها من السيئات، وحملوا الثانية على معنى: لا يحمل أحد جناية غيره حتى لا يؤاخذ بها الجاني، وممن قال بهذا القول: أبو الليث السمرقندي^(٢)، وابن عاشور^(٣).

ودليلهم على ذلك:

- ١- دلالة السياق؛ حيث أفاد معنيين هما، الأول: أن ما تكسبه نفس لا يتعدى منه شيء إلى غيرها، والثاني: لا تحمل نفس من الأوزار عن نفس شيئاً.
- ٢- الأصل الحمل على تغاير المعنى، والحمل على توافقه فرع فيقدم الأصل على الفرع.
- ٣- التعاطف بين الجملتين يقتضي التغاير.

^١ - الوجيز للواحد ص ٣٨٥.

^٢ - بحر العلوم ٥١٨/١.

^٣ - التحرير والتوير ١٥٤/٧.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب أكثر المفسرين إلى أن جملة: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ بمعنى لا تجني نفس ذنباً إلا أخذت به، وهو نفس معنى جملة: ﴿وَلَا تُزْرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى﴾، أي لا تحمل نفس مذنب ذنب نفس أخرى، والمعنى لا تؤاخذ بغير وزرها فتكون جملة: ﴿وَلَا تُزْرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى﴾ توكيدية، وممن قال بهذا القول: أبو حيان^(١)، وأبو السعود^(٢)، والآلوسي^(٣)، والشوكاني^(٤).

ودليلهم على ذلك: أن ظاهر النص من حيث دلالاته على معنى واحد في الموضوعين، كالألفاظ المترادفة الدالة على شيء واحد مع اختلاف مبناها، والأصل الحمل على الظاهر إلا لدليل يدل على إرادة غير الظاهر.

المناقشة والترجيح:

من خلال أقوال المفسرين يتبين أن معنى جملة: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ يدور على ثلاثة معانٍ متقاربة هي:

- ١- لا تكسب نفس إلا لها من الحسنات، أو عليها من السيئات.
- ٢- لا تكسب شيء يكون عاقبته على أحدٍ غيرها.
- ٣- لا تجني نفس ذنباً إلا أخذت به.

ومعنى جملة: ﴿وَلَا تُزْرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى﴾ يدور على ثلاثة معانٍ كذلك هي:

- ١- لا يحمل أحد جنابة غيره حتى لا يؤاخذ بها الجاني.
- ٢- لا يتعدى ذنب نفس إلى نفس أخرى.
- ٣- كسب كل أحد وعمله عليه.

^١ - البحر المحيط ٢٦٣/٤.

^٢ - إرشاد العقل السليم ٢٠٧/٣.

^٣ - روح المعاني ٧١/٨.

^٤ - فتح القدير ٤١٧/٢.

فمن قال أن معنى الجملتين واحد حمل الجملة الثانية وهي قوله: ﴿وَلَا نُزِرُ وَازِرَةً﴾^١ وِزْرًا أُخْرَى﴾ على التوكيد.

ومن قال أن جملة: ﴿وَلَا نُزِرُ وَازِرَةً﴾ تأسيسية، قال: إن جملة: ﴿وَلَا نُزِرُ وَازِرَةً﴾ عاقبته على أحد إلا عليها، وأما جملة: ﴿وَلَا نُزِرُ وَازِرَةً﴾ لا تحمل نفس عن نفس شيئاً بمعنى أن الجملتين متغايرتين فالأولى تتحدث عن اختصاص الكسب، والأخرى تتحدث عن نتيجة الكسب، وهو الوزر الذي سيكون يوم القيامة، وبذلك يظهر للباحث أن الحمل على التأسيس فيه زيادة في المعنى، وهذا أفضل من الإعادة بالتوكيد، وأما كون الأصل حمل النص على ظاهره إلا لصارف، فهذا قول صحيح، غير أن ظاهر النص يدل على التغاير؛ لأن الآية الأولى بظاهرها تتحدث عن كسب المكلف نفسه، والثانية تتحدث عن نفي تحمل الكسب السلبي عن الغير، كما أن الأصل الحمل على التأسيس، وهو لا ينافي الظاهر، بل يدل عليه ويقويه، والله الموفق.

المثال الخامس:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَتَلُوهُمْ يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَصْرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ * وَيَذْهَبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْنَ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿قَتَلُوهُمْ يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ يقتلهم بسيوفكم ورماحكم، ﴿وَيُخْرِجُهُمْ﴾ يذلهم بالقهر والأسر، ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ يعني: بني خزاعة؛ لأن قريش أعانت بني بكر عليهم حتى نكثوا فيهم، فشفى الله صدورهم بالنبي ﷺ

١- التوبة: ١٤، ١٥.

والمؤمنين ﴿ وَيَذْهَبَ غَيِّظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ يعني: كَرَبَهَا ووجدَهَا بمعونة قريش بني بكر عليهم، ﴿ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ﴾ من المشركين فهداهم الله للإسلام»^(١).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿ وَيَذْهَبَ غَيِّظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ هل هي جملة تأسيسية أم توكيدية لجملة: ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن معنى جملة: ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ شفاء الصدور بقتل الأعداء والوعد بالفتح وانشراح الصدر، ومعنى جملة: ﴿ وَيَذْهَبُ غَيِّظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ بمعنى إذهاب الكرب وتحرق الحقد، وبذلك حملوا الجملتين على معنيين مختلفين فكانت جملة: ﴿ وَيَذْهَبَ غَيِّظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ محمولة على التأسيس، وممن قال بهذا القول: الواحدي^(٢)، والرازي^(٣)، وابن عاشور^(٤)، وسيد طنطاوي^(٥)، ورجحه النيسابوري^(٦) في تفسيره^(٧)، والآلوسي^(٨).

١- الوجيز للواحدي ص ٤٥٦.

٢- المصدر نفسه ص ٤٥٦.

٣- مفاتيح الغيب ٤/١٦.

٤- التحرير والتنوير ٤١/١٠.

٥- التفسير الوسيط ٦/٢٢٤.

٦- هو الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، نظام الدين، ويقال له الأعرج: مفسر، له اشتغال بالحكمة والرياضيات، أصله من بدلة (قم) ومنشأه وسكنه في نيسابور، له كتب، منها غرائب القرآن وרגائب الفرقان يعرف بتفسير النيسابوري، وأوقاف القرآن وغيرها، توفي سنة خمسين وثمانمائة، انظر: طبقات المفسرين للأندروني ١/ ٤٢٠.

٧- تفسير غرائب القرآن ورجائب الفرقان، الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري ٤/١١٨، تحقيق: الشيخ زكريا عميران دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، ط/ الأولى ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م.

٨- روح المعاني ١٠/٦٢.

وأدلتهم في ذلك:

- ١- عطف فعل «يذهب» على فعل «يشف» يؤذن باختلاف المعطوف عن المعطوف عليه، ويكفي الاختلاف بينهما اختلاف المفهومين؛ فمفهوم الشفاء العلة والسقم، ومفهوم الغيظ الانشراح.
- ٢- اختلاف متعلق الفعلين في الجملتين، فمتعلق شفاء الصدر ما يحصل من المسرة والانشراح بالنصر للمؤمنين، ومتعلق ذهاب الغيظ استراحتهم من تحرق الحقد بما يلحق أعداءهم من الهزيمة والخسارة المادية والمعنوية.
- ٣- اختلاف المباني يدل على اختلاف المعاني.
- ٤- الأصل هو الحمل على التأسيس، وهو أولى من الحمل على التأكيد.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى توافق المعنى بين جملة: «وَيَشْفُ صُدُورَ قَوْمِ مُؤْمِنِينَ» وجملة: «وَيَذْهَبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ» فحملوا الثانية على التوكيد للأولى، وفائدة التوكيد هنا المبالغة في جعلهم مسرورين بما يمن الله عليهم من تعذيب أعدائهم، وإخزائهم، ونصرته- سبحانه- للمؤمنين عليهم، وممن قال بهذا القول: أبو حيان^(١)، وحكاه النيسابوري^(٢)، والآلوسي^(٣)، وابن عاشور^(٤).

ودليلهم في ذلك:

- ١- أن شفاء الصدر مساوياً لذهاب الغيظ في المعنى فيحصل به التوكيد هكذا قاله الآلوسي^(٥).

^١ - البحر المحيط ١٢/٥.

^٢ - غرائب القرآن ١١٨/٤.

^٣ - روح المعاني ٦٢/١٠.

^٤ - التحرير والتنوير ٤١/١٠.

^٥ - روح المعاني ٦٢/١٠.

٢- القلب أخص من الصدر، فشفاء الصدر عام، وإذهاب غيظ القلب خاص،
والخاص بعد العام يفيد التوكيد.

المناقشة والترجيح:

لقائل أن يقول في قوله: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ معناه أنه يشفيهم من ألم الغيظ، وهذا هو عين إذهاب الغيظ فكان قوله: ﴿وَيَذْهَبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ تكرار يفيد التوكيد؟

والجواب أنه تعالى وعدهم بحصول هذا الفتح فكانوا في زحمة الانتظار فشفي صدورهم من زحمة هذا الانتظار بالفتح، وأذهب غيظ قلوبهم بذكر الثأر من العدو وعلى هذا الوجه يظهر الفرق بين قوله: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ وبين قوله: ﴿وَيَذْهَبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾.

وأما ما قيل: من أن إذهاب الغيظ هو بما نال الكفار من المكروه، فتكون هذه الجملة كالتوكيد للتي قبلها؛ لأنّ شفاء الصدر من آلام الغيظ هو إذهاب للغيظ.

والذي يترجح للباحث أنه لا يبعد ما ذهبوا إليه؛ لأنّ شفاء الصدر يستلزم إزالة الغيظ، فيكون من باب عطف الخاص على العام، وهو يفيد التوكيد؛ لكن إذهاب الغيظ من القلب أبلغ مما عطف عليه، فيكون ذكره من باب الترقى؛ لأنّ شفاء الصدر بقتل الأعداء وخزيهم، وإذهاب الغيظ بإزالة الحقد بالنصر عليهم، أو يكون شفاء الصدر بالوعد بالنصر، وإذهاب الغيظ بقتل العدو، فيدل هذا على التغاير في المعنى، كما أن العطف مفيد للتغاير المقتضي للتأسييس، والله أعلم.

المثال السادس:

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١).

المعنى العام للآية:

«من عمل بطاعة الله، وأوفى بعهود الله إذا عاهد ﴿مَنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ أي: وهو مصدق بثواب الله الذي وعد أهل طاعته على الطاعة، وبوعيد أهل معصيته على المعصية، ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ قيل: يحييهم في الدنيا ما عاشوا فيها بالرزق الحلال، وقيل: غير ذلك، وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: فلنحيينه حياة طيبة بالقناعة، وذلك أن من قنعه الله بما قسم له من رزق لم يكثر للدنيا تعبه، ولم يعظم فيها نصبه، ولم يتكدر فيها عيشه، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فذلك لا شك أنه في الآخرة»^(٢).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ هل هي في الدنيا أم في الآخرة، وعلى أساس هذا الخلاف اختلفوا في جملة: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ هل هي تأسيسية أم توكيدية لجملة: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾؟ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن جملة: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ أنها في الدنيا، وجملة: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ في الآخرة، فتكون هذه الجملة تأسيسية، وممن قال بهذا

^١ - النحل: ٩٧.

^٢ - جامع البيان ١٧/٢٨٩-٢٩٢، بتصرف.

القول: البيضاوي^(١)، وابن كثير^(٢)، والشوكاني^(٣)، وابن عاشور^(٤)، والشنقيطي^(٥)، وسيد طنطاوي^(٦)، وحكاه الرازي^(٧)، والخازن^(٨).

وأدلتهم على ذلك:

- ١- دلالة السياق، حيث أعقبه بقوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهي في الآخرة، ولو حملنا قوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ على الآخرة لحصل التكرار المفضي إلى الإعادة، والإفادة أولى.
- ٢- العطف بين الجملتين الذي يعتبر قرينة دالة على التغاير بين المعنيين.
- ٣- الأصل في اختلاف المبنى اختلاف المعنى.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

وذهب بعض المفسرين إلى أن جملة: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ هي في الآخرة، فتوافق معناها مع جملة: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ لأنها في الآخرة، فأفادت التوكيد، وممن قال بهذا القول الرازي^(٩)، والخازن^(١٠)، وحكاه البيضاوي^(١١)، والشنقيطي^(١٢).

١- أنوار التنزيل ٤١٩/٣.

٢- تفسير ابن كثير ٦٠١/٤.

٣- فتح القدير ٢٧٦/٣.

٤- التحرير والتوير ٢١٩/١٣، ٢٢٠.

٥- أضواء البيان ٢٤١/٢، ٢٤٠.

٦- التفسير الوسيط ٢٣٢/٨.

٧- مفاتيح الغيب ٩٠/٢٠، ٩١.

٨- لباب التأويل ١١٣/٤.

٩- مفاتيح الغيب ٩٠/٢٠، ٩١.

١٠- لباب التأويل ١١٣/٤.

١١- أنوار التنزيل ٤١٩/٣.

١٢- أضواء البيان ٢٤١/٢، ٢٤٠.

وأدلتهم على ذلك:

- ١- أن الحياة لا تطيب إلا في الجنة، والدنيا دار كدح، قاله الحسن البصري^(١).
- البصري^(١).
- ٢- أن الجزاء الحسن في الآخرة هو حياة طيبة، فلا فرق بينهما.

المناقشة والترجيح:

أقوال أهل العلم في الحياة الطيبة المقصودة في الآية: إما في الدنيا أو في القبر أو في الآخرة، والقبر هو أول منازل الآخرة^(٢) فهو من الآخرة. وعليه فمن ذهب إلى أن جملة: «وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ» جملة توكيدية، حمل معنى جملة: «فَلَنَجْزِيَنَّهُ حَيَوَةً طَيِّبَةً» على الحياة الطيبة في الآخرة، فتوافقت في المعنى مع جملة: «وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ».

وهؤلاء استدلوا بأن الحياة لا تطيب إلا في الآخرة، وهذا صحيح، ولكن لا مانع أن يجعل الله للمؤمنين حياة طيبة في الدنيا بأن يبسر لهم عيشة الرضا، والقناعة، وشيء

^١- هو الحسن البصري الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه، كان أبوه من سبي (ميسان) من بلاد فارس وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك، ولد بالمدينة، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه ومات بالبصرة سنة عشر ومائة وهو ابن ثمانين سنة، انظر: طبقات الفقهاء، أبو إسحاق الشيرازي ٨٧/١، وهذبه، محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور) تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي- بيروت، ط/ ١٩٧٠م، وفيات الأعيان لابن خلكان ٦٩/٢.

^٢- أخرجه أحمد في المسند من حديث عثمان بن عفان ٦٣/١، وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند: إسناده صحيح، وسنن الترمذي ٥٥٣/٤، وسنن ابن ماجة ٣٣٣/٥، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٦٦/٤، قال الذهبي في التلخيص: صحيح، انظر: المستدرک على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ٣٦٦/٤، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط/الأولى ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

من النعيم والرفاهية، وهذا وإن كان لا يعد بالنسبة لنعيم الجنة شيئاً غير أن النعيم في كل دار من الدارين بحسبه، فافترق النعيمان بافتراق الدارين وهذا واضح وبيّن.

ومن قال بأن جملة: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ تأسيسية، حمل معنى جملة: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ على الحياة في الدنيا، وأن طيب العيش يكون فيها بالرزق أو بالقناعة... إلخ، وقوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ في الآخرة.

والذي يترجح للباحث أن حمل الجملتين على معنيين متغايرين أولى من حملهما على معنى واحد؛ لأن الحمل على التأسيس أولى من الحمل على التأكيد، والإفادة خير من الإعادة، وتعاطف الجملتين دل على التغاير، والله أعلم.

المثال السابع:

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ (١)﴾ (٢).

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَةٍ مِّنْهُ﴾ في شك مما ألقى على محمد ﷺ من القرآن، ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾: القيامة، ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ﴾

١- عقم: العين والقاف والميم أصل واحد يدل على غموض وضيق وشدة، من ذلك حربٌ عقامٌ وعقامٌ لا يلوي فيها أحدٌ على أحد لشِدَّتْهَا ورجل عقام، وهو الضيق الخلق ويوم القيامة يوم عقيم لأنه لا يوم بعده وريح عقيم لا تلقح سحاباً ولا شجراً. انظر: مقاييس اللغة ٤/٦٠، ومختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ١/٤٦٧، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، ط/١٤١٥-١٩٩٥م.

٢- الحج: ٥٥.

عَقِيمٍ ﴿ يعني: يوم بدر، وكان عقيماً عن أن يكون للكافرين فيه فرح أو راحة، والعقيم معناه: التي لا تلد﴾^(١).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿أَوْ يَأْتِيهِمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ﴾ هل هي جملة تأسيسية، أم توكيدية لجملة: ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن معنى جملة: ﴿أَوْ يَأْتِيهِمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ﴾ أنه يوم بدر، أو يوم الحرب أو يوم موتهم، فتكون مخالفة لمعنى الجملة قبلها وهي: ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ وهو يوم القيامة، فتكون جملة: ﴿أَوْ يَأْتِيهِمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ﴾ تأسيسية، وممن قال بهذا القول ابن جرير الطبري^(٢)، والواحدي^(٣)، وابن عادل^(٤)، وابن عاشور^(٥)، ورجحه البيضاوي^(٦)، وحكاه الماوردي^(٧)، وابن عجيبة^(٨).
وأدلتهم على ذلك:

١- العطف بأو المقتضية للتخيير يقتضي التخيير بين متغيرين، ولا معنى لأن يقال: حتى تأتيتهم الساعة أو تأتيتهم الساعة قاله الطبري^(٩).

١- الوجيز للواحد ص ٧٣٨، بتصريف يسير.

٢- جامع البيان ٦٧١/١٨، ٦٧٢.

٣- الوجيز للواحد ص ٧٣٨.

٤- اللباب في علوم الكتاب ١٢٨/١٤.

٥- التحرير والتنوير ٢٢٢/١٧.

٦- تفسير أنوار التنزيل ١٣٦/٤.

٧- النكت والعيون ٣٧/٤.

٨- البحر المديد ٦٣٨/٤.

٩- جامع البيان ٦٧١/١٨، ٦٧٢.

٢- الأصل هو الحمل على التأسيس لا التوكيد إلا لدليل يصرف عنه.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى جملة: ﴿أَوْيَأْتِيهِمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ على قيام الساعة، فتوافقت في معناها مع جملة: ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ أي: يوم القيامة، فحملت على التوكيد، وممن قال بهذا القول: ابن عجيبة^(١)، والشوكاني^(٢)، والشنقيطي^(٣)، وحكاه الماوردي^(٤)، والبيضاوي^(٥)، وابن عادل^(٦).

وأدلتهم في ذلك:

- ١- الاستدلال بالسياق؛ فالجملة بعد قوله تعالى: ﴿أَوْيَأْتِيهِمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ هي قوله تعالى: ﴿الْمَلَأُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾^(٧) أي: السلطان القاهر، والتصرف التام، يومئذ لله وحده، ولا منازع له فيه، ولا تصرف لأحد معه، ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين فريق أهل المرية، وأهل الإيمان، وهذا اليوم لا يكون إلا يوم القيامة.
- ٢- أن المراد مزيد التهويل والتخويف من قيام الساعة، فيناسب المقام التأكيد.

المناقشة والترجيح:

اختلف أهل التأويل في اليوم العقيم أي يوم هو؟ فقال بعضهم: هو يوم القيامة، وقال آخرون: بل عني به يوم بدر.

١- البحر المديد ٤/٦٣٨.

٢- فتح القدير ٣/٦٦٣.

٣- أضواء البيان ٥/٢٩١.

٤- النكت والعيون ٤/٣٧.

٥- أنوار التنزيل ٤/١٣٦.

٦- اللباب في علوم الكتاب ١٤/١٢٨.

٧- الحج: ٥٦.

والذي يراه الباحث أن اليوم العقيم هو الذي لا يوم بعده، كأن كل يوم يلد ما بعده من الأيام، فما لا يوم بعده يكون عقيماً، وقد يكون يوماً عقيماً بالنسبة لشخص أو بالنسبة لمجموعة من الناس، وقد يراد به يوماً عقيماً بالنسبة للأيام على وجه الحقيقة، فيكون هو اليوم الآخر الذي لا يوم بعده، وهو يوم القيامة، وعلى ما سبق فيمكن حمل اليوم العقيم على يوم بدر، فهو عقيم عن أن يكون للكافرين فيه فرح أو راحة، كالريح العقيم؛ لا تأتي بخير؛ أو لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه، لكن السياق لا يساعد من قال بهذا القول لما ورد بعده من قوله تعالى: ﴿الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾^(١)، أي: السلطان القاهر، والتصرف التام، يومئذ لله وحده، ولا منازع له فيه، ولا تصرف لأحد معه، لا حقيقة ولا مجازاً، ولا صورة ولا معنى، كما في الدنيا، فإنَّ للبعض فيه تصرفاً مجازياً صورياً، ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين فريق أهل المرية، وأهل الإيمان، لكن هذا الاستدلال مبني فقط على دلالة السياق، وهو استدلال وجيه، لكن الأصل هو التباين بين الجمل المتعاطفة، واحتمال السياق لقول آخر، وهو أن يحمل اليوم العقيم على يوم موتهم، ففيه من انفراد الله عز وجل بالحساب، والجزاء مثل يوم إتيان الساعة، وعليه فالقول بأن اليوم العقيم قبل قيام الساعة أولى بتأويل الآية؛ لأنه لا وجه لأن يقال: لا يزالون في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة، أو تأتيهم الساعة؛ وذلك أن الساعة هي يوم القيامة، فإن كان اليوم العقيم أيضاً هو يوم القيامة فإنما معناه ما قلنا من تكرير ذكر الساعة مرتين باختلاف الألفاظ، وذلك ما لا معنى له، فإذا كان ذلك كذلك، فأولى التأويلين به أصحهما معنى، وأشبههما بالمعروف في الخطاب أن يقال: ولا يزال الذين كفروا في مرية منه، حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم، فلا ينظرون فيه إلى الليل، ولا يؤخروا فيه إلى المساء، لكنهم يقتلون قبل المساء، وهذا القول فيه من التهويل أشد مما يحصل بالتوكيد؛ لأن

١- الحج: ٥٦.

التهديد حصل بأمرين: أحدهما: التهديد بالعذاب الآجل، والآخر: التهديد بأمرٍ عاجل،
وفي ذلك من الشدة والتخويف ما الله به عليم، والله الموفق.

المثال الثامن:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(١).

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ﴾ يعني هربت منكم إلى مدين، ﴿لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ على نفسي أن تقتلوني، ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ يعني النبوة، وقيل: العلم والفهم، ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إليكم»^(٢).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ هل هي جملة تأسيسية أم توكيدية لجملة: ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن معنى جملة: ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ أي: وهب لي العلم والفهم والحكمة، فاختلف معناها مع جملة: ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾؛ لأنها خاصة بالرسالة، فحملت هذه الجملة على التأسيس، وممن قال بهذا القول: أبو إسحاق الثعلبي^(٣)، والرازي^(٤)، والبيضاوي^(٥)، وابن عادل^(٦)، والبقاعي^(٧)، والسيوطي

١- الشعراء: ٢١.

٢- بحر العلوم ٥٥٢/٢.

٣- الكشف والبيان ٧ / ١٦١.

٤- مفاتيح الغيب ١٠٩/٢٤.

٥- أنوار التنزيل ٢٣٤/٤.

٦- اللباب في علوم الكتاب ١٦/١٥.

٧- نظم الدرر ٣٥٤/٥.

والمحلي في تفسير الجلالين^(١)، وابن عجيبة^(٢)، وابن عاشور^(٣)، والشنقيطي^(٤)، ورجحه الألويسي^(٥)، وحكاه الخازن^(٦)، والشوكاني^(٧).

ودليلهم في ذلك:

- ١- التعاطف يدل على التغاير في المعنى.
- ٢- الأصل هو الحمل على التأسيس، فنحمل معنى الحكم على غير النبوة.
- ٣- اختلاف المباني يدل على اختلاف المعاني إلا لصارف من نص أو قرينة.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى جملة: ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ النبوة، فتوافقت في المعنى مع الجملة بعدها وهي قوله: ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فحملوا هذه الجملة على التوكيد، وممن قال بهذا القول: ابن جرير الطبري^(٨)، والقرطبي^(٩)، والنسفي^(١٠)، والخازن^(١١)، والشوكاني^(١٢)، وحكاه ابن عجيبة^(١٣).

-
- ١- تفسير الجلالين ص ٤٨١.
 - ٢- البحر المديد ٥/٢٤٢.
 - ٣- التحرير والتنوير ١٩/١٢٨.
 - ٤- أضواء البيان ٦/٩١.
 - ٥- روح المعاني ١٩/٦٩.
 - ٦- لباب التأويل ٥/١١٥.
 - ٧- فتح القدير ٤/١٣٩.
 - ٨- جامع البيان ١٩ / ٣٤١.
 - ٩- الجامع لأحكام القرآن ١٣/٩٥.
 - ١٠- مدارك التنزيل ٣/١٨٢.
 - ١١- لباب التأويل ٥/١١٥.
 - ١٢- فتح القدير ٤/١٣٩.
 - ١٣- البحر المديد ٥/٢٤٢.

ودليلهم في ذلك:

أن الحكم الذي حصل عليه هو النبوة وهي مصدر العلم والفهم والحكمة فكان المرجع في المعنى إليها.

وهناك فريق ثالث من المفسرين حكوا القولين ولم يظهر لهم وجه الترجيح بين القولين أو احتمل عندهم الأمرين بدون مرجح منهم: أبو الليث السمرقندي^(١)، والبغوي^(٢)، والزمخشري^(٣)، وابن الجوزي^(٤).

المناقشة والترجيح:

من خلال أقوال المفسرين نجد أن معنى: ﴿حُكْمًا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ منحصر في الآتي:

١- العلم والفهم والحكمة.

٢- النبوة.

فمن قال أن معنى جملة: ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ بمعنى النبوة، كانت الجملة بعدها ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ توكيدية؛ لأنها بنفس المعنى.

واستدلّواهم بأن النبوة هي سبب العلم والفهم والحكمة لا يمنع من الحمل على تغاير المعنى بين الجملتين، بل هو أفضل لكي تذكر النبوة ومفرداتها للإكثار من منن الله عليه فيكون الشكر أكثر.

والذي يراه الباحث أن معنى (الحكم) في الآية هو الحكمة والعلم والفهم، فتكون جملة: ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ جملة تأسيسية، وذلك بناء على القاعدة المقررة لدى أئمة التفسير وهي: إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى، وإن

١- بحر العلوم ٥٥٢/٢.

٢- معالم التنزيل ١١٠/٦.

٣- الكشاف ٣٢٥/٣.

٤- زاد المسير ١٢٠/٦.

تفسير الحكم بالعلم النافع والحكمة، والفهم يجعل باقي الآية: ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ تفيد معنى جديداً لدى السامع زيادة على السابق، كما أن تعاطف الجملتين يدل على تغاير المعنى، والله الموفق.

المطلب الثاني

التأسيس فيما اختلف لفظه واختلف في تكرار معناه منفصلاً

المثال الأول:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِهَا ۗ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۗ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ۗ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١﴾.

المعنى العام للآية:

«ذَكَرَهُمْ سَبْحَانَهُ بِسُوءِ أَخْلَاقٍ كَانَتْ فِي سَلْفِهِمْ، مِنْهَا: عَدَمُ الصَّبْرِ، وَالتَّعَنُّتِ، وَسُوءُ التَّدْبِيرِ، وَالجَهَالَةُ بِالْخَيْرِ، وَالرَّعُونَةُ، وَغَيْرَهَا، وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ بَدَلَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَوْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَوْلِهِمْ: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ بَدَلَ ادْعُ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا، أَوْ ادْعُ لَنَا رَبَّنَا عِزَّ وَجَلَّ، وَفِي مَلَلِهِمُ اللَّحْمَ، وَالعَسَلَ، وَطَلَبِهِمُ الفُومَ وَالبَصَلَ بَدَلًا عَنْهُمَا، وَفِي قَوْلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ مَا يَقْرَرُ ذَلِكَ، كَمَا ذَكَرَهُمُ بِالْعَاقِبَةِ الْمَرَّةَ ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ﴾ أَي: أَحَاطَتْ بِهِمْ، وَلازِمَتْهُمُ الذَّلَّةُ، وَهِيَ الصَّغَارُ وَالاِحْتِقَارُ، ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ الْفَقْرُ وَالمِهَانَةُ، ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾: رَجَعُوا مِنْ طَوْلِ عَمَلِهِمْ وَكَثْرَةِ كَسْبِهِمْ بِغَضَبِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ عَلَيْهِمْ، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الذَّلَّةِ وَالمَسْكَنَةِ وَالعُزْبِ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ

وقتلهم الأنبياء وذلك بسبب عصيانهم، واعتدائهم أي: مجاوزة الحق إلى الباطل، والمعروف إلى المنكر»^(١).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في عود الإشارة في قوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ إلى أي الجمل يعود على جملة: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بَعِيرِ الْحَقِّ﴾ فتكون جملة: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ تأسيسية، أم تعود الإشارة إلى المعاصي السابقة- من عدم الصبر والتعنت وسوء التدبير - فتكون توكيدية؟ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب أكثر المفسرين إلى أن الإشارة في جملة: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾ تعود إلى قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بَعِيرِ الْحَقِّ﴾ فتكون جملة: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾ تأسيسية؛ ويكون المعنى: إن الذي حملهم على جحود آيات الله، وقتلهم الأنبياء إنما هو تقدم عصيانهم واعتدائهم، وممن قال بهذا القول: الرازي^(٢) وأبو حيان^(٣)، وسيد طنطاوي^(٤).

وقيل: يحتمل أن يريد بقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ من تقدم منهم ويريد بقوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾ من حضر منهم في زمان الرسول ﷺ وعلى هذا تكون جملة: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾ تأسيسية، قاله الرازي^(٥).

١- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري ص ٦٣، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط/الخامسة،

٢٠٠٣/ ١٤٢٤ م.

٢- مفاتيح الغيب ١٦٢/٨.

٣- البحر المحيط ٢١٦/١.

٤- التفسير الوسيط ١/ ١٥.

٥- مفاتيح الغيب ١٦٢/٨.

ويجوز أن يكون المشار إليه بذلك الثاني هو الكفر بآيات الله، وقتلهم النبيين فيكون ذلك إشارة إلى سبب ضرب الذلة.. الخ فما بعد كلمة ﴿ذَلِكَ﴾ هو سبب السبب تنبيهها على أن إدمان المعاصي يفضي إلى التغلغل فيها، والتثقل من أصغرها إلى أكبرها، قاله ابن عاشور^(١).

ودليلهم على ذلك:

١- «أن أسماء الإشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع إلى عود الذكر^(٢)»
أي: إلى أقرب مذكور.

٢- أن التوكيد يجب أن يكون بشيء أقوى من المؤكد والعصيان أقل حالاً من الكفر فلم يجز توكيد الكفر بالعصيان.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن الإشارة في قوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾ تعود إلى المعاصي السابقة، فنكون هذه الجملة توكيدية، فيكون المعنى: ما أصابهم من الذلة والغضب والمسكنة بسبب معاصيهم، وتكرار الإشارة لزيادة تمييز المشار إليه حرصاً على معرفته، ويكون العصيان والاعتداء سببين آخرين لضرب الذلة والمسكنة ولغضب الله تعالى عليهم، والآية حينئذ من قبيل التكرار، وممن قال بهذا القول: النيسابوري^(٣)، وابن عاشور^(٤).

ودليلهم في ذلك:

أن علة الذلة والغضب والمسكنة هي الكفر وقتل الأنبياء، وعلة الكفر وقتل الأنبياء هي المعصية.

١- التحرير والتنوير ٥١٣/١.

٢- الكشاف ٩٣/٢.

٣- غرائب القرآن ٣٠١/١.

٤- التحرير والتنوير ٥١٣/١.

المناقشة والترحيح:

اختلفوا في عود الإشارة في قوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وُقُولًا﴾ إلى أي الجمل يعود على قولين:

١- يعود اسم الإشارة إلى المعاصي السابقة التي فعلوها من عدم الصبر والتعنت وسوء التدبير.

٢- يعود إلى قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّيْنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾. فإن كانت الإشارة تعود إلى المعاصي السابقة من عدم الصبر والتعنت وسوء التدبير، فجملة: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾ توكيدية، فيكون المعنى: ما أصابهم من الذلة والغضب والمسكنة بسبب معاصيهم.

وإن عادت الإشارة إلى قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّيْنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ فجملة: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾ تأسيسية؛ ويكون المعنى: إن الذي حملهم على جحود آيات الله، وقتلهم الأنبياء إنما هو تقدم عصيانهم واعتنائهم.

والذي يظهر للباحث أن قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وُقُولًا يَمْتَدُونَ﴾ جملة تأسيسية، ولا تصح أن تكون توكيدية؛ لأن التوكيد يجب أن يكون بشيء أقوى من المؤكد والعصيان أقل حالاً من الكفر فلم يجز تأكيد الكفر بالعصيان، والحمل على التأسيس أولى؛ لأنه الأصل في كلام الشارع، والله الموفق.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ * قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا لَأَنزَلَنَّ جِئَتْ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾^(١).

^١ البقرة: ٦٩ - ٧١

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا﴾ فقيل لهم عقوبة لهم: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ﴾ فحصرُوا على لون منها دون لون، ومعنى ذلك: أن البقرة التي أمرتكم بذبحها صفراء ﴿فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ خالص لونها في الصفر تُعجِبُ الناظرين، ثم زادوا في تعنتهم فطلبوا بياناً في صفات البقرة أكثر فقال لهم الله تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ أي: «إنها بقرة ليست مذللة بالحرارة، ولا معدة للسقاية، وهي سالمة من العيوب والأمراض، لونها واحد، وليس فيها لون آخر، والذلول: المذللة والمروضة التي زالت صعوبتها، والحرث: الأرض المهيأة للزراعة، ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾: سالمة من الأمراض والعيوب، لا شية فيها: لونها واحد، ولا لون آخر مع لونها»^(١).

أقول المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ هل هي جملة تأسيسية أم جملة توكيدية لجملة: ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ إلى قولين:
واختلفوا في جملة: ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ هل هي جملة تأسيسية، أم جملة تأكيدية لجملة: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾؟ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن معنى جملة: ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ ليست مذللة بالحرارة، ولا معدة للسقاية، و﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ أي: لا عيب فيها، فكان المعنى بين الجملتين متغايراً فتكون جملة: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ تأسيسية، وممن قال بهذا القول مقاتل^(٢) وابن

^١ - جامع البيان ١٨٦/٢، بتصرف.

^٢ - تفسير مقاتل ٥٦/١.

جرير الطبري^(١)، وابن كثير^(٢)، والثعالبي^(٣)، وابن عادل^(٤)، والسيوطي^(٥)، والشوكاني^(٦).

كما ذهبوا إلى أن معنى جملة: ﴿إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ خلوها من أي لون يخالف لونها، وجملة: ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ أي: خالية من العيوب، فتغاير لديهم المعنى بين الجملتين فحملوا جملة: ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ على التأسيس، وممن قال بهذا القول: الطبري^(٧)، وجمهور المفسرين^(٨).

وأدلتهم في ذلك: أن الحمل على التأسيس أولى من الحمل على التأكيد.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى جملة: ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ ليست مذلة بالحرارة، ولا معدة للسقاية، ومعنى جملة: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ أي: هي مسلمة من العمل، فكان معناهما واحد، فقالوا: جملة ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ توكيدية للجملة السابقة؛ لأنها بنفس المعنى، وهو قول: الحسن^(٩)، والرازي^(١٠)، والشربيني^(١١)، وحكاه أبو حيان^(١٢).

^١ - جامع البيان ١٨٤/٢

^٢ - تفسير ابن كثير ٣٠٠/١

^٣ - الجواهر الحسان ٧٧/١

^٤ - اللباب في علوم الكتاب ١٦٣/٢، ١٧٠

^٥ - الدر المنثور ٤١٢/١

^٦ - فتح القدير ١٥٤/١، ١٥٩

^٧ - جامع البيان ١٨٢/٢

^٨ - منهم البغوي ١٠٨/١، والبيضاوي ٣٤٣/١، ابن كثير ٣٠٠/١، والشربيني ٦٦/١، والألوسي ٢٩١/١،

وابن عاشور ٥٣٨/١

^٩ - زاد المسير ٨١/١

^{١٠} - مفاتيح الغيب ١١٢/٣

^{١١} - السراج المنير ٦٦/١

^{١٢} - البحر المحيط ٢١٤/١

كما ذهب بعض هذا الفريق من المفسرين إلى أن معنى جملة: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ خلوها من أي لون يخالف لونها، وجملة: ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ أي: لا لون فيها يخالف لونها، فاتحد المعنى لديهم بين الجملتين فحملوا جملة: ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ على التوكيد، وممن قال بهذا القول: الشربيني^(١)، وحكاه ابن عادل^(٢)، والألوسي^(٣)، والألوسي^(٣)، وابن عاشور^(٤).

المناقشة والترجيح:

للمفسرين في قوله: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ عدة أقوال هي:

- ١- سالمة من الأمراض.
- ٢- سالمة من العيوب.
- ٣- سالمة من الألوان.
- ٤- معفية من العمل.

وفي قوله: ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ ثلاثة أقوال:

- ١- لا عيب فيها.
 - ٢- لونها واحد أو خلص لونها من الشيات وهي الألوان الأخرى.
 - ٣- مطهرة من الحرام لا غصب فيها ولا سرقة.
- فمن قال أن معنى جملة: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ أي: هي سالمة من العمل، قال هي جملة توكيدية لجملة: ﴿ثُمَّ أَرْضُ وَلَا تَسْقَى الْحَرْثَ﴾؛ لأنها ستكون بنفس المعنى.
- ومن ذهب إلى أن معنى جملة: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ أي: لا عيب فيها، كان المعنى عنده

^١- السراج المنير ١/٦٦.

^٢- اللباب في علوم الكتاب ٢/١٦٣، ١٧٠.

^٣- روح المعاني ١/٢٨٨، ٢٩١.

^٤- التحرير والتنوير ١/٥٣٥.

مغابراً لقوله: ﴿تُبْرِأُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقَى الْحَرْثَ﴾ فتكون جملة تأسيسية.

كما قالوا أن معنى جملة: ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ أي: لا لون فيها يخالف لونها، قال هي جملة توكيدية لجملة: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾؛ لأن خلوها من أي لون يخالف لونها قد استفيد من قوله: ﴿فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ أي: شديد الصفرة.

ومن قال أن معنى: ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ أي: خالية من العيوب، قال إنها جملة تأسيسية لتغاير معناهما.

والذي يراه الباحث أن الحمل على تغاير المعنى أولى؛ لأن هذه الجمل جاءت رداً على طلب، وتعنت أصحاب موسى ولا يتصور أن الإجابة على اللون يكون بذكر عدم العيب والعكس صحيح، فيحمل معنى ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ على الخلو من العيوب، فتكون جملة تأسيسية، كما تحمل جملة: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ على نفي العيب؛ لأن الإفادة أولى من الإعادة، والله الموفق.

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ * قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأْيَدِنَا فَنَرَبَّصُوا إِنَّمَا مَعَكُمْ مُّتَرَبَّصُونَ ﴿١﴾.

المعنى العام للآية:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا﴾ خير ولا شر ﴿إِلَّا﴾ وهو مقدر مكتوب علينا ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ ناصرنا، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وإليه فليفوض المؤمنون أمورهم على الرضا بتدبيره، ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا﴾ هل تنتظرون أن يقع بنا ﴿إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾

١- التوبة: ٥١، ٥٢.

الغنيمة أو الشهادة، ﴿وَنَحْنُ نَرَبِّصُ بِكُمْ﴾ ننظر ﴿أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾ بقارعة من السماء ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ يأذن لنا في قتلكم فنقتلكم ﴿فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ فانتظروا مواعيد الشيطان إنا منتظرون مواعيد الله من إظهار دينه وهلاك من خالفه»^(١).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ هل هي جملة تأسيسية، أم توكيدية لجملة: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب جمهور المفسرين إلى حمل معنى جملة: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ على ما كتب الله لنا في عاقبة أمرنا أنه ينصرنا ويعز دينه بنا، وحملوا جملة: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ على أن تكون الحسنى الأولى: النصر والحسنى الثانية: الشهادة، وفي هذا تغاير للمعنى بين الجملتين فحملوا الجملة الثانية على التأسيس، وممن قال بهذا القول: ابن جرير الطبري^(٢)، والبغوي^(٣)، والرازي^(٤)، وأبوحيان^(٥)، وابن جزى^(٦)، وابن كثير^(٧)، والسعدي^(٨)، ورجحه الشوكاني^(٩).

^١ - الوجيز للواحد ص ٤٦٧.

^٢ - جامع البيان ١٤/٢٩٠.

^٣ - معالم التنزيل ٤/٥٦.

^٤ - مفاتيح الغيب ١٦/٧٠.

^٥ - البحر المحيط ٥/٤٣٢.

^٦ - التسهيل في علوم التنزيل ١/٦٠٤.

^٧ - تفسير ابن كثير ٤/١٦١.

^٨ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر عبد الله السعدي ص ٣٣٩،

تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط/الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

^٩ - فتح القدير ٢/٥٣٧.

وأدلتهم في ذلك:

١- أن هذا هو الجواب الثاني عن فرح المنافقين بمصائب المؤمنين كما قال الرازي^(١) وابن عادل^(٢)، ولو كان المعنى في الجوابين واحد، لما صح القول بأنهما جوابين على المنافقين.

٢- العطف بين الجملتين يدل على التغاير في المعنى.

٣- الأصل التأسيس دون التوكيد.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن جملة: ﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ أنها بمعنى النصر أو الشهادة وجملة: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ بنفس معناها، أو بياناً لها، فحصل التكرار لغرض التوكيد، وممن قال بهذا القول: القرطبي^(٣)، والبيضاوي^(٤)، والثعالبي^(٥)، وابن عاشور^(٦)، وأحد قولي الشوكاني^(٧). الشوكاني^(٧).

ودليلهم في ذلك:

أن جملة: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ تنزلت منزلة البيان لما تضمنته جملة: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ ولذلك لم تعطف عليها، وعطف البيان نوع من التأكيد^(٨)، وليس على إطلاقه.

^١ - مفاتيح الغيب ٧٠/١٦.

^٢ - اللباب في علوم الكتاب ٤٥٧/٢.

^٣ - أحكام القرآن ١٥٩/٨.

^٤ - أنوار التنزيل ٤٤٧/٢.

^٥ - الجواهر الحسان ١٤٤/٢.

^٦ - التحرير والتوير ١١٩/١٠.

^٧ - فتح القدير ٥٣٧/٢.

^٨ - التحرير والتوير ١١٩/١٠، بتصرف.

وهناك قول ثالث وهو ذكر القولين بدون ترجيح لاحتمال الأمرين لديهم أو عدم اتضاح المرجح، وممن قال بهذا الماوردي^(١).

المناقشة والترجيح:

خلاصة أقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾^(٢):

- ١- ما كتب الله لنا في اللوح المحفوظ مما يصيبنا من خير أو شر.
- ٢- ما كتب الله لنا في عاقبة أمرنا أنه ينصرنا ويعز دينه بنا.
- ٣- ما اختصنا بإثباته وإيجابه من النصر، أو الشهادة.

وخلاصة أقوال المفسرين في معنى الحسينيين خمسة:

- ١- الغنيمة أو الشهادة.
- ٢- إما النصر والغنيمة وإما الشهادة والفوز بالجنة.
- ٣- هذه الجملة بيان لما تضمنته جملة: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾، فمن قال أن جملة: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُوتَ بِنَا إِلَّا لِأَحَدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ بمعنى المصاب الوارد في جملة: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ قال: هذا تكرار لغرض التوكيد، وقد استدلوا بأن جملة: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُوتَ بِنَا إِلَّا لِأَحَدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ عطف بيان للجملة السابقة.

والجواب أنه ليس كل عطف بيان يكون توكيداً، بل قد توجد قرائن تصرفه إلى التأسيس مثل ما حصل هنا فهاتان الجملتان: ﴿لَنْ يُصِيبَنَا﴾ و﴿هَلْ تَرَبَّصُوتَ بِنَا إِلَّا لِأَحَدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾. جوابان، ردَّ الله بهما على شماتة الكافرين بمصاب المؤمنين، فيمتنع أن يكون المعنى واحداً، وقد قال الشوكاني: في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ «أي: في اللوح المحفوظ، أو النصر أو الشهادة بمعنى الجملة

^١ - النكت والعيون ١١٣/٢.

^٢ - التوبة: ٥١.

بعدها، وعلى هذا القول يكون قوله: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ تكررًا لغرض التوكيد، والأول أولى حتى يكون كل واحد من الجوابين اللذين أمر الله سبحانه رسوله بأن يجيب عليهم بهما مفيداً لفائدة غير فائدة الآخر، والتأسيس خير من التأكيد»^(١).

وعليه فالذي يراه الباحث هو حمل معنى الجملتين على التغاير، فتكون جملة: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ تأسيسية، لتعدد الردود على فرح المنافقين فيكتبوا، كما أن تغاير المباني يدل في الأصل على اختلاف المعاني، فنحمل جملة: ﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ على ما كتب الله لنا في اللوح المحفوظ من خير أو شر، ونحمل جملة: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ على أن تكون الحسنى الأولى: النصر والغنيمة، والحسنى الثانية: الشهادة، والجنة، وبهذا وقع الإثراء للألفاظ، وكبت المنافقون، وشحذت همة المؤمنين، وطرد عنهم اليأس، بأن ما يصيبهم هو بقدر الله، وأنهم موعودون بالحسنى في الدنيا وفي الآخرة، سواء على حالة النصر أو الشهادة في سبيل الله تعالى، والله الموفق.

المثال الرابع:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ (٢) بِعَلْمِ حَلِيمٍ (٣) * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبُحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَتَأْتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * ... كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (٤)﴾.

١- فتح القدير ٥٣٧/٢، بتصرف يسير.

٢- البشارة: الأخبار بما يسر به المخبر إذا كان سابقاً لكل خبر سواه. انظر: الفروق اللغوية ص ١٠٠.

٣- الحليم: والحلم بالكسر الأناة والعقل وجمعه أحلام، انظر: لسان العرب لابن منظور ١٢/٤٥١.

٤- الصافات: ٩٩-١١٢.

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ إلى المكان الذي أمرني بالهجرة إليه، ﴿سَيِّدِينَ﴾ يثبتني على الهدى، ﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾ ولداً ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ سيد يوصف بالحلم، ﴿فَلَمَّا بَلَغَ﴾ ذلك الغلام ﴿مَعَهُ السَّعَى﴾ أي: أدرك معه العمل ﴿قَالَ يَبُنَىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ وذلك أنه أمر في المنام بذبح ولده ﴿فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ ما الذي تراه فيما أقول لك هل تستسلم له؟ فاستسلم الغلام و﴿قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(١).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في الذبيح من هو إسماعيل أم إسحاق إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن جملة: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ جملة تأسيسية؛ فيكون الغلام الحليم الذي أمر إبراهيم بذبحه هو غير إسحاق، فيكون هو إسماعيل، وممن قال بهذا القول: الثعلبي^(٢)، والزمخشري^(٣)، والرازي^(٤)، وابن كثير^(٥)، وابن عادل^(٦)، وابن عجيبة^(٧)، والشنقيطي^(٨)، وابن عاشور^(٩).

١ - الوجيز للواحي ص ٩١٢.

٢ - الكشف والبيان ١٤٩/٨ - ١٥١.

٣ - الكشف ٥٨/٤، ٥٩.

٤ - مفاتيح الغيب ١٣٥/٢٦.

٥ - تفسير ابن كثير ٢٧/٧.

٦ - اللباب في علوم الكتاب ٣٣١/١٦.

٧ - البحر المديد ١٧٩/٦.

٨ - أضواء البيان ٣١٧/٦، ٣١٨.

٩ - التحرير والتنوير ٦٩/٢٣ - ٧٢.

وأدلتهم في ذلك:

- ١- أنه لما ذكر قصة الذبح قال على أثر ذلك ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا ﴾ فدل على أن الذبيح سابق للمبشر به.
- ٢- ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (أنا ابن الذبيحين)^(١)، يعني أباه عبد عبد الله بن عبد المطلب، وإسماعيل بن إبراهيم.
- ٣- قال له أعرابي: يا ابن الذبيحين، فتبسم ﷺ^(٢).
- ٤- قال به جمع من الصحابة فمن بعدهم^(٣).
- ٥- أن الله تعالى وصفه بالصبر دون أخيه إسحاق في قوله: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(١)، وهو صبره على الذبح ووصفه

١- أخرجه الحاكم من طريق عمر بن عبد الرحيم الخطابي... أن الصنابحي قال: "حضرنا مجلس معاوية معاوية بن أبي سفيان، فتذاكر القوم إسماعيل وإسحاق ابني إبراهيم، فقال بعضهم: الذبيح إسماعيل، وقال بعضهم: بل إسحاق الذبيح، فقال معاوية: سقطتم على الخبير، كنا عند رسول الله ﷺ، فأناه الأعرابي، فقال: يا رسول الله ! خلفت البادية يابسة، والماء يابساً، هلك المال، وضاع العيال، فعد علي بما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين ؟ فتبسم رسول الله ﷺ، ولم ينكر عليه" سكت عنه الحاكم انظر: المستدرک ٥٥٤/٢. وقال ابن كثير هذا حديث غريب جداً. انظر: تفسير ابن كثير ١٨ / ٤. وقال الألباني: وأما ما نقله العجلوني في كشف الخفاء ١ / ١٩٩ / ٦٠٦، عن الزرقاني في شرح المواهب أنه قال: والحديث حسن، بل صححه الحاكم والذهبي، لتقويته بتعدد طرقه. فوهم منه عن الزرقاني والصحيح أن هذا الحديث لا أصل له. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٤ / ١٧٣.

٢- بهذا اللفظ أخرجه الحاكم في المستدرک ٦٠٢/٢، وقال الذهبي: قلت: إسناده واه، وقال الحافظ ابن كثير هذا حديث غريب جداً، انظر: تفسير ابن كثير ١٨ / ٤. وبين علته السيوطي فقال في الفتاوى ٣٥/٢ هذا حديث غريب، وفي إسناده من لا يعرف حاله، وقال الألباني في الأحاديث الضعيفة والموضوعة لا أصل له، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٤ / ١٧٣.

٣- منهم عبد الله بن عمر وأبو الطفيل عامر ابن وائلة وسعيد بن المسيب والشعبي والحسن البصري ويوسف بن مهران ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي وهي رواية عطاء بن أبي رباح والضبيعي ويوسف بن ماهك عن ابن عباس. انظر: الكشف والبيان للثعلبي ١٥١/٨.

ووصفه بصدق الوعد في قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾^(٢)؛ لأنه وعد أباه

الصبر من نفسه على الذبح فوفى به.

٦- «نُقل عن الأصمعي^(٣) أنه قال: سألت أبا عمرو بن العلاء^(٤) عن الذبيح

فقال يا أصمعي: أين عقلك؟! ومتى كان إسحاق بمكة؟ وإنما كان

إسماعيل بمكة، وهو الذي بنا البيت مع أبيه، والمنحر بمكة»^(٥).

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن جملة: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ توكيدية

لجملة: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِعُلْمٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ فِي﴾ الآية، وعلى هذا يكون الغلام

الحليم الذي رأى إبراهيم في المنام أنه يذبحه هو إسحاق، وممن ذهب إلى هذا القول

ابن جرير الطبري^(٦)، وأبو الليث السمرقندي^(٧)، والبغوي^(٨)، ورجحه الماوردي^(٩).

١- الأنبياء: ٨٥.

٢- مريم: ٥٤.

٣- عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الاصمعي: راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، ولد بالبصرة سنة اثنتين وعشرين ومائة، وكان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة، توفي في البصرة سنة ست عشرة ومائتين للهجرة، انظر: تاريخ دمشق ٥٩/٣٧.

٤- أبو عمرو بن العلاء هو زبان بن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحصين بن الحارث ينتهي إلى معد بن عدنان التميمي المازني المقرئ النحوي أحد القراء السبعة، قرأ القرآن على سعيد بن جبير ومجاهد وكان أعلم الناس بالقراءات والعربية والشعر وأيام العرب وتوفي سنة أربع وخمسين ومائة. انظر: الوافي بالوفيات ٤/ ٤٧٠. لسان الميزان ٣ / ص ٢٧٥.

٥- مفاتيح الغيب ١٣٥/٢٦.

٦- جامع البيان ٨٦/٢١.

٧- بحر العلوم ٣/ ١٣٩، ١٤٠.

٨- معالم التنزيل ٤٦/٧.

٩- النكت والعيون ٦٠/٥.

ودليلهم في ذلك:

- ١- أن الله تعالى قال: ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ﴾ فذكر أنه فدى الغلام الحليم الذي بشر به إبراهيم حين سأله أن يهب له ولداً من الصالحين، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فإذا كان المفدى بالذبح من ابنه هو المبشر به، وكان الله تبارك اسمه قد بين في كتابه أن الذي بشر به هو إسحاق.
- ٢- ما ورد في الحديث أن النبي ﷺ ذكر نسب يوسف ﷺ فقال: (كان يوسف أشرف نسباً يوسف صديق الله بن يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله)^(١).
- ٣- أنه مذهب بعض الصحابة ومن بعدهم^(٢).
- ٤- لم يثن الله تعالى على أحد بالحلم إلا على إسحاق وإبراهيم، فقال: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾، وليس في القرآن أنه بشر بولد سوى إسحاق.
- ٥- أنه تعالى لما تم قصة الذبيح قال بعدها: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، ومعناه: أنه بشره بكونه نبياً من الصالحين، وذكر هذه البشارة عقيب حكاية تلك القصة، فيدل على أنه تعالى إنما بشره بهذه النبوة؛ لأجل أنه تحمل هذه

١- أخرجه الطبراني من طريق عبد الله بن مسعود ١٠/١٤٩، رقم (١٠٢٧٨). وقال الهيثمي في هذا الحديث: فيه بقية بن الوليد مدلس، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه. انظر: مجمع الزوائد ٨/١٣٣. والحديث قد أخرجه البخاري ومسلم ولكن دون (وإسحاق ذبيح الله)، انظر: البخاري مع الفتح ١٠/١٣٧، مسلم مع شرح النووي ٨/١١٢، وعلى ما سبق يتبين أن حديث الطبري هو الذي ذكر هذه الزيادة ومدار الحديث على بقية بن الوليد وهو مدلس وفيه علة أخرى وهي أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه عبد الله بن مسعود فيكون الحديث ضعيف جداً، والله أعلم.

٢- وهم عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود والعباس بن عبد المطلب، ومن الباقين وأتباعهم كعب الأحمار وسعيد بن جبيرة وقتادة ومسروق وعكرمة والقاسم بن أبي بزة وعطاء ومقاتل وعبد الرحمن بن سابط والزيبري والسدي، وهي رواية عكرمة وابن جبيرة عن ابن عباس. انظر: الكشف والبيان للثعلبي ٨/١٤٩.

الشدائد في قصة الذبيح فثبت بما ذكرنا أن أول الآية وآخرها يدل على أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام.

٦- قوله ﷺ: (الذبيح إسحاق)^(١).

المناقشة والترجيح:

أولاً: بالنسبة للأدلة من السنة على ترجيح أحد القولين فلم يثبت شيء يمكن الاعتماد عليه عند كلا الطرفين.

ثانياً: استدلال الفريقين بأن قوله قد قال به جمع من الصحابة فمن بعدهم، فليس أحد القولين بأولى من الآخر لوجود جمع من الصحابة فمن بعدهم مع كل قول.

ثالثاً: معلوم في اللغة العربية، أن العطف يقتضي المغايرة، فقوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ دليل واضح للمنصف على أن الذبيح إسماعيل لا إسحاق؛ لأنه عطف البشارة بإسحاق على البشارة الأولى بالغلام الحليم.

رابعاً: المواضع التي ذكر فيها إسحاق يقيناً عبر عنه في كلِّها بالعلم لا الحلم، وهذا الغلام الذبيح وصفه بالحلم والصبر لا العلم، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأِسْمَاعِيلَ

١- أورده الحاكم من طريق إسماعيل بن الفضل، عن عبد الله قال: (الذبيح إسحاق)، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: قال أبو داود سنده لم يكن بذلك، انظر: المستدرک ٢ / ٦٠٩، وأورده البزار في مسنده من طريق معمر بن سهل الأهوازي، أخرجه إلينا من أصل كتابه، من حديث العباس، عن النبي ﷺ، قال: (الذبيح إسحاق)، وهذا الحديث قد رواه جماعة، عن المبارك بن فضالة، عن الحسن، عن الأحنف، عن العباس موقوفاً. انظر: مسند البزار ١ / ٢٢٧، وقال الهيثمي: فيه مبارك بن فضالة، وقد ضعفه الجمهور، انظر: مجمع الزوائد ٨ / ١٣٤، وفيه المبارك بن فضالة ضعفه الجمهور وفيه الحسن بن دينار ضعيف وشيخه منكر، وقال الألباني: ومن نكارة هذا الحديث: أن فيه أن الذبيح إسحاق، وقد روي في هذا أحاديث أخرى كلها ضعيفة، وبعضها أشد ضعفاً من بعض، فهو حديث موضوع، انظر: ضعيف الجامع برقم (٣٠٥٩).

وإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ **كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ** ^(١)، وهو صبره على الذبح، ووصفه بصدق الوعد في قوله: **﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾** ^(٢)؛ لأنه وعد أباه الصبر من نفسه على الذبح فوفى به، وقال: **﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾**.

خامساً: استدل القائلون بأن الذبيح إسحاق أن الله تعالى قال: **﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾** فذكر أنه فدى الغلام الحليم الذي بشر به إبراهيم حين سأله أن يهب له ولداً من الصالحين، فقال: **﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾**، فإذا كان المفدى بالذبح من ابنه هو المبشر به، وكان الله تعالى قد بين في كتابه أن الذي بشر به هو إسحاق.

فالجواب: أن الله تعالى قال: **﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾** ^(٣)، فنقول: لو كان الذبيح إسحاق لكان الأمر بذبحه إما أن يقع قبل ظهور يعقوب منه، أو بعد ذلك فالأول باطل؛ لأنه تعالى لما بشرها بإسحاق وبشرها معه بأنه يحصل منه يعقوب فقبل ظهور يعقوب منه لم يجز الأمر بذبحه وإلا حصل الخلف في قوله: **﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾**، والثاني: باطل؛ لأن قوله: **﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾** يدل على أن ذلك الابن لما قدر على السعي ووصل إلى حد القدرة على الفعل أمر الله تعالى إبراهيم بذبحه، وذلك ينافي وقوع هذه القصة في زمان آخر فثبت أنه لا يجوز أن يكون الذبيح هو إسحاق.

كما استدلل من قال أن الذبيح إسحاق بأنه تعالى لما تم قصة الذبيح قال بعدها، **﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾** ومعناه أنه بشره بكونه نبياً من الصالحين، وذكر هذه البشارة عقيب حكاية تلك القصة يدل على أنه تعالى إنما بشره بهذه النبوة.

١- الأنبياء: ٨٥.

٢- مريم: ٥٤.

٣- هود: ٧١.

والجواب: أنه تعالى قال بعد قصة الذبح: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ يدل ذلك على أن البشارة الأولى شيء غير المبشر به في الثانية؛ لأنه لا يجوز حمل كتاب الله على أن معناه: فبشرناه بإسحاق، ثم بعد انتهاء قصة ذبحه يقول أيضاً: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا﴾، فهو تكرر لا فائدة فيه ينزّه عنه كلام الله.

سادساً: استدل من قال أن الذبيح إسماعيل أن الله تعالى حكا عن إبراهيم قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾^(١)، ثم طلب من الله تعالى ولداً يستأنس به فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢)، وهذا السؤال إنما يحسن قبل أن يحصل له الولد؛ لأنه لو حصل له ولد واحد لما طلب الولد الواحد؛ لأن طلب الحاصل محال، وقوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ لا يفيد إلا طلب الولد الواحد، وكلمة (من) للتبويض، وأقل درجات البعضية الواحد، فكأن قوله من الصالحين لا يفيد إلا طلب الولد الواحد فثبت أن هذا السؤال لا يحسن إلا عند عدم وجود كل الأولاد؛ فثبت أن هذا السؤال وقع حال طلب الولد الأول، وأجمع الناس على أن إسماعيل متقدم في الوجود على إسحق فثبت أن المطلوب بهذا الدعاء هو إسماعيل ثم إن الله تعالى ذكر قبله قصة الذبيح فوجب أن يكون الذبيح هو إسماعيل.

وعليه فمن ذهب إلى أن جملة: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ توكيدية لجملة: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ﴾، كان الغلام الحليم الذي رأى إبراهيم في المنام أنه يذبحه هو إسحاق.

ومن ذهب إلى أن جملة: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ تأسيسية؛ حمل الغلام الحليم الذي أمر إبراهيم بذبحه أنه غير إسحاق؛ لأن إسحاق عطف عليه والعطف يقتضي التغاير، والإفادة خير من الإعادة.

١- الصافات: ٩٩.

٢- الصافات: ١٠٠.

والراجح بحسب ما نحن بصدده من البحث عن مواطن التأسيس والتأكيد هو القول بأن الذبيح إسماعيل؛ لأنه تعالى في هذه الآيات قال عن نبيه إبراهيم: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا بَتِ أَيْمَنُكَ مَا تُوَمِّرُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ إلى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، ثم قال بعد ذلك عاطفاً على البشارة الأولى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فدل ذلك على أن البشارة الأولى شيء غير المبشر به في الثانية؛ لأنه لا يجوز حمل كتاب الله على أن معناه: فبشرناه بإسحاق، ثم بعد انتهاء قصة ذبحه يقول أيضاً: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾، فهو تكرار لا فائدة فيه ينزّه عنه كلام الله، وهو واضح في أن الغلام المبشر به أولاً الذي فدي بالذبح العظيم، هو إسماعيل، وأن البشارة بإسحاق نصّ الله عليها مستقلة بعد ذلك.

والمقرر في الأصول: أن النص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، إذا احتمل التأسيس والتأكيد معاً وجب حمله على التأسيس، ولا يجوز حمله على التأكيد، إلا لدليل يجب الرجوع إليه، والله الموفق.

الفصل الثاني

أثر القرائن في ترجيح التأسيس على بعض قواعد التفسير

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: إعادة الضمير إلى ما يفيد التأسيس، والتأسيس بنفي الضد.

المبحث الثاني: التأسيس في التعميم بعد التخصيص، وفي الأخذ بالمجاز.

المبحث الأول

إعادة الضمير إلى ما يفيد التأسيس، وترجيح التأسيس بنفي الضد

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إعادة الضمير إلى ما يفيد التأسيس هو الأولى.

المطلب الثاني: نفي الضد إن أمكن حملة على التأسيس فهو الأولى.

المطلب الأول

إعادة الضمير إلى ما يفيد التأسيس أولى من رجوعه إلى ما يفيد

التأكيد

الأصل في عود الضمير أن يكون إلى أقرب مذكور، ولكن هذه القاعدة ليست على إطلاقها، فإذا نازعتها قواعد أخرى كقاعدة: «إعادة الضمير إلى المُحَدَّث عنه»، أو قاعدة: «توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد» فإن هذه القواعد تقدم عليها كما قرره العلماء، ولا شك أن سياق المحدث عنه أولى^(١)، وحمل الضمير على ما يفيد التأسيس أولى من رجوعه إلى ما يفيد التأكيد، وإن كان مخالفاً لقاعدة عود الضمير إلى أقرب مذكور.

قال أبو حيان: «ولقائل أن يقول: إن الضمير إذا كان صالحاً لأن يعود إلى الأقرب وعلى الأبعد كان عوده إلى الأقرب راجحاً، وقد نص النحويون على هذا... والجواب: أنه إذا كان أحدهما هو المحدث عنه والآخر فضلة كان عوده على المحدث عنه أرجح، ولا يلتفت إلى القرب»^(٢).

وقد ذكر الإمام الزركشي عند التنازع في مرجع الضمير وقرر أن الضمير يعود إلى الأقرب، ولا يرجع إلى ما قبله إلا بدليل وذكر من الأدلة أن يكون البعيد محدث عنه^(٣).

^١ - قواعد الترجيح عند المفسرين ٦١٣/٢.

^٢ - البحر المحيط ٣٣٠/٧.

^٣ - البرهان ٣٩/٤.

نص القاعدة: «الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه»^(١).

شرح القاعدة:

إذا وقع الخلاف في عائد الضمير فالراجح هو القول الذي يعيد الضمير إلى أقرب مذكور، فأعادته إلى القريب أولى من إعادته إلى البعيد، وقولهم: «ما لم يرد دليل بخلافه» أي: على خلاف هذا الأصل من إعادة الضمير إلى أقرب مذكور، وقد ذكر هذا الشرط كل من قرر هذه القاعدة، مما يدل على أنها ليست على إطلاقها^(٢)؛ لأنه قد تتنازع هذه القاعدة مع قواعد أخرى، فإن نازعها غيرها نظر بين القواعد المتنازعة بالضوابط، فإذا دل دليل على إرادة البعيد فيعود الضمير عليه، «ومن هذه الأدلة:

- ١- القرينة في السياق: فإذا وردت قرينة في سياق الآية تدل على إرادة البعيد دون القريب عمل بها.
- ٢- سياق الجمل المذكورة قبل الضمير المختلف فيه وبعده، فإذا كان سياق الجمل قبل وبعد الضمير عن شيء واحد، واحتمل الضمير رجوعه إليه وكان بعيداً ورجوعه إلى القريب؛ فرجوعه إلى البعيد في هذه الحالة أرجح»^(٣).

أقوال العلماء في تقرير القاعدة:

-
- ١- قواعد الترجيح بين المفسرين ٦٢١/٢، وقواعد التفسير لخالد السبت ٣٩٨ / ١، والقول المبين في قواعد الترجيح بين المفسرين ٤٥ / ١.
 - ٢- روح المعاني ١٨٨/١٦، وقواعد التفسير لخالد السبت ٣٩٨ / ١، والقول المبين في قواعد الترجيح بين المفسرين ٤٥ / ١، وقواعد الترجيح بين المفسرين ٦٢١/٢.
 - ٣- قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي ٦٢٢/٢.

قال ابن جرير الطبري في قوله تعالى: ﴿فَمَا أَمَّنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾^(١):
«وإنما قلت هذا القولُ أولى بالصواب في ذلك - أي: عود ضمير ﴿مِّن قَوْمِهِ﴾ إلى موسى -؛ لأنه لم يجر في هذه الآية ذكرٌ لغير موسى، فلأن تكون "الهاء" في قوله: "من قومه"، من ذكر موسى لقربها من ذكره، أولى من أن تكون من ذكر فرعون، لبعد ذكره منها، إذ لم يكن بخلاف ذلك دليلٌ، من خبرٍ ولا نظرٍ»^(٢).

وقال ابن حزم: «والضمير راجع إلى أقرب مذكور، لا يجوز غير ذلك؛ لأنه مبدل من مخبر عنه أو مأمور فيه فلو رجع إلى أبعد مذكور لكان ذلك إشكالاً رافعاً للفهم، وإنما وضعت اللغات للبيان»^(٣).

وقال ابن عطية بعد ذكر الخلاف في مرجع الضمير: «والعود على الأقرب أحسن»^(٤).

وقال الرازي: «والضمير يجب عوده إلى أقرب المذكورات»^(٥).

وقال ابن تيمية: «إن الضمير يعود إلى القريب إذا لم يكن هناك دليل على خلاف ذلك»^(٦).

وبمثل قولهم قال أبو حيان^(٧)، وابن جزي^(٨)، والزرکشي^(٩)، والسيوطي^(١٠)، والسيوطي^(١٠)، والشنقيطي^(١).

^١ - يونس: ٨٣.

^٢ - جامع البيان ١٥ / ١٦٥.

^٣ - الأحكام في أصول الأحكام ٤ / ٤٤٥.

^٤ - المحرر الوجيز ٣ / ١٨٥.

^٥ - مفاتيح الغيب ١٠ / ٢٣.

^٦ - مجموع الفتاوى ١٥ / ١١٢.

^٧ - البحر المحيط ٢ / ١٣٥.

^٨ - التسهيل لعلوم التنزيل ٢ / ٩٧.

^٩ - البرهان في علوم القرآن ٤ / ٣٩.

^{١٠} - الإتيان في علوم القرآن ٢ / ٢٨٤.

وسأقوم ببيان هذا المطلب في فرعين، مع ضرب الأمثلة على النحو الآتي:

الفرع الأول: في عود الضمير إلى أقرب مذكور، وهو يعود إلى ما يفيد التأسيس: المثال الأول:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ
وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٢).

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ إبليس أذهبهما وفي قراءة فزالهما ناهما
﴿عَنْهَا﴾ أي الجنة بأن قال لهما: هل أدلكما على شجرة الخلد، وقاسمهما بالله إنه لهما
لمن الناصحين فأكلا منها ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعيم ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ إلى الأرض
أي أنتما بما اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ من ظلم
بعضكم بعضا ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع قرار ﴿وَمَتَعٌ﴾ ما تتمتعون به من نباتها
﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ وقت انقضاء آجالكم» (٣).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في معنى جملة: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ هل هي جملة تأسيسية
أم تأكيدية لجملة: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

١- أضواء البيان ٢٤٦/٤.

٢- البقرة: ٣٦.

٣- تفسير الجلالين ٩/١.

ذهب جمهور المفسرين إلى أن الضمير في: ﴿عَنْهَا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ عائد إلى الشجرة، أو الطاعة، فتكون جملة: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ إبعاد عن الشجرة، أو عن الطاعة، وجملة: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ إخراج من الجنة، فتكون هذه الجملة تأسيسية، وممن قال بهذا القول: ابن جرير الطبري^(١)، والسمين الحلبي^(٢)، وابن عطية^(٣)، وابن عادل^(٤)، والشوكاني^(٥)، وابن عاشور^(٦).
وقيل: على أن معنى الفعل (أزال) من الزلة، وهي الخطيئة، فيكون الضمير في عنها عائد على الشجرة فقط لا يحتمل غيره، فتكون جملة: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ تأسيسية، وممن قال بذلك: ابن عاشور^(٧)، وحكاه الصابوني^(٨).

وأدلتهم في ذلك:

- ١- عود الضمير في (عَنْهَا) إلى الشجرة؛ لكونها أقرب مذكور.
- ٢- الأصل التأسيس، فعود الضمير إلى ما يفيد التأسيس أولى من عوده إلى ما يفيد التأكيد، فيحمل عليه إلا لصارف.
- ٣- العطف فيه دلالة على الفرق بين المتعاطفين.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

-
- ١- جامع البيان ١/٥٢٤.
 - ٢- الدر المصون ١/١٣١.
 - ٣- المحرر الوجيز ١/١١٢.
 - ٤- اللباب في علوم الكتاب ١ / ٥٦٧.
 - ٥- فتح القدير ١ / ١٠٨.
 - ٦- التحرير والتنوير ١/٣١٤.
 - ٧- التحرير والتنوير ١/٣١٤.
 - ٨- صفوة التفاسير ١/٢٧.

ذهب بعض المفسرين إلى أن الضمير في ﴿عَنَّا﴾ عائد إلى الجنة، في قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنَّا﴾، سواء كان الفعل من الزلّة أو من الزوال عن المكان، فقالوا جملة: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ توكيد لجملة: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنَّا﴾؛ لأنه من باب تكرار المعنى السابق، وممن قال بهذا القول: البغوي^(١)، وابن عطية^(٢)، والقرطبي^(٣)، وابن جزي^(٤)، وابن كثير^(٥)، وحكاه ابن الجوزي^(٦)، والشوكاني^(٧)، والصابوني^(٨).

ودليلهم في ذلك:

أن الإزلال من الزوال وهو الذهاب عن المكان بمعنى التحول وهو بمعنى الإخراج، فكانت جملة: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا﴾ توكيد لجملة: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾؛ لأنهما بمعنى، وهكذا إذا فسرنا الإزلال أو حملناه على السبب المقتضي للخروج من الجنة بمعنى الخطيئة فإنه يقتضي عود الضمير إلى الجنة وهذا يدل على التوكيد، وفي تقرير المعنيين يقول ابن عاشور: «وإزلال جعل الغير زالاً أي قائماً به الزلل، وهو مجاز مشهور في صدور الخطيئة، والغلط المضر، ومنه سمي العصيان ونحوه زلل، والضمير في قوله: ﴿عَنَّا﴾ يجوز أن يعود إلى الشجرة؛ لأنها أقرب، وليتبين سبب الزلّة وسبب

^١ - معالم التنزيل ١/٨٣.

^٢ - المحرر الوجيز ١/١١٢.

^٣ - الجامع لأحكام القرآن ١/٣١٢.

^٤ - التسهيل لعلوم التنزيل ١/٨٦.

^٥ - تفسير ابن كثير ١/٢٣٦.

^٦ - زاد المسير ١/٤٨.

^٧ - فتح القدير ١/١٠٨.

^٨ - صفوة التفاسير ١/٢٧.

الخروج من الجنة إذ لو لم يجعل الضمير عائداً إلى الشجرة لخلت القصة عن ذكر سبب الخروج، ويجوز عود الضمير إلى الجنة»^(١).

المناقشة والترجيح:

خلاصة أقوال المفسرين هي: إذا كان معنى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ أي: أوقعهما في الزلة وهي الخطيئة فالضمير في قوله: ﴿عَنْهَا﴾ يعود إلى الشجرة، فتكون جملة: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ تأسيسية.

وأما إذا كان معنى ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ من «أزال» بمعنى أبعدهما، فيحتمل الإبعاد عن الشجرة أو عن الجنة.

فمن قال أن الضمير عائد إلى الجنة، قال جملة: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ توكيد لجملة: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾؛ لأنه من باب تكرار المعنى السابق.

ومن قال أن الضمير في ﴿عَنْهَا﴾ عائد إلى الشجرة، وهي أقرب مذكور قال جملة: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا﴾ تأسيسية، وهذا القول فيه بيان سبب الزلة، وسبب الخروج من الجنة إذ لو لم يجعل الضمير عائداً إلى الشجرة لخلت القصة من سبب الإخراج من الجنة، كما أن العطف يقتضي التغاير بين الجملتين.

والذي يرجحه الباحث هو القول بأن الضمير في ﴿عَنْهَا﴾ عائد إلى الشجرة، فتكون جملة: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ تأسيسية؛ لأن جملة: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ إبعاد عن الشجرة، وجملة: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ إخراج من الجنة، فأفادت الجملة الثانية معناً جديداً غير الذي أفادته جملة: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ وهذا القول الأخير هو الذي يستقيم مع قاعدة عود الضمير إلى أقرب مذكور، فضمير ﴿عَنْهَا﴾ عائد إلى الشجرة،

^١ - التحرير والتطوير ٣١٤/١.

في قوله تعالى: ﴿وَلَا نَقْرَبُ هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾^(١)، والتعاطف بالفاء الدالة على التعقيب والترتيب دل كذلك على تغاير معنى الجملتين بناءً على اختلاف معنى الإزلال عن معنى الخروج، وعليه فقاعدة إعادة الضمير إلى أقرب مذكور قد وافقت الأصل في الحمل على التأسيس، وهو خير من التأكيد، والله الموفق.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتٍ كُلُّ قَدَعِلْمٍ صَلَاتُهُ، وَتَسْبِيحُهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾^(٢).

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ﴾ يصلي له، ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ المطيع يسبح له والعاصي يذل أيضا بخلق الله تعالى إياه على ما يشاء على أن الله بريء من سوء، ﴿وَالطَّيْرِ صَفَّتٍ﴾ أجنحتهن في الهواء تسبح الله، ﴿كُلُّ قَدَعِلْمٍ صَلَاتُهُ﴾ وهي لبني آدم ﴿وَتَسْبِيحُهُ﴾ وهو عام لغيرهم من الخلق»^(٣).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في جملة: ﴿كُلُّ قَدَعِلْمٍ صَلَاتُهُ، وَتَسْبِيحُهُ﴾ هل إلى كل من المصلين والمسبحين أم إلى لفظ الجلالة إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن ضمير ﴿عِلْمٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿كُلُّ قَدَعِلْمٍ صَلَاتُهُ، وَتَسْبِيحُهُ﴾ يعود إلى ﴿كُلُّ﴾ أي: كل من المصلين والمسبحين قد علم صلاة نفسه

١- البقرة: ٣٥، ٣٦.

٢- النور: ٤١.

٣- الوجيز للواحد ص ٧٦٦.

وتسبيحها، فيكون قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ جملة تأسيسية، وممن قال بهذا القول: أبو الليث السمرقندي^(١)، وابن عطية^(٢)، والخازن^(٣)، وابن عادل^(٤)، والشنقيطي^(٥)، ورجحه أبو حيان^(٦)، والشوكاني^(٧)، وحكاه ابن الجوزي^(٨)، والرازي^(٩)، والنسفي^(١٠).

ودليلهم في ذلك:

- ١- «اتفاق القراء على رفع ﴿كُلُّ﴾، ولو كان الضمير في ﴿عَلِمَ﴾ لله تعالى لكان نصب ﴿كُلُّ﴾ أولى»^(١١)؛ لأنها ستكون مفعولاً.
- ٢- الأصل عود الضمير إلى أقرب مذكور، وهو ﴿كُلُّ﴾.
- ٣- الأصل الحمل على التأسيس وعود الضمير إلى ﴿كُلُّ﴾ يجعل جملة: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ تأسيسية.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

-
- ١- بحر العلوم ٥١٧/٢.
 - ٢- المحرر الوجيز ٢٣٢/٤.
 - ٣- لباب التأويل ٨٢/٥، ٨٣.
 - ٤- اللباب في علوم الكتاب ٤١٠/١٤.
 - ٥- أضواء البيان ٥٥١/٥، ٥٥٢.
 - ٦- البحر المحيط ٤٢٥/٦، ٤٢٦.
 - ٧- فتح القدير ٥٩/٤.
 - ٨- زاد المسير ٥١/٦، ٥٢.
 - ٩- مفاتيح الغيب ١٠/٢٤.
 - ١٠- مدارك التنزيل ١٥٠/٣.
 - ١١- فتح القدير ٥٩/٤.

ذهب بعض المفسرين إلى أن ضمير (عَلِمَ) في قوله تعالى: ﴿كُلُّ قَدِّعَلِمَ صَلَاتَهُ، وَسَيِّحَهُ﴾ يعود إلى (الله) أي: كل من في السماوات والأرض والطير قد علم الله صلواته وتسبيحه، فيكون قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا فَعَلْتُمْ﴾ جملة توكيدية، وممن قال بهذا القول: ابن عجيبة^(١)، ورجحه الرازي وهو اختيار جمهور المتكلمين^(٢)، وحكاه وحكاه ابن عطية^(٣)، وابن الجوزي^(٤)، والنسفي^(٥)، وأبو حيان^(٦)، وابن عادل^(٧).

ودليلهم في ذلك:

١- دلالة السياق مبينة أن الله هو المسبح له فيكون هو العليم بتسبيح المخلوقات وصلاتها.

٢- توحيد مرجع الضمير مع ما سبق جملة: ﴿كُلُّ قَدِّعَلِمَ صَلَاتَهُ، وَسَيِّحَهُ﴾ أولى من تفريق مرجع الضمير، فقوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ﴾ عائد الضمير إلى لفظ الجلالة، فيكون الضمير في قوله: ﴿كُلُّ قَدِّعَلِمَ صَلَاتَهُ، وَسَيِّحَهُ﴾ إلى لفظ الجلالة أيضاً؛ لأن "توحيد مرجع الضمير أولى من تفريقه"^(٨).

المناقشة والترجيح:

من قال الضمير المحذوف الذي هو فاعل ﴿عَلِمَ﴾ يرجع إلى لفظ الجلالة في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية، اعتبر جملة: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا

١- البحر المديد ١٣١/٥.

٢- مفاتيح الغيب ١٠/٢٤.

٣- المحرر الوجيز ٢٣٢/٤.

٤- زاد المسير ٥١/٦، ٥٢.

٥- تفسير مدارك التنزيل ١٥٠/٣.

٦- البحر المحيط ٤٢٥/٦، ٤٢٦.

٧- اللباب في علوم الكتاب ٤١٠/١٤.

٨- قواعد الترجيح عند المفسرين ٦١٣/٢.

يَفْعَلُونَ ﴿١﴾ توكيدية، ويكون المعنى: كل من المصلين والمسبحين قد علم الله صلته وتسبيحه، والله عليم بما يفعلون.

ومن قال أن الضمير المذكور راجع إلى قوله: ﴿كُلُّ﴾ أي كل من المصلين والمسبحين، قد علم صلاة نفسه وتسبيح نفسه، فتكون جملة: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ تأسيسية.

أما استدلال القائلين بالتوكيد بالسياق ففيه ضعف؛ لأن الأصل عود الضمير إلى أقرب مذكور، كما أن الحركة الإعرابية على قوله: ﴿كُلُّ﴾ تدل على إرادة تغاير المعنى؛ لأنه لو قصد المفعولية لقوله: «كُلُّ» لكانت منصوبة، وهي قرينة معتبرة في الترجيح، كما أن القول بأن الضمير راجع إلى الله: أي قد علم الله صلته يكون قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ كالتكرار مع ذلك فيكون من قبيل التوكيد اللفظي، والمقرر عند علماء التفسير أن الحمل على التأسيس أرجح من الحمل على التوكيد كما تقدم إيضاحه، وبهذا يظهر ضعف حمل جملة: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ على التوكيد، والله أعلم.

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١).

المعنى العام للآية:

١- التوبة: ١١٧.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾ من إنذره للمنافقين في التخلف عنه عندما جاءوا يعتذرون إليه من الخروج معه للغزو، ﴿وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ في زمان عسرة الظهر، وعسرة الماء، وعسرة الزاد ﴿مَنْ بَعْدَ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ من بعد ما همَّ بعضهم بالتخلف، والعصيان ثم لحقوا به، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ ازداد عنهم رضاً^(١).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في عود الضمير في قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ هل إلى النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار، أم إلى الفريق الذي كادت قلوبهم أن تزيغ إلى قولين: القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن الضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ عائد إلى الفريق في قوله: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ فاختلف المعنى بين جملتي التوبة؛ فالأولى كانت للنبي والمهاجرين والأنصار، والثانية كانت للفريق الذين كادت قلوبهم تزيغ، فافتضى اختلاف المتوب عليهم اختلاف التوبة فأصبحت جملة: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ تأسيسية، حمل معناها على غير معنى الجملة السابقة، وهي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾، والمراد أنه تاب على الفريق في الثانية لكي يودتهم وقربهم من الزيغ؛ لأنه جرم محتاج إلى التوبة، فلا تكرر لما سبق، وممن ذهب إلى هذا القول: الطبري^(٢)، والماوردي^(٣)، وابن عاشور^(٤)، وحكاه أبو حيان^(٥)، والنيسابوري^(١)، وجوزة الشوكاني^(٢).

^١ - الوجيز للواحد ص ٤٨٤، بتصرف.

^٢ - جامع البيان ٥٣٩/١٤.

^٣ - النكت والعيون ٤١٢/٢.

^٤ - التحرير والتنوير ٢٢٠/١٠.

^٥ - البحر المحيط ١١٢/٥.

وأدلتهم في ذلك:

- ١- إعادة الضمير إلى أقرب مذكور يقتضي أن قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ يعود ضميره إلى الفريق.
- ٢- الأصل الحمل على تغاير المعنى لا توافقه، فلو كانت التوبة الثانية للأولين لكان تكراراً مفيداً للتوكيد عند اتفاق المعنى في التوبتين.
- ٣- دلالة السياق تدل على أن التوبة الثانية لغير الأولين.
- ٤- العطف بين الجملتين يقتضي التغاير في التوبة.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن التوبة الأولى هي عين الثانية في الآية والضمير في قوله ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يعود إلى النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار فتكون جملة: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ توكيدية لجملة: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ...﴾، وممن قال بهذا القول: الرازي^(٣)، والبيضاوي^(٤)، والخازن^(٥)، وأبو حيان^(٦)، والثعلبي^(٧)، والنيسابوري^(٨)، وأبو السعود^(٩)، وابن عجيبة^(١٠)، والآلوسي^(١١)، واحتمله الشوكاني^(١٢).

١- غرائب القرآن ١٢٦/٣.

٢- فتح القدير ٥٩٩/٢.

٣- مفاتيح الغيب ١٧٤/١٦.

٤- أنوار التنزيل ١٧٨/٣.

٥- لباب التأول ١٦٣/٣.

٦- البحر المحيط ١١٢/٥.

٧- الكشف والبيان ١٠٨/٥.

٨- غرائب القرآن ١٢٦/٣.

٩- إرشاد العقل السليم ١٠٩/٤.

١٠- البحر المديد ١٢٦/٣.

١١- روح المعاني ٤١/١١.

١٢- فتح القدير ٥٩٩/٢.

ودليلهم في ذلك:

١- أن التوكيد يجوز عطفه بثم كما صرح به النحاة، وإن كان كلام أهل المعاني يخالفه ظاهراً^(١).

٢- التوبة هنا كانت بسبب تحمل المشاق في الغزوة، فيكون المعنى واحد فيهما.

المناقشة والترجيح:

خلاصة ما ذكر المفسرون في التوبة الأولى والتوبة الثانية في هذه الآية:

١- أن التوبة الأولى في الذهاب، والتوبة الثانية في الرجوع.

٢- الأولى إنشاء التوبة، والثانية استدانتها.

٣- أن التوبة الثانية هي نفس التوبة الأولى.

أما من ناحية المتوب عليهم:

١- أن التوبة الأولى للنبي والمهاجرين والأنصار، والتوبة الثانية على الفريق

الذين كادت قلوبهم تزيغ.

٢- أن التوبة الثانية لنفس المتوب عليهم في الآية السابقة.

وعليه فمن قال أن الضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ في جملة: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ يعود على

جملة: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾، قال: التوبة الأولى هي عين

التوبة الثانية في الآية، فيكون قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ جملة توكيدية لجملة:

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾، واستدلوا بأن جملة التوكيد يمكن

أن تعطف ب(ثُمَّ)، وأن سبب التوبة واحد وهو تحمل المشاق في سبيل الله.

والذي يراه الباحث أن الضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ عائد للفريق في قوله: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا

كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾، والمراد أنه تاب عليهم لكي يودتهم وقربهم من الزيغ؛

^١ - روح المعاني ٤١/١١.

لأنه جرم محتاج إلى التوبة عليه، فلا تكرر لما سبق^(١)؛ لأن السابق توبة على النبي والمهاجرين والأنصار جميعاً، والأصل هو الحمل على التأسيس، وأن التعاطف يقتضي التغير إلا لقرينة تصرف عن ذلك، كما أن الأصل عود الضمير إلى أقرب مذكور، وهو قوله: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾، وعليه فالقول بالتأسيس هو الراجح، والله الموفق.

الفرع الثاني:

في عود الضمير إلى غير الأقرب في الذكر لدلالة السياق، فيعود إلى ما يفيد التأسيس.
المثال على ذلك:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^(٢).

المعنى العام للآية:

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ عنوة وغلبة، ﴿أَفْسَدُوهَا﴾ خربوها، ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ أهانوا أشرافها ليستقيم لهم الأمر، وفي هذا أشارت إلى أنها لو جاءت سليمان محاربة حصل التخريب والإفساد، وصدقها الله سبحانه وتعالى في قولها فقال: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^(٣).

أقوال المفسرين:

أختلف المفسرون في عود الضمير في جملة: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ إلى سليمان وجنوده فتكون هذه الجملة تأسيسية، أم إلى الملوك فتكون الجملة توكيدية؟ إلى قولين:

١ - روح المعاني ٤١/١١.

٢ - النمل: ٣٤.

٣ - الوجيز للواحد ص ٨٠٣، بتصرف.

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن الضمير في جملة: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ عائد إلى سليمان فتكون جملة تأسيسية، وتقدير الكلام: إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة، وكذلك يفعل سليمان وجنوده إذا دخلوا بلدتنا، وممن قال بهذا القول: أبو الليث السمرقندي^(١)، والماوردي^(٢)، والعز بن عبد السلام^(٣)، وابن جزري^(٤)، والآلوسي^(٥)، وابن عاشور^(٦).

ودليلهم في ذلك:

- ١- الأصل التأسيس فيعود الضمير إلى التقدير الذي يؤيد الأصل.
- ٢- لو عاد الضمير إلى أقرب مذكور وهم الملوك لخلت القصة عن سبب هذا القول.
- ٣- دلالة السياق، فالآية بعدها: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ أي: إلى سليمان؛ فاقتضى هذا الخلف في عود الضمير إلى أقرب مذكور، وهو لا مانع منه إذا دل عليه السياق كما هو الحال هنا.

٤- المقصود من الحديث هو سليمان فيعود الضمير إليه.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن الضمير يعود على الملوك في جملة: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ جملة توكيدية لجملة: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَتهَ أَهْلِهَا آذِلَّةً﴾

١ - بحر العلوم ٥٨١/٢.

٢ - النكت والعيون ٢٠٨/٤، ٢٠٩.

٣ - تفسير العز بن عبد السلام ٤٦٤/١.

٤ - التسهيل لعلوم التنزيل ٣٠٦/٢.

٥ - روح المعاني ١٩٨/١٩.

٦ - التحرير والتنوير ٢٦٠/١٩.

ويكون تقدير الكلام وكذلك يفعل الملوك، توكيداً لما سبق من كلامها، وقد قال بهذا: ابن جرير الطبري^(١)، والبغوي^(٢)، وابن عطية^(٣)، والقرطبي^(٤)، والبيضاوي^(٥)، والخازن^(٦)، وابن عادل^(٧)، والبقاعي^(٨)، وابن عجيبة^(٩)، ورجحه الشوكاني^(١٠).

ودليلهم في ذلك:

- ١- أن الضمير يعود إلى أقرب مذكور وهم الملوك.
- ٢- أن هذا القول: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ هو من قول الله تأييداً لكلامها، فلا يقول الله عن نبيه ذلك فلزم عود الضمير إلى الملوك.

المناقشة والترجيح:

مدار خلاف المفسرين في عود الضمير في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ إلى من يعود إلى الملوك أم إلى سليمان وجنوده إلى قولين:
من ذهب إلى أن الضمير يعود إلى الملوك في ﴿يَفْعَلُونَ﴾ قال بأن جملة: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ جملة توكيدية لجملة: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾، ويكون تقدير الكلام وكذلك يفعل الملوك، توكيداً لما سبق من كلامها، أو من كلام الله تأييداً لكلامها، وهذا قول أكثر المفسرين كما سبق.

-
- ١ - جامع البيان ٤٥٤/١٩.
 - ٢ - معالم التنزيل ١٦٠/٦.
 - ٣ - المحرر الوجيز ٣٠٨/٤.
 - ٤ - الجامع لأحكام القرآن ١٩٥/١٩.
 - ٥ - أنوار التنزيل ٢٦٧/٤.
 - ٦ - لباب التأويل ١٤٥/٥.
 - ٧ - اللباب في علوم الكتاب ١٦٠/١٥.
 - ٨ - نظم الدرر ٤٢٤/٥.
 - ٩ - البحر المديد ٣٢٩/٥.
 - ١٠ - فتح القدير ١٩٦/٤.

ومن قال أن الضمير في قوله: ﴿يَفْعَلُونَ﴾ عائد إلى سليمان وجنوده، قال جملة: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ تأسيسية، وتقدير الكلام: إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة، وكذلك يفعل سليمان وجنوده.

والذي يراه الباحث أن الحمل على التأسيس هو الراجح؛ لأن الإفادة خير من الإعادة، كما أن دلالة السياق تدل على أن معنى قولها: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ تقصد سليمان، وجنوده، لأن قولها بعد ذلك: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾^(١)، والإرسال لم يكن إلا إلى سليمان ﷺ.

وأما قولهم في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ هل هو حكاية الله لقولها، أم هو تصديق من الله لقولها؟

فالجواب: أن في المسألة قولان، وثمره هذا السؤال تكمن في أنه إذا كان من قول الله فلا تكون جملة: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ إلا توكيدية، وعائد ضميرها على الملوك؛ إلا على اعتبار من قال أن إفساد الأنبياء مشروع لإقامة الدين وشرائعه، فعلى هذا التخريج احتمال الوجهين - التأسيس والتأكيد - ولكن في تسمية ما يفعله الأنبياء بالإفساد نظر، أما إذا كان من قولها فيحتمل التأسيس أو التأكيد، والراجح أنه من قولها لتبين ما سيفعل سليمان إن حاربهم، وكما سبق أن دلالة السياق والمتحدث عنه هو سليمان، فكان الراجح هو القول بالتأسيس، والله أعلم.

المطلب الثاني

التأسيس بنفي الضد

ذهب المفسرون إلى القول بأن الشيء إذا اتبع بنفي ضده أفاد توكيداً للمعنى السابق، وهذا بيانه على النحو الآتي:

نص القاعدة: «الشيء يؤكد بنفي ضده»^(١).

شرح القاعدة: إذا ورد إثبات أمر من الأمور ثم اتبع بنفي ضده، كان هذا النفي للضد توكيداً للمثبت؛ وذلك لما يستلزمه الإثبات من النفي، ومن عبارات الأصوليين في مثل هذا أن يقولوا: «الأمر بالشيء نهي عن ضده»^(٢)، وسأذكر بعضاً من أقوال المفسرين في تقرير هذه القاعدة:

أقوال العلماء في القاعدة:

لم أجد قبل الإمام البقاعي من نصص على هذه القاعدة، وإنما وجدت تعامل المفسرين والأصوليين مع هذه القاعدة، فيعملونها كأسلوب عربي موجود كثيراً في لغة العرب، ومن نكرها نصاً هم قليل سأذكر بعض أقوالهم فيها على النحو الآتي:

قال برهان الدين البقاعي: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِهْنًا وَلَا يَرْآبَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣): «ولما أثبت لكل من الجاهل والعالم ما أثبت، أكد بنفي ضده مبيناً للفتنة فقال: ﴿وَلَا يَرْآبَ﴾ لا يشك شكاً يحصل بتعمد وتكسب ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾

^١ - نظم الدرر ٨ / ٢٣٢، والتحرير والتنوير: ٤٥١/٢.

^٢ - الفصول في الأصول، أحمد بن علي الجصاص ١٥٩/٢، تحقيق: د/ عجيل جاسم النشمي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- الكويت، ط/ الأولى ١٤٠٥هـ، والمحصل في علم الأصول، محمد بن عمر بن الحسين الرازي ٣٣٤/٢، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود- الرياض، ط/ الأولى ١٤٠٠هـ.

^٣ - المدثر: ٣١.

لما عندهم من العلم المطابق لذلك»^(١).

وقال نعمة الله النخجواني^(٢): عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ، يَبْنَئُ لَا شُرَكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٣) «وبعد ما قد سجل لقمان على ابنه توحيد الحق بنفي ضده على وجه المبالغة والتأكيد أراد أن ينبه عليه بأنه لا بد له أن يحفظ على نفسه الأدب مع الله في كل الأحوال بحيث لا يصدر عنه شيء يخالف توحيده ولا يلائمه ولو كان مقدار ذرة حقيرة»^(٤).

وقال الطاهرين عاشور: «والعرب تؤكد الشيء بنفي ضده»^(٥).

وقال أيضاً: «وتأكيد الشيء بنفي ضده طريقة عربية قد اهتمت إليها ونبهت عليها عند قوله تعالى: ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾^(٦)»^(٧).

وقال في موضع آخر: «وعطف قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾^(٨) على: ﴿فَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾^(٩) نهي عن نسبة الإلهية إلى أحد غير الله، فجمع بين الأمر والنهي مبالغة في التأكيد بنفي الضد لإثبات ضده، كقوله: ﴿وَأَصْلٌ

^١ - نظم الدرر: ٢٣٢/٨.

^٢ - هو نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان: متصوف، من أهل آقشهر بولاية قرمان، ونسبته إلى "نخجوان" من بلاد القفقاس، رحل إلى الأناضول، واشتهر، له "الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية في التفسير، وحاشية على تفسير البيضاوي، توفي بأقشهر سنة عشرين وتسعمائة للهجرة، انظر: طبقات المفسرين للأدنروي ١/٣٦٠، والأعلام للزركلي ٨/٣٩، ومعجم المؤلفين ١٣/١١١.

^٣ - لقمان: ١٣.

^٤ - الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود نعمة الله النخجواني ٢/١٣٢، دار ركابي للنشر - مصر، ط/ ١٩٩٩ م.

^٥ - التحرير والتتوير: ٤٥١/٢.

^٦ - الأنعام: ١٤٠.

^٧ - التحرير والتتوير ٦/١٢٩.

^٨ - الذاريات: ٥١.

^٩ - الذاريات: ٥٠.

فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ»^(١) «^(٢)، وقد ذكر ابن عاشور هذه القاعدة في أكثر من عشرة مواطن من تفسيره وإنما اقتصر على بعضها خشية الإطالة، ومنتقل إلى ضرب الأمثلة التي خرجت عن القاعدة لقرينة دلت على ذلك، وسيأتي الكلام حول ما وافق القاعدة في الفصل الثالث من هذا الباب إن شاء الله تعالى:

المثال الأول:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٣).

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ أي: تمسكوا بدين الله ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ كما كنتم في الجاهلية مقتتلين على غير دين الله، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام، ﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ يعني: ما كان بين الأوس والخزرج من الحرب إلى أن ألف الله بين قلوبهم بالإسلام فزال تلك الأحقاد، وصاروا إخوانا متوادين فذلك قوله: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ أي: طرف حفرة من النار لو متم على ما كنتم عليه، ﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ فنجاكم بالإسلام وبمحمد ﷺ ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل هذا البيان الذي تلي عليكم ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾»^(٤).

^١ - طه: ٧٩.

^٢ - التحرير والتوير: ٤٠/٢٧.

^٣ - آل عمران: ١٠٣.

^٤ - الوجيز للواحد ص ٢٢٥.

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ هل هي جملة تأسيسية أم جملة توكيدية لجملة: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى جملة: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ بلزوم الإسلام، ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ أي: ولا تفرقوا في أي شيء مما لا يقبل التفرق في الدين، وإن لم ينص الشرع على الاعتصام به، فتكون جملة ولا تفرقوا تأسيسية، وممن قال بهذا القول: الزمخشري^(١)، وابن حزم^(٢)، وأحد قولي الرازي^(٣)، والبيضاوي^(٤)، وحكاه الألويسي^(٥).

ودليلهم في ذلك:

- ١- الأصل في الكلام التأسيس دون التأكيد؛ لأن فيه إفادة وهي خير من الإعادة.
- ٢- قرينة إرادة التأسيس، أن من مقاصد الشريعة عدم التفرق في الأمور، وإن لم ينص الشارع على الاعتصام بها، فيفيد النهي عن التفرق معناه زائداً عن الاعتصام.
- ٣- النهي عن التفرق فيه نهي عن دواعيه، وأسبابه، وهذا المعنى لم يفهم من جملة الاعتصام، وإنما فهم الأمر بدواعي الاعتصام، ودواعي عدم التفرق فيما ذكر فيه الاعتصام فقط.

١ - الكشاف ١/٤٢٣.

٢ - الإحكام في أصول القرآن ١/٨٣.

٣ - مفاتيح الغيب ٨/١٤٢.

٤ - أنوار التنزيل ٢/٧٤.

٥ - روح المعاني ٤/١٩.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب أكثر المفسرين إلى حمل معنى جملة: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ على التوكيد لجملة: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾؛ لأن النهي عن التفرق عندهم ينصرف إلى ما أمروا بالاعتصام به، ويكون المعنى لديهم: واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا في هذا الاعتصام، وممن قال بهذا القول: ابن جرير الطبري^(١)، والقرطبي^(٢)، وأبو حيان^(٣)، الآلوسي^(٤)، وابن عاشور^(٥)، وأحد قولي الرازي^(٦)، والبيضاوي^(٧).

ودليلهم في ذلك:

أن من القواعد المرجحة في التفسير أن الشيء يؤكد بنفي ضده، وهي ههنا جارية على ذلك.

المناقشة والترجيح:

إن مجموع أقوال المفسرين في معنى جملة: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ هي:

- ١- لا تفرقوا عن استعاننكم بالله ووثوقكم به.
- ٢- اجتمعوا على التمسك بعهدته أو بكتابه، بالإيمان والطاعة.
- ٣- ولا تفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما كنتم متفرقين في الجاهلية.
- ٤- ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والألفة التي أنتم عليها.
- ٥- أنه نهى عن الاختلاف في الدين.
- ٦- أنه نهى عن المعادة والمخاصمة.

١ - جامع البيان ٧ / ٧٠.

٢ - أحكام القرآن ٤ / ١٥٩.

٣ - البحر المحيط ٣ / ٢٩١.

٤ - روح المعاني ٤ / ١٩.

٥ - التحرير والتنوير ٣ / ١٧٥.

٦ - مفاتيح الغيب ٨ / ١٤٢.

٧ - أنوار التنزيل ٢ / ٧٤.

٧- أنه نهى عما يوجب الفرقة ويزيل الألفة والمحبة.

٨- لا يقع بينكم شقاق وحروب.

٩- نهى عن التفرق في كل شيء.

١٠- أمراً ثانياً للدلالة على طلب الاتحاد في الدين.

وقد قيل غير ذلك، ولا مانع من الحمل عليها جميعاً فيكون النهي عن عموم التفرق وأسبابه ودواعيه.

فمن ذهب إلى كون ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ جملة توكيدية كان عنده النهي عن التفرق فيما أمروا بالاعتصام به في الآية، ويكون المعنى لديهم: واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا في هذا الاعتصام.

ومن ذهب إلى كون جملة: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ تأسيسية حمل عدم التفرق على الإطلاق أي ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ في أي شيء مما لا يقبل التفرق في الدين، قال ابن حزم: «في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ أمر بالاعتصام بحبل الله ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ نهى عن التفرق في كل شيء، ويجب الحمل عليه وإلا كان النهي عن التفرق في الاعتصام بحبل الله مفيداً لما أفاده الأمر بالاعتصام به فكان تأكيداً، والأصل في الكلام التأسيس دون التأكيد»^(١)، وهو الذي يختاره الباحث، «لأن الأصل حمل كلام الشارع على التأسيس ما لم يرد ما يصرفه إلى التأكيد»^(٢)، وقاعدة تأكيد الشيء بنفي ضده لا تعد أن تكون أسلوباً عربياً إذا تعذر حمل الكلام على التأسيس عمل بها لتفيد التوكيد، والله أعلم.

١ - الإحكام في أصول القرآن، لابن حزم ٨٣/١، وقد استدلل ابن حزم بهذه الآية في هذا الموطن على عدم جواز مخالفة الإجماع بعد انعقاده.

٢ - زهرة التفاسير ٧٩٣/١ .

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١).

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ فأعرضتم عما دعوتكم إليه من الحق، والإقرار بتوحيد الله، وإخلاص العبادة له، وترك إشراك الآلهة في عبادته، فتضيع منكم وتفريط في واجب حق الله عليكم، لا بسبب من قبلي، فإني لم أسألكم على ما دعوتكم إليه أجراً، ولا عوضاً أعتاضه منكم بإجابتكم إياي إلى ما دعوتكم إليه من الحق والهدى، ولا طلبت منكم عليه ثواباً، ولا جزاءً، ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ أي: إن جزائي وأجر عملي وثوابه إلا على ربي، لا عليكم أيها القوم، ولا على غيركم ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، وأمرني ربي أن أكون من المذعنين له بالطاعة»^(٢).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في معنى جملة: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ هل هي جملة تأسيسية، أم توكيدية لجملة: ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن معنى جملة: ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: مكافأة في الدنيا مقابل نصحي لكم، ومعنى جملة: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ عام في الثواب مقابل النصح وغيره في الدنيا والآخرة، فاختلف المعنى بين الجملتين فحملوا جملة: ﴿إِنْ

^١ - يونس: ٧٢.

^٢ - جامع البيان ١٥/١٥٢.

أَجْرِي إِلاَّ عَلَى اللَّهِ ﷻ على التأسيس، وممن قال بهذا القول: ابن جرير الطبري^(١)،
والموردي^(٢)، والبغوي^(٣)، والقرطبي^(٤)، وابن كثير^(٥)، والشربيني^(٦)، والشوكاني^(٧).

ودليلهم في ذلك:

- ١- أن الحمل على اختلاف المعنى إفادة، فتقدم على الإعادة.
- ٢- أن الأجر الذي لم يسألهم إياه هو المكافأة الدنيوية على دعوته لهم، أما الأجر المرجو من الله تعالى فهو الرزق في الدنيا والمثوبة في الآخرة، فزيادة المعنى واختلاف نوع الأجر يدل على التغاير.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن عدم سؤاله الأجر منهم أي من قومه يقتضي أن أجره على الله، فكانت الجملتين بمعنى واحد فتكون جملة: ﴿إِنَّ أَجْرِي إِلاَّ عَلَى اللَّهِ ﷻ﴾
توكيدية لجملة: ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ ﷻ﴾، وممن رجح هذا القول: ابن عادل^(٨)، وأبو
السعود^(٩)، والآلوسي^(١٠)، وابن عاشور^(١١).

١ - جامع البيان ١٥/١٥٢.

٢ - النكت والعيون ٢/٤٤٣.

٣ - معالم التنزيل ٤/١٤٣.

٤ - الجامع لأحكام القرآن ٨/٣٦٥.

٥ - تفسير ابن كثير ٤/٢٨٣.

٦ - السراج المنير ٢/٣٤.

٧ - فتح القدير ٢/٦٦٩.

٨ - اللباب في علوم الكتاب ١٠/٤٥١.

٩ - إرشاد العقل السليم ٤/١٦٥.

١٠ - روح المعاني ١١/١٥٩.

١١ - التحرير والتنوير ١١/١٤٢.

ودليلهم في ذلك:

- ١- أن الشيء يؤكد بنفي ضده، فقد نفى سؤاله لهم الأجر ثم أثبت بما يؤكد المعنى السابق، وهو إن أجري إلا على الله.
- ٢- عدم التعاطف جعل الجملة الثانية أقرب للتوكيد منه للتأسيس.

المناقشة والترجيح:

يتبين من خلال أقوال المفسرين أن عدم سؤاله الأجر منهم أي من قومه يقتضي أن أجره على الله، فتكون الجملتين بمعنى واحد فتحمل جملة: ﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ على التوكيد لجملة: ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾، وقد استدلوا بعدم العطف كقرينة على إرادة التوكيد، والحق أن عدم العطف لا يلغي إرادة التأسيس، والعدم لا يدل على العدم.

كما أن استدلالهم بقاعدة توكيد الشيء بنفي ضده أو تأكيد النفي بإثبات ضده، فقاعدة الحمل على التأسيس مقدمة عليها.

ومن قال بأن جملة: ﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ كلام جديد مستأنف وإن كان يفيد المعنى الذي حصل بالجملة السابقة إلا أن فيه زيادة، والزيادة تكون بعموم الأجر، ونوعيته، وعمومه للدنيا والآخرة، فقد أفادت جملة: ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ أن أجره ليس عليهم، وأفادت جملة: ﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ أن أجره ليس عليهم، وفائدة أخرى وهي أن أجره على الله تعالى سواء في الدنيا أو في الآخرة، واختلاف المبنى يدل على اختلاف المعنى، فتكون جملة: ﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ جملة تأسيسية وهو الأقرب للصواب.

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾^(١).

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: من كان يريد بها من الكفار ولا يؤمن بالبعث ولا بالثواب والعقاب ﴿نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ جزاء أعمالهم في الدنيا يعني: إن من أتى من الكافرين فعلاً حسناً من إطعام جائع وكسوة عار ونصرة مظلوم من المسلمين عجل له ثواب ذلك في دنياه بالزيادة في ماله، ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ في الدنيا ﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾ لا ينقصون ثواب ما يستحقون فإذا وردوا الآخرة وردوا على عاجل الحسرة إذ لا حسنة لهم هناك»^(٢).

أقوال المفسرين:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن هذه الآية في حق الكفار^(٣)، وقيل: في المؤمنين المؤمنين المرئيين الذين يريدون بأعمالهم الدنيا^(٤)، واختلفوا في معنى جملة: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ هل هي جملة تأسيسية، أم توكيدية لجملة: ﴿نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾ إلى قولين:

١ - هود: ١٥.

٢ - الوجيز للواحد ص ٥١٥.

٣ - اختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية، فقيل: نزلت في الكفار، قاله الضحاك، واختاره النحاس، بدليل الآية التي بعدها ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الْتَارُ﴾ [هود: ١٦] أي من أتى منهم بصلة رحم أو صدقة نكافته بها في الدنيا، بصحة الجسم، وكثرة الرزق، لكن لا حسنة له في الآخرة، وقيل: المراد بالآية المؤمنون، أي من أراد بعمله ثواب الدنيا عجل له الثواب، ولم ينقص شيئاً في الدنيا، وله في الآخرة العذاب؛ لأنه جرد قصده إلى الدنيا، انظر: الجامع لأحكام القرآن ٩/ ١٣.

٤ - مفاتيح الغيب ٣٢٧/١٧، وتفسير ابن كثير ٤/ ٣١٠.

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى جملة: ﴿نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا﴾ أي: أجور أعمالهم وثوابها في الدنيا، ومعنى جملة: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخُسُونَ﴾ أي: لا ينقصون في هذه الأعمال التي عملوها، فالضمير المجرور ﴿فيها﴾ في الأولى عائد إلى الدنيا، وفي الثانية عائد للأعمال، وممن قال بهذا القول: السيوطي^(١)، والآلوسي^(٢)، وابن عاشور^(٣).

وأدلتهم في ذلك:

- ١- الأصل حمل الكلام على التأسيس.
- ٢- إمكانية حمل مرجع الضمير المجرور ﴿فيها﴾ على معنيين ففي الأولى: ﴿نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا﴾ مرجعه إلى الحياة الدنيا، وفي الثانية: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخُسُونَ﴾ مرجعه إلى الأعمال.
- ٣- عود الضمير إلى أقرب مذكور، كما أن التوفية مختصة بمكان الأجر، وهو الدنيا، والثانية بالأجر وبيان عدم نقصه، فأصبح واضحاً اختلاف الجملتين الدال على التأسيس لجملة: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخُسُونَ﴾.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب أكثر المفسرين إلى أن معنى: ﴿نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا﴾ أي: نواف لهم أجور أعمالهم في الدنيا بسعة الرزق ودفء المكاره، وما أشبهها، ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخُسُونَ﴾ أي: في الدنيا لا ينقص حظهم، فتأكدت التوفية بنفي النقص، وقد قال بهذا القول: الطبري^(٤).

١ - الدر المنثور ٢٧/٨.

٢ - روح المعاني ١٢ / ٢٤.

٣ - التحرير والتنوير ١١/٢٢٢.

٤ - جامع البيان ١٥/٢٦٢.

والبغوي^(١)، وابن عادل^(٢)، والشربيني^(٣)، ومحمد طنطاوي^(٤).

ودليلهم في ذلك:

- ١- توفية الأجور هي ضد البخس، والشيء يؤكد بنفي ضده.
- ٢- الضمير المجرور: ﴿فِيهَا﴾ في جملة: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ﴾ عائد على الدنيا كالسابق في جملة: ﴿نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا﴾.

المناقشة والترجيح:

- حاصل الأقوال في معنى جملة: ﴿نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا﴾ هو:
- ١- أجور أعمالهم في الدنيا كالصدقة بسعة الرزق ودفع المكاره.
 - ٢- ما يرزقون في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق.

وحاصل الأقوال في معنى جملة: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ﴾:

- ١- لا ينقصون ثواب ما يستحقون في الدنيا.
 - ٢- تذييل قصد به تأكيد ما سبقه.
 - ٣- وهم في الأعمال لا ينقصون أجرها.
- وعليه فمن قال أن عدم بخسهم هو بمعنى التوفية، وضمير ﴿فِيهَا﴾ عائد في الجملتين إلى الدنيا، قال جملة: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ﴾ توكيد لجملة: ﴿نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا﴾؛ لأنه من تأكيد الشيء بنفي ضده، وهذا استدلال قوي لولا أن الضمير ﴿فِيهَا﴾ في جملة: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ﴾ تردد احتمال رجوعه إلى أجر الأعمال أو إلى الدنيا، فإن رجع الضمير إلى الأعمال، كان التقدير نواف إليهم أعمالهم في الدنيا، وهم في جزاء

١ - معالم التنزيل ٤/١٦٥.

٢ - اللباب في علوم الكتاب ١٠/٤٥٤.

٣ - السراج المنير ٢/٤١.

٤ - التفسير الوسيط ٧/١٧٦.

الأعمال لا يبخسون، وعند ذلك تكون جملة: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ تأسيسية أفادت معنىً جديداً، وإن رجع الضمير إلى الدنيا فقد سبق أنه يفيد التوكيد بنفي الضد.

والذي يراه الباحث أن جملة: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ تأسيسية، فيحمل عدم البخس على التكملة للأجر في الدنيا، أو تحمل توفية الأعمال على (الأجر) في الدنيا، ويحمل عدم البخس على (الأعمال) لئلا يكون تكراراً، وعند تعارض الأصول فإن الحمل على التأسيس أقوى من قاعدة التأكيد بنفي الضد، كما أن عود الضمير في عدم البخس إلى أقرب مذكور وهي الأعمال أقوى جانب الحمل على التأسيس، والله الموفق.

المبحث الثاني

التأسيس في التعميم بعد التخصيص ، وفي الأخذ بالمجاز

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التأسيس في التعميم بعد التخصيص .

المطلب الثاني : الأخذ بالمجاز إن دل على التأسيس .

المطلب الأول

التأسيس في التعميم بعد التخصيص

ورود الجملة التي تفيد العموم بعد جملة أفادت الخصوص لا ريب أن فيها تأكيد للجملة الخاصة وزيادة في المعنى لم تكن حاصلة من الجملة الأولى المفيدة للخصوص، وعليه فتكون الجملة المفيدة للعموم بعد المفيدة للخصوص جملة تأسيسية. قال الفخر الرازي: «لا نسخ لآية: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾^(١) بآية: ﴿وَأَقَاتُواهُمْ حَيْثُ تَفَقَّهُوهُمْ﴾^(٢)؛ لأن ذكر العام بعد الخاص يثبت زيادة حكم على حكم الخاص، من غير أن ينسخه»^(٣).

وقال الآلوسي: «في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تَحْفَؤْا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤) أي: علمه الله فيؤاخذكم به عند مصيركم إليه، ولا ينفعكم إخفاؤه، وتقديم الإخفاء على الإبداء قد مرت الإشارة إلى سره، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وهذا من إيراد العام بعد الخاص توكيداً له وتقريباً، والجملة مستأنفة غير معطوفة على جواب الشرط»^(٥).

وقال الزحيلي: «وهناك إطناب بذكر العام بعد الخاص لإفادة الشمول»^(٦). فإذا تقرر ما سبق فإن أمثلة الكتاب العزيز في هذا كثيرة، وسأذكر ما يبرز صحة القاعدة وذلك على النحو الآتي:

١ - البقرة: ١٩٠.

٢ - البقرة: ١٩١.

٣ - مفاتيح الغيب ٣/١٤٤.

٤ - آل عمران: ٢٩.

٥ - روح المعاني: ١٢٢/٢.

٦ - التفسير المنير ٢/٣٠.

المثال الأول:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(١).

المعنى العام للآية:

«أي: لك اللهم نَحْشَعُ وَنَذَلُّ وَنَسْتَكِينُ، إِقْرَارًا لَكَ يَا رَبَّنَا بِالرُّبُوبِيَّةِ لَا لِغَيْرِكَ، وَإِيَّاكَ رَبَّنَا نَسْتَعِينُ عَلَى عِبَادَتِنَا إِيَّاكَ، وَطَاعَتِنَا لَكَ فِي أُمُورِنَا كُلِّهَا مُخْلِصِينَ لَكَ الْعِبَادَةَ»^(٢).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ هل هي جملة تأسيسية، أم جملة توكيدية لجملة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب أكثر المفسرين إلى أن الاستعانة ليست مقصورة على العبادة فقط، وإنما في كل الأمور، فيكون المعنى: نعبدك ونستعين بك في كل شيء، ومن ذلك العبادة، فتكون جملة: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تأسيسية، وممن قال بذلك: ابن جرير الطبري^(٣)، والزمخشري^(٤)، والبيضاوي^(٥)، والخازن^(٦)، وابن عاشور^(٧)، وحكاه البغوي^(٨).

١ - الفاتحة: ٥ .

٢ - جامع البيان ١/١٥٧.

٣ - جامع البيان ١/١٥٧.

٤ - الكشاف ١/٩.

٥ - أنوار التنزيل ١/٦٩.

٦ - لباب التأويل ١/٢٢.

٧ - التحرير والتنوير ١/١٨٣.

٨ - معالم التنزيل ١/٥٤.

ودليلهم في ذلك:

حذف معمول نستعين يدل على أن الاستعانة عامة في كل شيء، ومن ضمن ذلك العبادة التي سبق ذكرها.

القول الثاني: القائلون بالتأكيد، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن الاستعانة نوع من العبادة فحملوا جملة: ﴿وَيَاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على التوكيد؛ لأن هذا من باب التكرار، وذكر البعض بعد الكل غرض التوكيد فيه الاهتمام، وممن قال بهذا القول: الخازن^(١)، وحكاه البغوي^(٢). أو قصرُوا معنى الاستعانة على العبادة في هذا الموطن فتكون جملة: ﴿وَيَاكَ نَسْتَعِينُ﴾ توكيدية، والمعنى: نعبدك ونستعين بك على عبادتك، وممن قال بهذا القول: ابن عرفة^(٣)، وحكاه البيضاوي^(٤).

المناقشة والترجيح:

خلاصة أقوال المفسرين في الآية:

- ١ - نعبدك ونستعين بك على عبادتك.
- ٢ - الاستعانة نوع تعبد.
- ٣ - نعبدك ونستعين بك على كل شيء، ومن ضمن ذلك العبادة.

وعليه فإن جملة: ﴿وَيَاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إما أن يكون معناها نعبدك ونستعين بك على عبادتك، فنقصر الاستعانة على العبادة، فتكون توكيد للجملة السابقة.

١ - لباب التأويل ٢٢/١.

٢ - معالم التنزيل ٥٤/١.

٣ - تفسير ابن عرفة ٩/١.

٤ - أنوار التنزيل ٦٩/١.

وإما أن تكون الاستعانة ليست مقصورة على العبادة فقط، وإنما في كل الأمور فيكون المعنى: نعبدك ونستعين بك في كل شيء ومن ذلك العبادة، والعموم مستفاد من حذف متعلق (نَسْتَعِينُ) الذي حقه أن يذكر مجروراً بعلی، وعلى هذا فتكون جملة: ﴿وَيَاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تأسيسية لإفادتها معنى الشمول.

والذي يراه الباحث أن حمل جملة: ﴿وَيَاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على التأسيس أولى وذلك لما يلي:

أولاً: لإفادة معنى الشمول، وهو يحقق معنى الاستعانة في كل أمر من الأمور فيشعر هذا بمزيد خضوع واستكانة للخالق؛ لافتقار المخلوق إليه على وجه الدوام. ثانياً: أن الأصل في إيراد العام بعد الخاص أن يفيد التأسيس لا التأكيد. ثالثاً: تغاير مبنى اللفظين يدل على تغاير معناه. رابعاً: الأصل في الألفاظ التأسيس، والتوكيد فرع لا يلتفت إليه إلا بقريظة صارفة عن إرادة التأسيس.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ أي: غطوا الحق وستروه وقد كتب الله تعالى عليهم ذلك سواء عليهم إنذارك، وعدمه فإنهم لا يؤمنون بما جئتهم به»^(٢). وقيل: «إن الذين كفروا سواء عندهم إنذارهم وعدم إنذارهم، وإنما استوى لديهم الإنذار وعدمه مع أن الإنذار إنما يواجههم به نبي قوي أمين مؤيد من الله تعالى؛ لأنهم لما جحدوا نعم الله، وعموا عن آياته، وحسدوا رسوله على ما آتاه الله

١- البقرة: ٦.

٢- تفسير ابن كثير ١/٦١.

من فضله، صاروا بسبب ذلك في حضيض جَمَدٍ معه شعورهم، وبرد فيه إحساسهم، فلا تؤثر فيهم موجعات القول، ولا تنفذ إلى قلوبهم بالغات الحجج»^(١).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هل هي جملة تأسيسية، أم توكيدية لمعنى جملة: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب أصحاب هذا القول إلى أن جملة: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مستأنفة - تأسيسية - أي أنهم لا يؤمنون بما سبق ذكره وبما لم يسبق ذكره من أمور الإيمان، وممن قال بهذا القول: ابن عادل^(٢)، والآلوسي^(٣)، والشوكاني^(٤)، كما رجح هذا القول صاحب إعراب القرآن^(٥).

ودليلهم في ذلك:

١- حذف معمول الفعل يؤمنون؛ والمعنى لا يؤمنون بأي أمر من أمور الإيمان، و«حذف المعمول يدل على العموم»^(٦)، فيكون عموم بعد خصوص، وما تقدم في قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ معناه استوى عندهم الإنذار وعدمه، وهذا نفي لإيمان خاص، وما بعده في قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ عاماً.

١- التفسير الوسيط ١/٤٥.

٢- اللباب في علوم الكتاب ١/٣٠٩.

٣- روح المعاني ٥/٥١٣٤.

٤- فتح القدير ٦/١٥٣.

٥- الجدول في إعراب القرآن، محمود بن عبد الرحيم صافي ٢٢/٢٩٢، دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق ط/ الرابعة ١٤١٨ هـ

٦- خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالاتها البلاغية ١/٢٦٣.

٢- الأصل التأسيس، وفيه إفادة والتوكيد إعادة.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب أهل هذا القول إلى أن جملة: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ توكيدية لجملة: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾
ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾؛ لأن استواء الإنذار وعدمه هو بمعنى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وممن قال
بهذا القول أبو حيان^(١)، وابن كثير^(٢)، وابن عاشور^(٣)، وسيد طنطاوي^(٤)، وتكون
فائدة التوكيد هنا التيئيس.

ودليلهم في ذلك:

دلالة السياق؛ لأن جملة: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مفسرة لمعنى الجملة التي قبلها ومؤكدة
لها، لأنه حيث كان الإنذار وعدمه سواء، فلا يتوقع منهم الإيمان.

المناقشة والترجيح:

إن جملة: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ والتقدير: استوى عندهم الإنذار وعدمه،
ويجوز أن تكون هذه الجملة اعتراضية على قول، وخبر ﴿إِنَّ﴾ هو جملة: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾،
وإذا اعتبرنا أن خبر ﴿إِنَّ﴾ جملة: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾، فجملة: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فتكون جملة: ﴿لَا
يُؤْمِنُونَ﴾ في محل نصب على الحال، أو مستأنفة.

وعليه فجملة: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إما أن تكون مؤكدة لمعنى جملة: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾
ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾؛ لأن استواء الإنذار وعدمه هو بمعنى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وتكون
فائدة التوكيد التيئيس وهو من دواعي التوكيد، وهذا استدلال صحيح إلا أن جملة: ﴿لَا

١- البحر المحيط ١/١٧٠.

٢- تفسير ابن كثير ١/١٧٤.

٣- التحرير والتنوير ١/١٦٧.

٤- التفسير الوسيط ١/٥٠.

يُؤْمِنُونَ﴾ فيها من العموم لحذف المعمول أكثر من ما سبق ذكره من أمور الإيمان، فتكون جملة: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مستأنفة - تأسيسية - أي أنهم لا يؤمنون بما سبق ذكره، وبما لم يسبق ذكره من أمور الإيمان، وزيادة المعنى هو الأولى عند تردد الاحتمال ما لم نجد قرينة تدل على قصر المعنى العام على بعض أجزائه، والله الموفق.

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾^(١).

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ سعد المصدقون ونالوا البقاء في الجنة، ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ ساكنون لا يرفعون أبصارهم عن مواضع سجودهم، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ عن كل ما لا يجمل في الشرع من قول وفعل، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ للصدقة الواجبة مؤدون»^(٢).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ هل تحمل على معنى زكاة الأموال فتكون جملة تأسيسية، أم تحمل على معنى تربية النفس وتطهيرها من الذنوب فتكون جملة توكيدية لجملة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

^١ - المؤمنون: ١-٤.

^٢ - الوجيز للواحد ص ٧٤٣.

ذهب جمهور المفسرين إلى حمل جملة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ على كل ما يقبح في الشرع من قول وفعل، وجملة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ على ما يخرج من المال من الزكاة الواجبة أو الصدقة؛ فتكون هذه الجملة تأسيسية، وممن قال بهذا القول: ابن جرير الطبري^(١)، والخازن^(٢)، وابن كثير^(٣)، وابن عجيبة^(٤)، وابن عاشور^(٥)، ومحمد سيد طنطاوي^(٦).

وأدلتهم في ذلك:

- ١- الحمل على التأسيس والاستقلال أولى من غيره.
- ٢- الأصل أن ينصرف اللفظ إلى المعنى الشرعي، والزكاة معلومة أنها في المال، وقد شرعت ابتداءً بمكة ثم حددت الأنصبة في المدينة.

القول الثاني: القائلون بالتأكيد، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن الزكاة المقصودة في الآية هي زكاة النفوس والتطهر من درن الذنوب، وعليه جملة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ توكيدية لجملة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾، وممن قال بهذا القول الزمخشري^(٧)، وابن عطية^(٨)،

^١ - جامع البيان ١٩/١٠.

^٢ - لباب التأويل ٥/٣٢.

^٣ - تفسير ابن كثير ٥/٤٦٢.

^٤ - البحر المديد ٥/٤.

^٥ - التحرير والتنوير ١٨/٥.

^٦ - التفسير الوسيط ١٠/١٣.

^٧ - الكشاف ٣/١٧٩.

^٨ - المحرر الوجيز ٤/١٦٧.

وأبو حيان^(١)، والشربيني^(٢)، والشنقيطي^(٣)، وجوزه الخازن^(٤).

وأدلتهم في ذلك:

- ١- أن هذه السورة مكية، والزكاة إنما فرضت بالمدينة.
- ٢- المعروف في زكاة الأموال أن يعبر عن أدائها بالإيتاء، كقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾^(٥)، وقوله: ﴿وَأَيَّاءَ الزَّكَاةِ﴾^(٦)، ونحو ذلك، وهذه الزكاة المذكورة هنا لم يعبر عنها بالإيتاء، بل قال تعالى فيها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ فدل على أن هذه الزكاة أفعال المؤمنين المفلحين، وذلك أولى بفعل الطاعات، وترك المعاصي من أداء المال.
- ٣- أن زكاة الأموال تكون في القرآن عادة مقرونة بالصلاة، من غير فصل، وهنا لم تقرر فدل على أنها غيرها.

المناقشة والترجيح:

تتخصر أقوال المفسرين في معنى الزكاة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ في أربعة أقوال:

- ١- الصدقة الواجبة وهي القدر الذي يخرج المذكي من النصاب.
 - ٢- الفضائل من العمل الصالح، وزكاة النفس من الشرك والدنس.
 - ٣- الصدقة لا زكاة النصب المعينة في الأموال.
- وعليه فمن قال أن جملة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ تأسيسية حمل الزكاة

١ - البحر المحيط ٣٦٦/٦.

٢ - السراج المنير ٤٥٠/٢.

٣ - أضواء البيان ٣٠٧/٥.

٤ - لباب التأويل ٣٢/٥.

٥ - البقرة: ٤٣.

٦ - الأنبياء: ٧٣.

المقصودة هنا على التي تخرج من المال، وكانت صدقة؛ لأن هذه السورة (المؤمنون) مكية، أي نزلت قبل فرض الزكاة ذات الأنصبة المحددة، ومن قال بأن الزكاة المقصودة في الآية هي زكاة النفوس والتطهر من درن الذنوب كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾^(١)، قال: هي بمعنى الآية قبلها فتكون جملة توكيدية بثلاث قرائن:

الأولى: أن هذه السورة مكية، بلا خلاف، والزكاة إنما فرضت بالمدينة كما هو معلوم، فدل على أن قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ نزلت قبل فرض زكاة الأموال المعروفة، فدل على أن المراد به غيرها.

الثانية: أن المعروف في زكاة الأموال: أن يعبر عن أدائها بالإيتاء كقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَأَيَّاءَ الزَّكَاةِ﴾^(٣)، ونحو ذلك، وهذه الزكاة لم يعبر عنها بالإيتاء، بل قال تعالى فيها: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ فدل على أن هذه الزكاة هي أفعال المؤمنين المفلحين، وذلك أولى بفعل الطاعات، وترك المعاصي من أداء المال.

الثالثة: أن زكاة الأموال تكون في القرآن عادة مقرونة بالصلاة، من غير فصل^(٤).

لكن اعتبار الزكاة بمعنى تزكية النفس أعم من الإعراض عن اللغو؛ لأنها تشمل عمل الصالحات، وترك المعاصي والمحرمات، فيكون من باب ذكر العام بعد الخاص، وهو يفيد التأسيس، كما أن التعاطف بين الجمل دل على التغاير في المعنى، والله أعلم.

١ - الشمس: ٩، ١٠.

٢ - البقرة: ٤٣.

٣ - الأنبياء: ٧٣.

٤ - أضواء البيان ٣٠٧/٥.

المطلب الثاني

الأخذ بالمجاز إن دل على التأسيس

الأصل الحمل على الحقيقة، ولا يؤخذ بالمجاز إلا إذا تعذر الحمل على الحقيقة أو عند وجود قرينة وعلاقة تدل عليه، وهذه قاعدة عند الأصوليين والمفسرين وغيرهم.

نص القاعدة: «يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة»^(١).

شرح القاعدة: الأصل في الكلام أن يحمل على الحقيقة، ولا يجوز العدول به عنها، فإذا تنازع المفسرون في تفسير آية فمنهم من يحمل الألفاظ على حقائقها، ومنهم من يحملها على مجازها، والصواب هو قول من حمل على الحقيقة، ومن حملها على المجاز لم يقبل منه إلا بقرينة تصلح لنقلها عن حقيقتها مع امتناع إرادة الحقيقة^(٢).

المجاز عند العلماء:

اختلف العلماء في جوازه من عدمه في اللغة وفي القرآن، والخلاف في ذلك مشهور^(٣)، وعلى قول من أجاز وقوعه في القرآن فالذي لا تجوز مخالفته أن آيات الصفات، ومسائل الغيب كالجنة والنار والميزان والصراط ونحوها، وأخبار الأمم البائدة لا يدخلها المجاز البتة، وكل من ادعى فيها المجاز فهو في دعواه مبطل.

^١ - البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله الجويني أبو المعالي ١ / ٢٣٦، تحقيق: د/ عبد

العظيم محمود الديب، الوفاء- المنصورة، ط/الرابعة ١٤١٨هـ، وشرح الكوكب المنير ٣/١٩٦،

وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٣٨٧.

^٢ - المصدر نفسه ١/٣٨٨، بتصرف.

^٣ - المانعين وقوعه في اللغة والقرآن كابن تيمية وابن القيم وغيرهما، وأجازه الجمهور، انظر:

المحصول ١/٤٤٧ وشرح الكوكب ١/١٩١.

أقوال العلماء في تقرير القاعدة:

قال الفخر الرازي: «قوله تعالى: ﴿وَلَا تُحْمَلْنَ مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾^(١) ظاهره لا تحملنا ما لا قدرة لنا عليه وأقصى ما في الباب أنه جاء هذا اللفظ بمعنى الاستقبال في بعض وجوه الاستعمال على سبيل المجاز إلا أن الأصل حمل اللفظ على الحقيقة»^(٢).

قال أبو بكر بن العربي: «في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ﴾^(٣): قيل: هو حقيقة، وقيل: عبر به عن دمشق، أو جبالها، أو مسجدها، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا بدليل»^(٤).

قال الصابوني: «إن اللمس حقيقة في المس باليد، وفي الجماع مجاز أو كناية، والأصل حمل الكلام على حقيقته، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند تعذر الحقيقة»^(٥)، وعليه فسأقوم بضرب الأمثلة التي خالفت القاعدة بقرائن يكون الحمل فيها على التأسيس أولى من حمله على الحقيقة المفيدة للتأكيد:

المثال الأول:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتُمْ بِبَعْضِكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَلْذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ جَارِيَةٍ مِّنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾^(٦).

المعنى العام للآية:

١ - البقرة: ٢٨٦.

٢ - مفاتيح الغيب ١٢٣/٧.

٣ - التين: ١.

٤ - أحكام القرآن ٤/٤١٤.

٥ - روائع البيان في تفسير آيات الأحكام ١ / ٢٢٤.

٦ - آل عمران: ١٩٥.

«قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يعني: أجاب دعاءهم وأعطاهم ما سألوه ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ﴾ أي: لا أحبط عملكم أيها المؤمنون بل أثيبكم عليه من ذكر أو أنثى، ﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ يعني في الدين والنصرة والموالاتة، وقيل: بمعنى الكاف أي: بعضكم كبعض في الثواب على الطاعة، والعقاب على المعصية.

﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾ أي: المهاجرين الذين هجروا أوطانهم وأهليهم، وآذاهم المشركون بسبب إسلامهم، ومتابعتهم رسول الله ﷺ فخرجوا مهاجرين إلى الله ورسوله، وتركوا أوطانهم وعشائرهم لله ورسوله، ومعنى: ﴿فِي سَبِيلِي﴾ في طاعتي وديني وابتغاء مرضاتي وهم المهاجرون الذين أخرجهم المشركون من مكة فهاجر طائفة إلى الحبشة وطائفة إلى المدينة قبل هجرة رسول الله ﷺ وبعد هجرته إلى المدينة رجع إليه من كان هاجر إلى الحبشة من المسلمين، ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِي﴾ يعني وقاتلوا العدو واستشهدوا في جهاد الكفار ﴿لَا كُفْرَانَ عَنْهُمْ﴾ يعني: لأمحون عنهم ذنوبهم، ولأغفرنا لهم ﴿وَلَا دُخْلَنَّهُمْ جَنَّتِ بَحْرِيٍّ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يعني ذلك الذي أعطاهم من تكفير سيئاتهم وإدخالهم الجنة ثواباً من فضل الله وإحسانه إليهم ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ وهذا تأكيد لكون ذلك الثواب الذي أعطاهم من فضله وكرمه لأنه جواد كريم^(١).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ هل هي جملة تأسيسية، أم تأكيدية لجملة: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ إلى قولين:

^١ - لباب التأويل ١/٤٧٠، ٤٦٩.

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن الإخراج من الديار في جملة: ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ يقتضي القسر على الخروج، أما الهجرة فتكون بطوع المهاجر أحياناً، وقد تحمل الهجرة على معنى مجازي، وهي هجر الشرك، وبذلك تحمل جملة: ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ على التأسيس، وممن قال بهذا القول: ابن جرير الطبري^(١)، والرازي^(٢)، والقرطبي^(٣)، والبيضاوي^(٤)، وابن كثير^(٥)، وأبو حيان^(٦)، وأبو السعود^(٧)، والآلوسي^(٨).

ودليلهم في ذلك:

- ١ - الأصل الحمل على التأسيس لا التأكيد.
- ٢ - الحمل على المجاز الذي فيه إفادة أولى من الإعادة.
- ٣ - العطف المفيد للتغاير بين الهجرة والإخراج.
- ٤ - مجيء الإخراج بعد الهجرة قرينة على أنهم هجروا الشرك والمحرمات فأخرجهم الكفار.
- ٥ - ورود الحديث عن رسول الله ﷺ أن الهجرة بمعنى هجر المحرمات^(٩).

١ - جامع البيان ٤٩٠/٧.

٢ - مفاتيح الغيب ٤٧٠/٩.

٣ - الجامع أحكام القرآن ٣١٩/٤.

٤ - أنوار التنزيل ١٣٤/٢.

٥ - تفسير ابن كثير ١٩١/٢.

٦ - البحر المحيط ١١٦/٣، ١١٧.

٧ - إرشاد العقل السليم ٢٣/٢.

٨ - روح المعاني ١٦٩/٤.

٩ - عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» صحيح البخارى، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ٢٣/١ رقم: (١٠).

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب هذا الفريق من المفسرين إلى أن جملة: ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ هي بمعنى الهجرة، فتكون جملة توكيدية لجملة: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾، وممن قال بهذا القول كل من: البغوي^(١)، وحكاه أبو حيان^(٢)، وأبو السعود^(٣).

ودليلهم في ذلك:

أن الهجرة لا تكون إلا قسراً كالإخراج من الديار، وإن وجد الاختيار فهو نادر لا حكم له.

المناقشة والترجيح:

خلاصة أقوال المفسرين في الذين هاجروا كالاتي:

- ١- المهاجرون الذين هجروا أوطانهم وأهليهم اضطراراً.
- ٢- الذين اختاروا المهاجرة من أوطانهم في خدمة الرسول ﷺ.
- ٣- المراد هاجروا الشرك وتركوه، فالهجرة والمهاجرة كلاهما بمعنى الترك وقد يكون للأوطان كما هو ظاهر، وقد يحمل على هجر المحرمات.

وخلاصة أقوال المفسرين في الذين أخرجوا من ديارهم كالاتي:

- ١- الذين أخرجوا من ديارهم قسر و اضطراراً.
- ٢- هم المهاجرون الذين أخرجهم مشركوا قريش من ديارهم بمكة.

فالذين قالوا أن الخروج من الديار هو بمعنى الهجرة، قالوا جملة: ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ توكيدية لجملة: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾، واستدلوا بأن الهجرة لا تكون إلا قسراً كالإخراج من الديار.

١ - معالم التنزيل ١٥٤/٢.

٢ - البحر المحيط ١١٦/٣، ١١٧.

٣ - إرشاد العقل السليم ٢٣/٢.

والجواب: أن ذلك يحدث غالباً لعدم القدرة على إقامة الإسلام في بلد الكفر فيكون القسر بإخراج الكفار له أو بالوجوب الشرعي لإقامة دين الله تعالى، وقد يهاجر اختياراً.

وأما الذين حملوا جملة وأخرجوا على التأسيس، فاعتبروا الهجرة خروج اختياري أو حملوا معنى جملة: ﴿هَاجِرُوا﴾ على المجاز، وهو هجر الشرك والمحرمات يدعم هذا المعنى النص النبوي الذي سبق ودلالة السياق، وهي أنهم لما هجروا الشرك أخرجهم الكفار قسراً، وهذا المعنى المجازي قد جعل جملة الإخراج تأسيسية، وعليه فالذي يرجحه الباحث هو أن الهجرة مقصود بها المجاز وهو هجر الشرك والمحرمات بدلالة النص وقرينة السياق، كما أوضحته سابقاً، والله أعلم.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنَیْ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِيَاسًا يُورِي سَوَّءَ تِكْمٍ وَرِدْشًا وَلِيَاسًا النَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ^ع ذَلِكَ مِنْ ءَايَتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ

﴿^(١)﴾.

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿يَبْنَیْ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ خلقنا لكم، ﴿لِيَاسًا يُورِي سَوَّءَ تِكْمٍ﴾ أي: يستر عوراتكم، ﴿وَرِدْشًا﴾ أي: وما تتجملون به من الثياب الحسنة، ﴿وَلِيَاسًا النَّقْوَى﴾ أي: ستر العورة لمن يتقي الله فيواري عورته، ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ لصاحبه إذا أخذ به أو خير من التعري، وذلك أن جماعة من المشركين كانوا يتعبدون بالتعري وخلع الثياب في الطواف بالبيت، ﴿ذَلِكَ مِنْ ءَايَتِ اللَّهِ﴾ أي: من فرائضه التي أوجبها بآياته يعني: ستر العورة، ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ لكي يتعظوا»^(٢).

^١ - الأعراف: ٣٦.

^٢ - الوجيز للواحدى ١/٣٩٠.

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿وَلِيَّاسُ النَّقْوَى﴾ هل هي جملة تأسيسية أم توكيدية لجملة: ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِيَاسًا﴾ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن جملة: ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِيَاسًا يُؤْرِي سَوْءَ تَكْمٍ﴾ أي: لياساً حقيقياً يستر عوراتكم، وجملة: ﴿وَلِيَّاسُ النَّقْوَى﴾ محمولة على المجاز، وهو الإيمان، والأعمال الصالحة، فتكون جملة: ﴿وَلِيَّاسُ النَّقْوَى﴾ تأسيسية، وهذا أسلوب يستخدمه القرآن كثيراً مثل قوله تعالى: ﴿وَتَكَزَّوْا فَاِنَّ خَيْرَ لِّزَادِ النَّقْوَى﴾^(١)، وممن قال بهذا القول: أبو الليث السمرقندي^(٢)، والثعلبي^(٣)، والماوردي^(٤)، والزمخشري^(٥)، والبيضاوي^(٦)، وحكاه الرازي^(٧)، وأبو حيان^(٨)، والشوكاني^(٩).

وقيل: تحمل جملة: ﴿وَلِيَّاسُ النَّقْوَى﴾ على ما يُتقى به الحرب، وخاصة على قراءة النصب^(١٠) فتبقى جملة: ﴿وَلِيَّاسُ النَّقْوَى﴾ تأسيسية، وممن قال بهذا القول كل من:

١ - البقرة: ١٩٧.

٢ - بحر العلوم ١/٥٢٥.

٣ - الكشف والبيان ٤/٢٢٦.

٤ - النكت والعيون ٢/٢١٤.

٥ - الكشاف ٢/٩٣.

٦ - أنوار التنزيل ٣/١٤.

٧ - مفاتيح الغيب ١٤/٤٤٤، ٤٣.

٨ - البحر المحيط ٤/٢٨٤.

٩ - فتح القدير ٢/٢٨٧.

١٠ - وهي قراءة نافع، وابن عامر، والكسائي، وأبو جعفر، انظر: اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، شهاب الدين أحمد بن محمد الدميطي ص ٢٨١، دار الكتب العلمية- بيروت، ط/ الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

ابن جزي^(١)، وابن عاشور^(٢)، وحكاه الثعلبي^(٣)، والزمخشري^(٤)، والرازي^(٥).

ودليلهم في ذلك:

- ١- أن الأصل الحمل على تغاير المعنى.
- ٢- أن القرآن يعبر عن التقوى بمعانٍ مجازية كقوله تعالى: ﴿وَتَكَزَّوْذُوا فَإِنَّكُمْ حَيْرَ الْأَرْزَادِ النَّقْوَى﴾ فكما عبر عن التقوى بالزاد عبر عنها هنا باللباس فقال: ﴿وَلِبَاسُ النَّقْوَى﴾.

- ٣- إذا أفاد المجاز معناً جديداً حُمِلَ عليه إذا احتمله السياق ودل عليه النص.
- ٤- دلالة السياق، فقد قال الله تعالى بعد قوله: ﴿وَلِبَاسُ النَّقْوَى﴾، ﴿ذَلِكَ حَيْرٌ﴾ ومعلوم أن الإشارة كالضمير فالأصل أن يعود إلى أقرب مذكور، فلو دل على اللباس الحقيقي للجسم، فلا مبرر للخيرية والتفاضل بين اللباسين.

القول الثاني: القائلون بالتأكيد، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن جملة: ﴿وَلِبَاسُ النَّقْوَى﴾ محمولة على الحقيقة، وهو اللباس الذي يستر الجسم فتكون جملة: ﴿وَلِبَاسُ النَّقْوَى﴾ توكيدية لجملة: ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤْرِي سَوْءَ تَكْمٍ﴾^(٦)، وممن قال بهذا القول الواحدي^(٧)، وحكاه الماوردي^(٨)، الماوردي^(٨).

١ - التسهيل لعلوم التنزيل ٣٩٢/١.

٢ - التحرير والتوير ٥٨/٨.

٣ - الكشف والبيان ٢٢٦/٤.

٤ - الكشاف ٩٣/٢.

٥ - مفاتيح الغيب ٤٣، ٤٤/١٤.

٦ - البقرة: ١٩٧.

٧ - الوجيز للواحدى ٣٩٠/١.

٨ - النكت والعيون ٢١٤/٢.

والرازي^(١)، وأبو حيان^(٢)، والثعلبي^(٣)، والشوكاني^(٤).

ودليلهم في ذلك:

الأصل الحمل على الحقيقة، والحمل عليها يؤدي إلى التوكيد، وقد يؤدي إلى التأسيس بدون المجاز إذا حملنا لباس التقوى على لباس الحرب أو غيره إلا أنه لا مسوغ لذلك هنا.

المناقشة والترجيح:

قول المفسرين في «قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا»: أنه اللباس الذي يستر العورة.

وأما أقوالهم في قوله: «وَلِبَاسُ التَّقْوَى» فقد كانت على طريقتين:

الأولى: من حمل لباس التقوى على الحقيقة قال هو:

- ١- ستر العورة لمن يتقي الله فيواري عورته فيكون بنفس معنى الأول.
- ٢- ما يلبس من الدروع والجواشن^(٥) والمغافر^(٦) في الحرب عند الجهاد.
- ٣- لباس الصوف والخشن من الثياب لما فيه من التواضع لله.
- ٤- الملابس المعدة لأجل إقامة الصلوات.
- ٥- ما يُتَّقَى به الحر والبرد.

الثاني: من حمل لباس التقوى على المجاز:

- ١- الخشية من الله تعالى.

١ - مفاتيح الغيب ٤٣، ٤٤/١٤.

٢ - البحر المحيط ٢٨٤/٤.

٣ - الكشف والبيان ٢٢٦/٤.

٤ - فتح القدير ٢٨٧/٢.

٥ - الجواشن: جمع جوشن، وهو: اسم الحديد الذي يُلبَس من السلاح، وقيل: الدرع، انظر: لسان العرب العرب ٨٨ / ١٣.

٦ - المغافر: جمع مغفر، وهو زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة للحرب ويطلق عليه الخوذة، أو البيضة. انظر: المعجم الوسيط ٦٥٦ / ٢.

٢- الإيمان والعمل الصالح.

٣- السمات الحسن.

٤- العفاف.

٥- لباس الورع وارتقاء معاصي الله.

٦- لباس التقوى الحياء.

فمن حمل جملة: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ على الملابس الحقيقية للجسم قال هي جملة توكيدية لجملة: ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا﴾، وهذا ما يفيد المعنى اللغوي للباس التقوى.

ومن قال أن جملة: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ محمولة على المجاز، حمل معنى لباس التقوى على الإيمان، والأعمال الصالحة، فكانت عنده جملة: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ تأسيسية؛ لأن الحمل على المجاز إن أفاد التأسيس حمل عليه، وعلى هذا القول جمهور المفسرين لدلالة القرآن على هذا المعنى كما قال تعالى: ﴿وَتَكَزَّوْذُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾^(١)، كما أن دلالة السياق بعد ذكر لباس التقوى دلت على خيرية هذا اللباس؛ فلو كان هو اللباس الحقيقي مثل السابق فلا وجه للخيرية، وعليه فدلالة النصوص على إرادة المعنى المجازي من التقوى في مواضع من القرآن إضافة إلى دلالة السياق، ترجح لدي الباحث الحمل على المجاز الموافق لإرادة التأسيس، والله الموفق.

^١ - البقرة: ١٩٧.

الفصل الثالث

التوكيد في الجمل القرآنية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التوكيد بتكرار الجملة، وبنفي ضدها.

المبحث الثاني: التوكيد بالتذييل وبورود الخاص على العام.

المبحث الأول

التوكيد بتكرار الجملة، وبنفي ضدها

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التوكيد فيما تكرر من الجمل بلفظه، واختُلفَ في معناه.

المطلب الثاني : التوكيد للجملة بنفي ضدها.

المطلب الأول

التوكيد فيما تكرر من الجمل بلفظه ، واختلاف في معناه

سبق في الباب الأول أن عرفنا التوكيد بأنه: تمكين الشيء في النفس وتقويته، وإمالة الشبهات عما أنت بصدد الإخبار عنه، والمراد هو توكيد الحكم لا توكيد المسند إليه، ولا توكيد المسند؛ فيكون نظرنا في التوكيد مقصوراً على توكيد الجملة بجملة أخرى تثبت المراد في نفس السامع بإعادتها بنفس لفظها ومعناها، أو بمرادفها، وفي هذا المطلب سيتناول الباحث التكرار للألفاظ وترجيح المعنى المفيد للتوكيد من خلال الأمثلة الآتية:

المثال الأول:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلْنَا أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ * فَنَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١﴾.

المعنى العام للآية:

قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يقال هبط فلان أرض كذا ووادي كذا، إذا حل به، وقد أبان هذا القول من الله جل ثناؤه أن المخرج لآدم من الجنة هو الله جل ثناؤه، وأن إضافة الإخراج إلى إبليس كان على سبيل التسبب، ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ هو موضع الاستقرار، والمعنى: أن لهم في الأرض مستقراً ومنزلاً بأماكنهم ومستقرهم، وكذلك قوله: ﴿وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ولكم فيها بلاغ إلى الموت، وقيل إلى قيام الساعة، ﴿فَنَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ أي: أخذ وقيل، قيل: فلقى الله آدم كلمات توبة، فتلقها آدم من ربه وأخذها عنه تائباً، فتاب الله عليه بقوله

١- البقرة: ٣٦ - ٣٨.

إياها، ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ هو التَّوَّابُ عَلَى مَنْ تَابَ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ الْمَذْنِبِينَ، ﴿قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ والهبوط سبق ذكره في الآية السابقة، ودلت الآية أيضًا على أَنَّ هبوط آدم وزوجته وعدوهما إبليس، كان في وقت واحد، بجمع الله إياهم في الخبر عن إهباطهم، ﴿فَأَمَّا يَا تَيْنَكُم مِّنِّي هُدَىٰ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الهدى: البيان والرشاد، أي: فمن اتبع رُسُلِي فهم آمنون من عقاب الله، ولا هم يحزنون يومئذ على ما خلفوا بعد وفاتهم في الدنيا^(١).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿أَهْبَطُوا﴾ الثانية، هل هي جملة تأسيسية، أم توكيدية لجملة: ﴿أَهْبَطُوا﴾ الأولى إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى التفريق بين الهبوطين فحملوا جملة: ﴿وَقُلْنَا أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ على الهبوط من الجنة إلى سماء الدنيا، وحملوا جملة: ﴿قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ الثانية على الهبوط من سماء الدنيا إلى الأرض، فتغاير المعنى لديهم فحملوا الجملة الثانية على التأسيس، وممن قال بهذا القول: ابن كثير^(٢)، وحكاه البغوي^(٣)، والقرطبي^(٤)، وابن الجوزي^(٥)، وضعفه أبو حيان^(٦).

وقيل: وقع التأسيس لاختلاف المتعلق، فقد قص الأمر بالهبوط أولاً ليعلق عليه

^١ - جامع البيان ١/٥٣٤-٥٥١، بتصريف يسير.

^٢ - تفسير ابن كثير ١/٢٤١.

^٣ - معالم التنزيل ١/٨٦.

^٤ - الجامع لأحكام القرآن ١/٣٢٧.

^٥ - زاد المسير ١/٧٠.

^٦ - البحر المحيط ١/٢٧٠.

معنى وهو كون بعضهم لبعض عدو، ثم قصَّة ثانية ليعلق عليه معنى آخر هو ما ترتب على الهبوط من تفصيل لحال المخاطبين، وانقسامهم إلى مهتدين وضالين، وممن حكا هذا القول: القرطبي^(١)، والبيضاوي^(٢)، وقال به: سيد طنطاوي^(٣).

وأدلتهم على ذلك:

١- اختلاف المتعلق في الجملتين يدل على تغاير المعنى بينهما.

٢- السياق يدل على وجود هبوطين.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن جملة الهبوط الثاني هي عين الجملة الأولى، وإنما كرر الهبوط توكيداً، وممن قال بهذا القول: مقاتل^(٤)، وابن جرير الطبري^(٥)، والبغوي^(٦)، والزمخشري^(٧)، والرازي^(٨)، والقرطبي^(٩)، والبيضاوي^(١٠)، وأبو حيان^(١١)، والآلوسي^(١٢)، وابن عاشور^(١٣)، وحكاه ابن الجوزي^(١٤).

١- الجامع لأحكام القرآن ٣٢٧/١.

٢- أنوار التنزيل ٣٠١/١.

٣- التفسير الوسيط: ٦٣/١.

٤- تفسير مقاتل ٤٣/١.

٥- جامع البيان ٥٤٨/١.

٦- معالم التنزيل ٨٦/١.

٧- الكشاف ١٢٨/١.

٨- مفاتيح الغيب ٢٥/٣.

٩- الجامع لأحكام القرآن ٣٢٧/١.

١٠- أنوار التنزيل ٣٠١/١.

١١- البحر المحيط ٢٧٠/١.

١٢- روح المعاني ٢٣٩/١.

١٣- التحرير والتنوير ٣٢٠/١.

١٤- زاد المسير ٧٠/١.

وأدلتهم على ذلك:

أن الجملتين قول واحد كرر مرتين لربط الكلام، وإفادته للتوكيد حاصلة بمجرد إعادة اللفظ^(١).

المناقشة والترجيح:

خلاصة أقوال المفسرين في تكرار الهبوط:

١- أن آدم أهبط إهباطين، أحدهما من الجنة إلى السماء، والثاني من السماء إلى الأرض.

٢- التكرير لمجرد اتصال ما تعلق بمدلول ﴿وَقُلْنَا أَهْبَطُوا﴾ وذلك قوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، وقوله: ﴿فَأَمَّا يَا تَيْتَكُم مِّنِّي هُدَى﴾، ولا يخفى إفادته للتوكيد.

فمن فرق بين الهبوطين في المعنى أو فرق بالمتعلق قال جملة: ﴿أَهْبَطُوا﴾ الثانية للتأسيس؛ لأن اختلاف المتعلق يدل على اختلاف الجمل، والأصل الحمل على تغاير المعنى.

وأما من حمل التكرار على التوكيد، فقد استدل بأن الجملتين قول واحد كرر مرتين لربط الكلام، وإفادته للتأكيد حاصلة بمجرد إعادة اللفظ وإن اختلف التوجيه لما بعد الهبوط، كما أن المتعلق كله دل على أن الهبوط في الجملتين إلى الأرض لا إلى مكان سواه.

ويرى الباحث: أن من قال أن الهبوط الأول غير الثاني فالأول من الجنة إلى سماء الدنيا، والثاني من سماء الدنيا إلى الأرض فهو ضعيف من وجهين:

أحدهما: أن الله تعالى قال في الهبوط الأول: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾^(١)، فلو كان كان الاستقرار في الأرض إنما حصل بالهبوط الثاني لكان ذكر قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ عقيب الهبوط الثاني أولى.

^١ - التحرير والتنوير ١/٣٢٠.

وثانيهما: أنه قال في الهبوط الثاني: ﴿أَهْبِطُوا مِنْهَا﴾ والضمير في ﴿مِنْهَا﴾ عائد إلى الجنة، وذلك يقتضي كون الهبوط الثاني من الجنة، وبذلك فيرى الباحث أن الحمل على التأسيس هنا ضعيف لما سبق ذكره، كما أن إعادة الأمر لتغيير متعلقه لا يحيل معنى الأمر بالهبوط أنه من الجنة إلى الأرض، يؤيد ذلك ما قاله الإمام الرازي على إثر ذكر الهبوط: «إن الهبوط الثاني هو بمعنى الأول ولكن آدم وحوى ظنا أن طلب هبوطهما قد نسخ بتوبة الله عليهما، فأعيد الأمر بالهبوط لإزالة اللبس الذي وقعا فيه، وهذا لا يقتضي تغاير المعنيين لجملة: ﴿أَهْبِطُوا﴾ فتكرار الجملة للتوكيد»^(٢).

وعليه فإن جملة: ﴿أَهْبِطُوا﴾ الثانية توكيدية لجملة: ﴿أَهْبِطُوا﴾ الأولى، ولو اختلف متعلق كل أمر بالهبوط؛ فالإهباط الأول دل على أن هبوطهم إلى دار بلية يتعادون فيها، ولا يخلدون، والإهباط الثاني إلى نفس المكان وأشعر بأنهم أهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا، ومن ضل هلك، وقد حصل التوكيد بتكرار لفظ ﴿أَهْبِطُوا﴾ مع عدم تغيير المعنى، والله أعلم.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٣).

المعنى العام للآية:

١- البقرة: ٣٦.

٢- مفاتيح الغيب ٢٥/٣، بتصرف.

٣- النساء: ٩٤.

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: يا أيها الذين صدّقوا الله وصدّقوا رسوله، ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: إذا سرتُم مسيرًا لله في جهاد أعدائكم ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ فتأنّوا في قتل من أشكل عليكم أمره، فلم تعلموا حقيقة إسلامه ولا كفره، ولا تعجلوا فنقتلوا من التبس عليكم أمره، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ أي: ولا تقولوا لمن استسلم لكم فلم يقاتلكم، مظهرًا لكم أنه من أهل ملتكم ودعوتكم ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ فنقتلوه ابتغاء ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: طلب متاع الحياة الدنيا، ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ﴾ من رزقه وفواضل نعمه، ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ﴾ أي: كما كان هذا الذي ألقى إليكم السلم فقتلتم له ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ فقتلتموه، وقيل: كنتم كفارًا مثلهم ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ﴾ ففضل الله عليكم بإعزاز دينه بأنصاره وكثرة اتباعه، ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ أي: فلا تعجلوا بقتل من أردتم قتله ممن التبس عليكم أمر إسلامه، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ أي: ذا خبرة، وعلم بقتلكم من تقتلون، وكفكم عن تكفون عن قتله من أعداء الله وأعدائكم^(١).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ الثانية هل هي جملة تأسيسية، أم توكيدية لجملة: ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب بعض أهل التفسير إلى أن معنى قوله تعالى: ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ في أمر من تقتلونه ممن أشكل عليكم أمره، ومعنى جملة: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ الثانية، أي:

^١ - جامع البيان ٧٠/٩، بتصرف.

فتبينوا نعمة الله أو تثبتوا فيها، فتغاير المعنى فأفاد التأسيس، وممن قال بهذا القول: السمين الحلبي^(١)، ورجحه ابن عادل^(٢)، واحتمله الألوسي^(٣).

ودليلهم في ذلك:

- ١ - الأصل هو التأسيس لا التوكيد.
- ٢ - اختلاف المتعلق، والسياق الذي ورد فيه التبين، فالأول: فتبينوا في أمر مَنْ تقتلون، والثاني: فتبينوا نعمة الله عليكم من قبل.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن معنى جملة: ﴿إِذَا ضَرَيْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ أي: إذا سرتهم مسيراً في جهاد أعدائكم فتأنوا في قتل من أشكل عليكم أمره، ومعنى جملة: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ الثانية فلا تعجلوا بقتل من أردتم قتله ممن أشكل عليكم أمره، فتكرر المعنى في الجملتين فأفادت الثانية توكيداً للأولى، ودلالة السياق تدعم هذا القول، حيث ختم الآية بما يجمع الوعد والوعيد تأكيداً للتبيين، وعدم العجلة، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ وممن قال بهذا القول: مقاتل^(٤)، وابن جرير الطبري^(٥)، والبعغوي^(٦)، وابن عطية^(٧)، وابن الجوزي^(٨)، والقرطبي^(٩)، والبيضاوي^(١٠)،

١ - الدر المصون ١/١١٩٢.

٢ - اللباب في علوم الكتاب ٦/٥٨٠.

٣ - روح المعاني ٣/١١٥.

٤ - تفسير مقاتل ١/٢٥٠.

٥ - جامع البيان ٩/٧١.

٦ - معالم التنزيل ٢/٢٦٨.

٧ - المحرر الوجيز ٢/١٧٧.

٨ - زاد المسير ٢/٨٦.

٩ - الجامع لأحكام القرآن ٥/٣٤١.

١٠ - أنوار التنزيل ٢/٢٣٧.

والنسفي^(١)، والخازن^(٢)، وأبو حيان^(٣)، وابن كثير^(٤)، وابن عجيبة^(٥)، وابن عاشور^(٦)،
عاشور^(٦)، واحتمله السمين الحلبي^(٧).

ودليلهم في ذلك:

- ١ - عدم اختلاف معنى التبيين، بين الجملتين وهو التثبت، والسياق لا يدل على معنى غير التثبت فيمن يقتله المسلمون.
- ٢ - ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ يؤكد الحمل على التوكيد.
- ٣ - «تكريره توكيد لتعظيم الأمر، وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم»^(٨)، وإعادة الأمر بالتبيين في أمر من يقتل يدل على المبالغة في التحذير من الاستعجال في هذا الأمر.

المناقشة والترجيح:

من خلال النظر في أقوال المفسرين يتبين أن الأقوال الواردة في جملة: «فتبينوا» الثانية إما أن تكون بمعنى التبين الوارد في الأولى وهو: فتبينوا في أمر من تقتلونه، أو بمعنى: فتبينوا نعمة الله عليكم؛ لدلالة السياق قبله. وعليه فقد ذهب بعض المفسرين إلى أن جملة: «فتبينوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا» جملة تأسيسية، وقد قال ابن عادل بعد نقله لقول من قال إنها جملة

١ - مدارك التنزيل ١/٢٤٧.

٢ - لباب التأويل ١/٤١٤.

٣ - البحر المحيط ١٠/١٧٨.

٤ - تفسير ابن كثير ٢/٣٨٥.

٥ - البحر المديد ٢/١٢٣.

٦ - التحرير والتنوير ٤/٢٢٥، ٢٢٦.

٧ - الدر المصون ١/١١٩٢.

٨ - أنوار التنزيل ٢/٢٣٧.

توكيدية، «وقيل: ليست للتوكيد؛ لاختلاف متعلقهما، فإنَّ تقدير الأوَّل: فتبينوا في أمر من تقتلونه، وتقدير الثاني: فتبينوا نعمة الله أو تثبتوا فيها؛ ولأنَّ الأصل عدم التأكيد»^(١)؛ وذلك لأن الله لما ذكرهم بالنعمة عليهم بقوله: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ بِلِلَّهِ عَلَيْهِمْ﴾، أي تبيينوا نعمة الله عليكم.

وذهب جمهور المفسرين إلى أن جملة: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ الثانية توكيدية للجملة السابقة، وأعاد الأمر بالتبيين؛ مبالغة في التحذير لخطورة العجلة في هذا الوطن، ويدعم هذا القول ختم الآية بجملة تجمع الوعد، والوعيد توكيداً للتبيين، وعدم العجلة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ولا يخفى ما في ذلك من التوكيد لأمر التبيين، كما أن السياق إنما ذكرهم بما كانوا عليه وبنعمة الله عليهم ليتبينوا في أمر من يقتلونه، والله أعلم.

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ *...* كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾^(٢).

المعنى العام للآية:.

فِعْلٌ هُوَ لَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَرِيْشِ الَّذِينَ قُتِلُوا بِبَدْرٍ، كَعَادَةِ قَوْمِ فِرْعَوْنَ وَصَنِيْعِهِمْ وَفَعْلُهُمْ وَفَعَلَ مِنْ كَذَبٍ بِحُجَجِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنَ الْأُمَّمِ الْخَالِيَةِ قَبْلَهُمْ، فَفَعَلْنَا بِهِمْ كَفَعَلْنَا بِأَوْلَائِكَ، وَقَدْ بَيَّنَّا فِيْمَا مَضَى أَنَّ "الدَّابَّ"، هُوَ الشَّأْنُ وَالْعَادَةُ، ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾، يَقُولُ: فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ بِتَكْذِيبِهِمْ حُجْجَهُ وَرَسُولَهُ، وَمَعْصِيَتِهِمْ رَبَّهُمْ، كَمَا عَاقَبَ أَشْكَالَهُمْ،

^١ - اللباب في علوم الكتاب ٥٨٠/٦.

^٢ - الأنفال: ٥٢ - ٥٤.

والأمم الذين قبلهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدٌ﴾ لا يغلبه غالب، ولا يرد قضاءه راد، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١)، أي: فغيرنا نعمتنا عليهم بإهلاكنا إياهم، كفعلنا ذلك في الماضين قبلهم ممن طغى علينا وعصى أمرنا، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: لا يخفى عليه شيء من كلام خلقه، يسمع كلام كل ناطق منهم بخير نطق أو بشر، ﴿عَلِيمٌ﴾ بما تضره صدورهم، وهو مجازيهم ومثيبيهم على ما يقولون ويعملون، إن خيراً فخييراً، وإن شراً فشراً، ﴿كَذَّابٍ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ أي: كسنة آل فرعون وعادتهم وفعلهم بموسى نبي الله، في تكذيبهم إياه، وقصدهم لحربه، وعادة من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها وصنيعهم ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بَدُونِهِمْ﴾، بعضاً بالرجفة، وبعضاً بالخسف، وبعضاً بالريح، ﴿وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾^٤ في اليم، ﴿وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ كل هؤلاء الأمم التي أهلكتها كانوا فاعلين ما لم يكن لهم فعله، من تكذيبهم رسل الله والجحود لآياته، فكذلك أهلكتنا هؤلاء الذين أهلكتناهم ببدر، إذ غيروا نعمة الله عندهم، بالقتل بالسيف، وأدللنا بعضهم بالإسار^(٢).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿كَذَّابٍ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِدُونِهِمْ﴾ هل هي جملة تأسيسية أم جملة توكيدية لجملة: ﴿كَذَّابٍ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى اختلاف معنى الجملتين فحمل الأولى باعتبار ما فعله آل فرعون كما قال تعالى: ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِدُونِهِمْ﴾، ومن شبه بهم،

^١ - الأنفال: ٥٣.

^٢ - جامع البيان ١٤/١٨-٢١، بتصرف.

والثانية باعتبار ما فعل بهم كقوله تعالى: ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾، وقيل: المراد بالأول كفرهم بالله، وبالثاني تكذيبهم الأنبياء، وقيل: إنّ الكلام الثاني يجري مجرى التفصيل للكلام الأوّل؛ لأنّ الكلام الأوّل فيه ذكر أخذهم، وفي الثاني ذكر إغراقهم، وممن قال بهذا القول: الخازن^(١)، وأبو حيان^(٢)، وحكاه البيضاوي^(٣)، والنسفي^(٤)، والثعالبي^(٥)، والشربيني^(٦)، والشوكاني^(٧).

ودليلهم في ذلك:

- ١- أن العقاب في الجملة الثانية وهو الإغراق جرى مجرى التفصيل للأولى الذي هو الأخذ بالذنوب فدل على زيادة المعنى في الجملة الثانية.
- ٢- الآية الأولى إشارة إلى أنهم أنكروا آيات الله وجحدوها، وفي الآية الثانية إشارة إلى أنهم كذبوا بها مع جحدهم لها، وكفرهم بها، وفيها من التغاير ما يدل على التأسيس.
- ٣- في الآية الأولى إنكار لدلائل الألوهية، وفي الثانية إشارة إلى إنكار نعم من رباهم ودلائل تربيته وإحسانه.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن المعنى واحد في الآيتين، فقالوا: الثانية توكيدية للأولى، وإنما هو تفنن في الكلام، فقد قال في الأولى: (كَفَرُوا)، وفي الثانية: (كَذَّبُوا)، وفي الأولى: (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ)، وفي الثانية: (فَأَهْلَكْنَاهُمْ)، ولا ريب أن الكفر والتكذيب

١ - لباب التأويل ٤٣/٣.

٢ - البحر المحيط ٥٠٣/٤.

٣ - أنوار التنزيل ١١٦/٣.

٤ - مدارك التنزيل ٧٠/٢.

٥ - الجواهر الحسان ١٠٥/٢.

٦ - السراج المنير ٦٥٩/١.

٧ - فتح القدير ٤٦٣/٢.

واحد، كما أن أخذ الله لهم هو إهلاكهم، وهذا التكرير غرضه التأكيد والتسميع، وتقديرًا للإنذار والتهديد بأن يحل بالمكذابين ما حل بآل فرعون، وممن قال بهذا القول: ابن جرير الطبري^(١)، والزمخشري^(٢)، والبيضاوي^(٣)، والنسفي^(٤)، والشوكاني^(٥)، وابن عاشور^(٦)، وحكاه الخازن^(٧)، والشربيني^(٨).

ودليلهم في ذلك:

- ١- عدم تغاير المعنى وهذا يدل على التوكيد.
- ٢- القول بالتوكيد فيه زيادة في الدلالة على كفران النعم، وجحود الحق وفي ذكر الإغراق بيان للأخذ بالذنوب.

المناقشة والترجيح:

- خلاصة أقوال المفسرين في سبب تكرر قوله تعالى: ﴿كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۗ﴾
- ١- الأولى الأخذ بالذنوب بلا بيان ذلك، وفي الثانية بين أنه الإهلاك والاستئصال.
 - ٢- في الأولى أنهم كفروا بآيات الله، وفي الآية الثانية أنهم كذبوا بآيات ربهم ففي الآية الأولى إشارة إلى أنهم أنكروا آيات الله وجحدوها، وفي الآية الثانية إشارة إلى أنهم كذبوا بها مع جحودهم لها، وكفرهم بها.
 - ٣- الأولى ما نزل بهم من العقوبة حال الموت، وبالثانية ما نزل بهم من العذاب في الآخرة.

^١ - جامع البيان ١٤/١٨-٢١.

^٢ - الكشاف ٢/٢١٨.

^٣ - أنوار التنزيل ٣/١١٦.

^٤ - مدارك التنزيل ٢/٧٠.

^٥ - فتح القدير ٢/٤٦٣.

^٦ - التحرير والتنوير ٩/١٣٦.

^٧ - لباب التأويل ٣/٤٣.

^٨ - السراج المنير ١/٦٥٩.

٤- الأولى: ﴿بَيَّاتِ اللَّهُ﴾ إشارة إلى إنكار دلائل الإلهية، وفي الثاني: ﴿بَيَّاتِ رَبِّهِمْ﴾ إشارة إلى إنكار نعم من رباهم ودلائل تربيته وإحسانه على كثرتها وتواليها.

قال الإمام الشوكاني بعد ذكر هذه الأقوال: «وقيل: غير ذلك مما لا يخلو من تعسف والكلام في ﴿فَأَهْلَكْنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾: كالكلام المتقدم في ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾، وقوله: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ معطوف على أهلكتناهم عطف الخاص على العام لفظاعته وكونه من أشد أنواع الإهلاك»^(١)، وقال ابن عاشور بعد ذكر الآية الثانية: «تكرير لقوله: ﴿كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ المذكور قبله لقصد التوكيد، والتسميع تقرير للإنذار والتهديد، وخولف بين الجملتين تفننا في الأسلوب، وزيادة للفائدة، بذكر التكذيب هنا بعد ذكر الكفر هناك، وهما سببان للأخذ والإهلاك كما قدمناه آنفا»^(٢).

وعليه فمن قال بالتأسيس: ذهب إلى اختلاف معنى الجملتين، فحمل الأول باعتبار ما فعله آل فرعون، ومن شبه بهم، والثاني باعتبار ما فعل بهم، وقيل: غير ذلك، وهو تفصيل لا يعود بتغيير المعنى واختلافه في الجملتين.

ومن ذهب إلى أن المعنى واحد في الآيتين: قال: الجملة الثانية توكيدية، وهذا التكرير غرضه التأكيد والتسميع، وتقرير للإنذار والتهديد بأن يحل بالمكذبين ما حل بآل فرعون، وهو الراجح لدى الباحث لعدم وجود التباين للمعنى بين الجملتين؛ ولأن إنذار المكذبين يحتاج إلى التقرير والتهديد، والتكرير الذي يزعزع النفوس، فكان في الحمل على التوكيد هذا الغرض العظيم، والله أعلم.

المثال الرابع:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(٣).

١ - فتح القدير ٤٦٣/٢.

٢ - التحرير والتنوير ١٣٦/٩.

٣ - يونس: ٥٨.

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿قُلْ يَفْضَلِ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ﴾ أي: بمطلق الفضل والرحمة، ﴿فِي ذَلِكَ فليَفْرَحُوا﴾ لا بغيره، أو الفضل: الإسلام، والرحمة: القرآن، ﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من حطام الدنيا، فإنها إلى الزوال»^(١).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿فِي ذَلِكَ فليَفْرَحُوا﴾ هل هي جملة تأسيسية، أم جملة توكيدية للجملة المقدرّة - فليفرحوا - بعد قوله: ﴿قُلْ يَفْضَلِ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ﴾ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن الجملة المقدرّة بعد قوله: ﴿قُلْ يَفْضَلِ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ﴾ فليعتوا، ثم تأتي جملة: ﴿فِي ذَلِكَ فليَفْرَحُوا﴾ فتغاير المعنى فصارت هذه الجملة تأسيسية، وممن حكا هذا القول: الزمخشري^(٢)، والبيضاوي^(٣)، وحكا ابن عادل عن جماعة^(٤).
ودليلهم في ذلك: هو الوقوف على الأصل وهو الحمل على التأسيس وعدم الترحح عنه إلا بقريضة تدل على التوكيد.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن الجملة المقدرّة بعد قوله: ﴿قُلْ يَفْضَلِ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ﴾ هي فليفرحوا ثم تأتي جملة: ﴿فِي ذَلِكَ فليَفْرَحُوا﴾ فتكون جملة توكيدية للجملة المقدرّة

^١ - البحر المديد ٣/٢٣١.

^٢ - الكشاف ٢/٣٣٦.

^٣ - أنوار التنزيل ٣/٢٠٤.

^٤ - منهم أبو البقاء، والحوافي، وشهاب الدين، انظر: اللباب في علوم الكتاب ١٠/٣٥٦.

﴿فَلْيَفْرَحُوا﴾ وممن قال بهذا القول: ابن جرير الطبري^(١)، والبغوي^(٢)، والزمخشري^(٣)، والرازي^(٤)، والقرطبي^(٥)، والبيضاوي^(٦)، وابن جزى^(٧)، وأبو حيان^(٨)، والشربيني^(٩)، والشربيني^(٩)، والشوكاني^(١٠)، وابن عاشور^(١١).

المناقشة والترجيح:

من خلال عرض أقوال المفسرين يتبين أن الجملة المقدره بعد قوله: ﴿قُلْ يَفْضَلِ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ﴾ هي فليفرحوا، ثم تأتي جملة: ﴿فَإِنَّكَ لَيَفْرَحُونَ﴾ وهذا تكرار يفيد التأكيد؛ لأن الظاهر يدل على المقدر، وجوز الزمخشري كون جملة: ﴿فَإِنَّكَ لَيَفْرَحُونَ﴾ جملة تأسيسية على تقدير الجملة السابقة: بفضل الله وبرحمته فليعتنوا أي: فبعتنائهم فليفرحوا، فيكون الفرح بالاعتناء، ويجب أن اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما، فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه، ولعل انسجام التقدير مع ما بعده يجعل حمل جملة: ﴿فَإِنَّكَ لَيَفْرَحُونَ﴾ على التأكيد أولى، والله الموفق.

١ - جامع البيان ١٥/١٠٥.

٢ - معالم التنزيل ٤/١٣٨.

٣ - الكشاف ٢/٣٣٦.

٤ - مفاتيح الغيب ١٧/٩٥.

٥ - الجامع لأحكام القرآن ٨/٣٥٣.

٦ - أنوار التنزيل ٣/٢٠٤.

٧ - التسهيل لعلوم التنزيل ١/٦٦٥.

٨ - البحر المحيط ٥/١٣٨.

٩ - السراج المنير ٢/٢٢.

١٠ - فتح القدير ٣/٣٨٧.

١١ - التحرير والتنوير ١١/١٥.

المطلب الثاني

تأكيد الجملة بنفي ضدها

سبق الكلام حول قاعدة التوكيد بنفي الضد وأقوال العلماء فيها وبقي في هذا المقام أن أضرب الأمثلة التي وافقت القاعدة وهي كالاتي:

المثال الأول:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾^(١).

المعنى العام للآية:

«ويسألك يا محمد أصحابك عن الحيض، وقيل: المحيض الذي أمر الله تعالى باعتزاله منهن موضع الأذى، وذلك موضع مخرج الدم، ولا تقربوا النساء في حال حيضهن حتى ينقطع عنهن دم الحيض ويطهرن»^(٢).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ هل هي جملة تأسيسية أم تأكيدية لجملة: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ إلى أقولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

من قال بالتأسيس ذهب إلى التفريق بين الجملتين، فقال: الاعتزال عدم الاقتراب من الجسد كاملاً، أي عدم الالتصاق، وعدم قربانهن عدم الجماع، فاختلف لديهم المعنى، فأفادت جملة: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ التأسيس، وممن حكا هذا القول:

١ - البقرة: ٢٢٢.

٢ - جامع البيان ٤/٣٧٧.

ابن جرير الطبري^(١)، والماوردي^(٢)، وأنكره الطبري بتبيين شذوذه^(٣)، ومخالفته للنص الصريح من السنة^(٤).

ودليلهم في ذلك:

- ١ - اختلاف الألفاظ يدل على اختلاف المعاني.
- ٢ - الأصل الحمل على التأسيس.
- ٣ - العطف المقتضي لتغاير المعنى.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب جمهور المفسرين إلى حمل الجملتين وهما: ﴿فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ﴾ وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾ على معنى واحد، وهو عدم الجماع فأفادت الثانية توكيد الأولى، وممن قال بهذا القول: ابن جرير الطبري^(٥)، وابن الجوزي^(٦)، والبيضاوي^(٧)، والشربيني^(٨)، وابن عاشور^(٩)، والمراغي^(١٠)، وسيد طنطاوي^(١١).

ودليلهم في ذلك:

- ١ - حديث النبي ﷺ أن الممنوع على الرجل في زمن حيض أهله هو الجماع فقط.

-
- ١ - جامع البيان ٣٧٧/٤.
 - ٢ - النكت والعيون ٢٨٣/١.
 - ٣ - وهو قول شاذ لعبيدة السلماني. انظر: جامع البيان ٧٣١/٣.
 - ٤ - حديث أنس عن النبي ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا الجماع» رواه مسلم، باب: جواز غسل رأس زوجها وترجيله ٢٤٦/١، برقم (٣٠٢).
 - ٥ - جامع البيان ٣٧٧/٤.
 - ٦ - زاد المسير ٢٤٨/١.
 - ٧ - مدارك التنزيل ٥٠٩/١.
 - ٨ - السراج المنير ١٢٣/١.
 - ٩ - التحرير والتنوير ٣٧٥/٢.
 - ١٠ - تفسير المراغي ١٥٦/٢.
 - ١١ - التفسير الوسيط ٤٩٤/١.

٢- أن الشيء يؤكد بنفي ضده^(١).

المناقشة والترجيح:

يتضح من خلال أقوال المفسرين؛ إما أن يحمل الاعتزال على معنى اعتزال الجماع حال الحيض، وجملة: ﴿وَلَا نَقْرُبُوهْنَ﴾ على مفارقة الفراش عند النوم وعدم الالتصاق بأي جزء من المرأة فتكون جملة: ﴿وَلَا نَقْرُبُوهْنَ﴾ تأسيسية، وهذا القول ضعيف، لمخالفته للنص الصريح عن النبي ﷺ بعدم التشبه باليهود في ذلك.

وإما أن يدل على عدم الجماع، فتكون جملة: ﴿وَلَا نَقْرُبُوهْنَ﴾ توكيدية لجملة: ﴿فَاعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ﴾ وهذا القول هو الصحيح الذي دلت عليه النصوص الصحيحة كما سبق بيانه، وهو ينسجم مع قاعدة توكيد الشيء بنفي ضده؛ لأن من المعلوم أن محل الأذى الذي هو الحيض إنما هو القبل، وهذا القول راجع في المعنى إلى ما ذكرنا؛ لأن الله أكد اعتزال الزوجات في زمن الحيض بالنهي عن قربانهن، وفائدة هذا التوكيد وضحه المراغي بقوله: «والسرّ في هذا التأكيد كبح جماح الرغبة في ملابس النساء ولو وصلت إلى حد الإيذاء، وقد كان بعض الناس يظن أن الاعتزال ترك القرب الحقيقي، لكن السنة بينت أن المحرم إنما هو الوقاع فحسب»^(٢)، فحسب»^(٢)، وأكد ذلك سيد طنطاوي بقوله: «والاعتزال: التباعد، وهو هنا كناية عن ترك الجماع والمباشرة، كما أن النهي عن قربهن كناية عن النهي عن جماعهن، والمعنى: عليكم أيها المؤمنون أن تمتنعوا عن مباشرة النساء في زمن حيضهن ولا تجامعوهن»^(٣).

^١ - التحرير والتوير ١٢٩/٦.

^٢ - تفسير المراغي، ١٥٦/٢.

^٣ - التفسير الوسيط ٤٩٤/١.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(١).

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد، لأهل الكتاب، وهم أهل التوراة والإنجيل ﴿تَعَالَوْا﴾ هلموا، ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ يعني: إلى كلمة عدل، ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ والكلمة العدل، هي أن نوحده الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه، فلا نشرك به شيئاً، وقوله: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ أي: ولا يدين بعضنا لبعض بالطاعة فيما أمر به من معاصي الله، ويعظمه بالسجود له كما يسجد لربه ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: فإن أعرضوا عما دعوتهم إليه من الكلمة السواء التي أمرتك بدعائهم إليها فلم يجيبوك إليها ﴿فَقُولُوا﴾ أيها المؤمنون، للمتولين عن ذلك ﴿اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾»^(٢).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا﴾ هل هي جملة تأسيسية أم توكيدية لجملة: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾؟ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى جملة: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ أي: لا نعبد معه غيره، ﴿وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا﴾ من الأشياء على معنى لا نجعل غيره شريكاً له في استحقاق العبادة، ولا نراه أهلاً لأن يعبد، وهو متجه أفاد معناً جديداً غير توكيد

^١ - آل عمران: ٦٤.

^٢ - جامع البيان ٦/٤٨٣.

التوحيد، وبهذا المعنى تكون هذه الجملة تأسيسية، وقد قال بهذا القول: الزمخشري^(١)، والبيضاوي^(٢)، وحكاه الواحدي^(٣)، والآلوسي^(٤).

ودليلهم في ذلك:

الأصل الحمل على تغاير المعنى؛ لأن التأسيس أولى من التأكيد.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن جملة: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ بمعنى: لا نعبد معه غيره، وجملة: ﴿وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا﴾ لا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة، فتكون الجملتين بمعنى واحد، وعليه فجملة: ﴿وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا﴾ توكيدية للجملة السابقة، وممن قال بهذا القول: ابن جرير الطبري^(٥)، والواحدي^(٦)، وأبو حيان^(٧)، والبقاعي^(٨)، ورجحه الآلوسي^(٩).

ودليلهم في ذلك:

«أن هذه الأفعال الداخل عليها أداة النفي متقاربة في المعنى، يؤكد بعضها بعضاً، إذ اختصاص الله بالعبادة يتضمن نفي الاشتراك، ونفي اتخاذ الأرباب من دون

١ - الكشاف ٥٣٣/٢.

٢ - أنوار التنزيل ٤٨ / ٢.

٣ - الوجيز للواحد ص ٢١٥.

٤ - روح المعاني ١٩٣/٣.

٥ - جامع البيان ٤٧٣/٥.

٦ - الوجيز للواحد ص ٢١٥.

٧ - البحر المحيط ١٩٥/٣.

٨ - نظم الدرر ١٠٩/٢.

٩ - روح المعاني ١٩٣/٣.

الله؛ لأن الموضع موضع تأكيد وإسهاب ونشر كلام؛ لأنهم كانوا مبالغين في التمسك بعبادة غير الله، فناسب ذلك التوكيد»^(١).

كما أن الفعل في سياق النفي، يعم متعلقاته من مفعول به ومصدر وزمان ومكان وهيئة، وهو حاصل في «لا نعبد» و«لا نشرك» فاستوى النفي في إفادة العموم في كلا الجملتين إضافة إلى أن الثانية في معناها ضد الأولى.

المناقشة والترجيح:

من خلال كلام المفسرين يتبين اختلافهم في جملة: «ولا نشرك به شيئاً» هل هي توكيدية لجملة: «أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ» أم تأسيسية؟ فعلى كونها تأسيسية يكون معنى قوله: «وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً» لا نجعل غيره شريكاً له في استحقاق العبادة، ولا نراه أهلاً لأن يعبد، إلا أن هذا المعنى حاصل بالجملة السابقة، وقيل: لا نطيع أحداً في معصية الله، وهو متجه أفاد معناً جديداً غير تأكيد التوحيد، وهو يتعلق بالطاعة، وقد رجع الألوسي عنه إلى ترجيح كونها توكيدية كقول جمهور المفسرين؛ لأن صرف الألفاظ من التوحيد إلى الطاعة بعيد لا يدل عليه أي دليل إلا مجرد المخالفة، ولولا ما شملت عليه الجملة الأولى من الحصر، والقصر، والنفي، والإثبات الذي اقتضى معنى الجملة الثانية لقلنا بأن جملة: «وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً» تأسيسية، وعليه فالقول بأنها جملة توكيدية هو الراجح، وهذا الأسلوب يعرف عند البلاغيين بتوكيد الشيء بنفي ضده وهو من أقوى أساليب التوكيد عند البلاغيين^(٢)، والله الموفق.

١ - البحر المحيط ٣/١٩٦.

٢ - الإيضاح في علوم البلاغة ص ١١١.

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِئِعْ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾^(١).

المعنى العام للآية:

«يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد، لهؤلاء المشركين بربهم من قومك، العادلين به الأوثان والأنداد، الذين يدعونك إلى موافقتهم على دينهم وعبادة الأوثان: إن الله نهاني أن أعبد الذين تدعون من دونه، فلن أتبعكم على ما تدعونني إليه من ذلك، ولا أوافقكم عليه، ولا أعطيكم محبتكم وهوامكم فيه، وإن فعلت ذلك، فقد تركت محجة الحق، وسلكت على غير الهدى، فصرت ضالاً متلكم على غير استقامة»^(٢).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ هل هي جملة تأسيسية، أم توكيدية لجملة: ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا﴾ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى جملة: ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا﴾ أي: إن اتبعت أهواءكم فأنا ضال، ومعنى جملة: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ في شيء يعني أنكم كذلك، وقد حكى هذا القول: الزمخشري^(٣)، والرازي^(٤).

١ - الأنعام: ٥٦.

٢ - جامع البيان ٣٩٧/١١.

٣ - الكشاف ٢٩/٢.

٤ - مفاتيح الغيب ٨/١٣.

ودليله في ذلك:

- ١ - الأصل التأسيس وهو خير من التوكيد.
- ٢ - اختلاف الجملتين بين الفعلية والاسمية يدل على التغاير في المعنى.
- ٣ - التعاطف بين الجملتين يدل على تغاير المعنيين.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن جملة: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ توكيدية لجملة: ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا﴾؛ لأنهما بمعنى واحد، فقد أثبت الضلال إذ ذاك ونفى الهدى مع أنهما متلازمان للتقرير والتأكيد، وممن قال بهذا القول: مقاتل^(١)، وابن جرير الطبري^(٢)، والبيهقي^(٣)، والزمخشري^(٤)، والقرطبي^(٥)، والبيضاوي^(٦)، والسمين الحلبي^(٧)، وأبو حيان^(٨)، والنيسابوري^(٩)، وابن عادل^(١٠)، والشوكاني^(١١)، وابن عاشور^(١٢).

ودليلهم في ذلك:

أن الضلال: هو نفس عدم الاهتداء، والشيء يؤكد بنفي ضده.

-
- ١ - تفسير مقاتل ٣٣٩/١.
 - ٢ - جامع البيان ٣٩٦/١١.
 - ٣ - معالم التنزيل ١٤٩/٣.
 - ٤ - الكشاف ٢٩/٢.
 - ٥ - الجامع لأحكام القرآن ٤٣٧/٦.
 - ٦ - أنوار التنزيل ٤١٤ / ٢.
 - ٧ - الدر المصون ٦٢٨/١.
 - ٨ - البحر المحيط ٥٣٠/٤.
 - ٩ - غرائب القرآن ٢٨٠/٣.
 - ١٠ - اللباب في علوم الكتاب ١٨٢/٨.
 - ١١ - فتح القدير ١٧٦/٢.
 - ١٢ - التحرير والتنوير ١٢٩/٦.

المناقشة والترجيح:

من قال أن جملة: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ تأسيسية فرق في المعنى من حيث قوة الدلالة على الضلال بين الجملة الفعلية والاسمية، والحق أن هذا تفريق لا يثبت؛ لأن التوكيد يحدث بين الجمل المتغايرة بين الاسمية والفعلية، كما أن الأصل التأسيس إذا لم يوجد دليل يصرف المعنى إلى التوكيد، والذي يراه الباحث هو ما ذهب إليه جمهور المفسرين من أن جملة: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ توكيدية، بل ومن أقوى أساليب التوكيد؛ لأنه توكيد للشيء بنفي ضده، أي: تأكيد للضلال بنفي الاهتداء إضافة إلى تأكيد الجملة الفعلية بجملة اسمية؛ فالأولى فعلية تدل على تجدد الفعل وحدوثه، والثانية اسمية تدل على الثبوت، والمعنى: إن فعلت ذلك، فقد تركت سبيل الحق، وسلكت غير سبيل الهدى، والله الموفق.

المثال الرابع:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾^(١).

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ﴾ أي: أدنيت، ﴿الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ حتى يروها قبل أن يدخلوها ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ منهم وهو تأكيد»^(٢).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾^(٣)، هل هي جملة تأسيسية أم توكيدية لجملة: ﴿وَأُزْلِفَتِ﴾؟ إلى قولين:

١ - ق: ٣١.

٢ - الكشف والبيان ١٠٤/٩.

٣ - تكون الجملة الحالية على تقدير «هي غير بعيد منهم» انظر: مفاتيح الغيب ١٥١/٢٨.

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن قوله: ﴿وَأَزْلَفَتْ الْجَنَّةُ﴾ يعني قربت وأدْنَيْت، ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ جملة، تقديرها (غير بعيد دخولهم) فتكون غير دالة على الدنو والقرب المكاني، فتكون جملة تأسيسية، لها معنى غير معنى أزلفت، وهذا محمل فيه إفادة، وهو خير من الإعادة، وممن قال بهذا القول: أبو الليث السمرقندي^(١)، واحتمله الرازي^(٢)، وحكاه الشوكاني^(٣).

ودليلهم في ذلك:

أن التأسيس أولى من التوكيد؛ لأنه أصل والتوكيد فرع.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن جملة: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ توكيدية لجملة: ﴿وَأَزْلَفَتْ﴾، سواء كانت غير بعيد قربهم منها، أو غير بعيدة منهم، والشيء يؤكد بنفي ضده، وممن قال بهذا القول: ابن عطية^(٤)، والرازي^(٥)، وابن عجيبة^(٦)، والقرطبي^(٧)، وأبو حيان^(٨)، وابن كثير^(٩)، وابن عادل^(١٠)، والآلوسي^(١١)، والشوكاني^(١)، وابن

١ - بحر العلوم ٣/٣٢١.

٢ - مفاتيح الغيب ٢٨/١٥١.

٣ - فتح القدير ٥/١١٠.

٤ - المحرر الوجيز ٥/١٤٨.

٥ - مفاتيح الغيب ٢٨/١٥١.

٦ - البحر المديد ٧/٢٧٩.

٧ - الجامع لأحكام القرآن ١٧/٢٠.

٨ - البحر المحيط ٨/١٢٦.

٩ - تفسير ابن كثير ٧/٤٠٦.

١٠ - اللباب في علوم الكتاب ١٨/٣٧.

١١ - روح المعاني ١٣/٣٣.

عاشور^(٢)، والشنقيطي^(٣)، وسيد طنطاوي^(٤).

ودليلهم في ذلك:

أن أزلفت بمعنى قربت، وهو نفس المعنى لجملة: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾، والشيء يؤكد بنفي ضده.

المناقشة والترجيح:

من قال من المفسرين أن جملة: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ تقديرها (غير بعيد منهم)، أو (غير بعيد دخولهم) كانت عنده غير دالة على القرب أو الدنو المكاني، فيكون لها معنى غير معنى جملة: ﴿وَأُزْلِفَتْ﴾، وفي ذلك إفادة جديدة لم نحصل عليها من جملة: ﴿وَأُزْلِفَتْ﴾، فحملت على التأسيس.

والذي يراه الباحث أن حمل معنى الجملتين على أنهما بمعنى، أي: أن ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ هي بمعنى: ﴿وَأُزْلِفَتْ﴾ هو الصواب، وعليه فتكون جملة: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ تأكيد معنوي لجملة: ﴿وَأُزْلِفَتْ﴾، والمستند في ذلك أن الشيء يؤكد بنفي ضده كما أوضحنا ذلك سابقاً، كما أن سياق الآية الذي يذكّر مواقف القيامة قبل الآية دال صراحة على أن المقصود هو القرب المكاني، والله أعلم.

١ - فتح القدير ١١٠/٥.

٢ - التحرير والتنوير ٢٥٦/٢٦.

٣ - أضواء البيان ٤٣٠/٧.

٤ - التفسير الوسيط ٣٤٨/١٣.

المبحث الثاني

التوكيد بالتذييل، وورود الخاص بعد العام

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التوكيد بالتذييل.

المطلب الثاني : التوكيد بورود الخاص بعد العام.

المطلب الأول

التوكيد بالتذييل

التذييل: هو تعقيب جملة بجملة أخرى مستقلة، تشتمل على معناها تأكيداً لمنطوق الأولى، أو لمفهومها^(١)، والجملة التذييلية التوكيدية التي سنذكرها هنا محتملة للتأسيس والتوكيد؛ لأن البحث مقصوراً على ما اختلف فيه بين التأسيس والتوكيد فقط.

المثال الأول:

قَالَ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمُ الَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِّنْ أَصْدَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَذَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾^(٢).

المعنى العام للآية:

حرّم الله عليكم نكاح الأم، ويدخل فيها كل من لها عليك ولادة، وإن بعدت، ويدخل في البنت كل من لك عليها ولادة، والأخوات الشقيقات، أو لأب أو لأم، والعمّة: كل أخت لأبيك أو لجدك وإن علا، والخالة: كل أخت لأمك، أو جدتك وإن

١- ري الضمآن في بيان القرآن ص ٦٩، وخزانة الأدب وغاية الأرب، أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراي ٢٤٢/١، تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال- بيروت، ط/ الأولى ١٩٨٧م.

٢- النساء: ٢٣، ٢٤.

علت وارثة أم لا، وبنات الأخ وبنات الأخت أي: وإن نزلت، فهؤلاء هن المحرمات من النسب بإجماع العلماء كما هو نص الآية الكريمة، وما عداهن فيدخل في قوله: ﴿وَأَجَلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ وذلك كبنات العمه والعم وبنات الخال والخالة، وأما المحرمات بالرضاع فقد ذكر الله منهن الأم والأخت، وفي ذلك تحريم الأم مع أن اللبن ليس لها، إنما هو لصاحب اللبن، دل بتبنيه على أن صاحب اللبن يكون أبا للمرتضع فإذا ثبتت الأبوة والأمومة ثبت ما هو فرع عنهما كإخوتهما وأصولهما وفروعهما، وقد قال النبي ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»^(١)، فينتشر التحريم من جهة المرضعة، ومن له اللبن كما ينتشر في الأقارب، وفي الطفل المرتضع إلى ذريته فقط، لكن بشرط أن يكون الرضاع خمس رضعات في الحولين كما بينت السنة، وأما المحرمات بالصهر فهن أربع: حلائل الآباء وإن علوا، وحلائل الأبناء وإن نزلوا، وارثين أو محجوبين، وأمهات الزوجة وإن علون، فهؤلاء الثلاث يحرم بمجرد العقد، والرابعة: الربيبة وهي بنت زوجته وإن نزلت، فهذه لا تحرم حتى يدخل بزوجه كما قال هنا ﴿وَرَبِّبِكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾، وقوله: ﴿الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ قيد خرج مخرج الغالب لا مفهوم له، فإن الربيبة تحرم ولو لم تكن في حجره، وأما المحرمات بالجمع، فقد ذكر الله الجمع بين الأختين وحرمه، وحرم النبي ﷺ الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها^(٢)، فكل امرأتين بينهما رحم محرم لو قدر إحداهما ذكراً والأخرى أنثى حرمت عليه فإنه

^١ - رواه البخاري في صحيحه ٢٢٢/٣، باب: الشهادة على الأنساب والرضاع المستفيض برقم: (٢٦٤٥)، دار الشعب - القاهرة، ط/ الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

^٢ - متفق عليه، البخاري مع الفتح ١٥/٧، كتاب بدء الوحي، رقم: (٥١٠٩)، ومسلم، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح ١٣٥/٤، رقم: (٣٥٠٢).

يحرم الجمع بينهما، وذلك لما في ذلك من أسباب التقاطع بين الأرحام، إن الله كان غفوراً للذنبين إذا تابوا، رحيماً بهم، فلا يكلفهم ما لا يطيقون^(١).

«وقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ ذوات الأزواج ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ وهن محرمات على كل أحدٍ غير أزواجهن إلا ما ملكتموهن بالسبي من دار الحرب فإنها تحل لملكها بعد الاستبراء بحيضة، ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ كتب تحريم ما ذكر من النساء عليكم، ﴿وَأَحَلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ ما سوى ذلك من النساء»^(٢).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ هل هي جملة تأسيسية أم جملة توكيدية لجملة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾؟ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى جملة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: حرم عليكم نكاح أمهاتكم، ومعنى جملة: ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ فالكتاب: مصدرٌ نائب مناب فعله، أي: كتب الله ذلك كتاباً، و﴿عَلَيْكُمْ﴾ متعلقاً به، عطف على قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ ويكون المعنى: إلزموا كتاب الله الذي هو حجة عليكم، فيكون من باب التعاطف والمغايرة لا توكيد المعنى السابق، وممن قال بهذا القول: البغوي^(٣)، والسعدي^(٤)، وحكاه الثعلبي^(٥)، وابن الجوزي^(١)، وأبو حيان^(٢).

^١ - تيسير الكريم الرحمن في تيسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص ١٧٣، ١٧٤، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط/ الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، بتصرف.

^٢ - الوجيز للواحد ١/٢٥٩.

^٣ - معالم التنزيل ٢/١٩٣.

^٤ - تيسير الكريم الرحمن ص ١٧٤.

^٥ - الكشف والبيان ٣/٢٨٥.

ودليلهم في ذلك:

- ١- الأصل الحمل على التأسيس.
- ٢- اختلاف المباني تدل على اختلاف المعاني.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن معنى جملة: ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: هذا ما حرم عليكم في الكتاب، و(كَتَبَ) منصوب على التوكيد محمول على المعنى؛ لأن قوله ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ هو بمعنى: كَتَبَ اللهُ عَلَيْكُمْ هذا كتاباً، وممن قال بهذا القول: ابن جرير الطبري^(٣)، وأبو الليث السمرقندي^(٤)، وابن عطية^(٥)، وابن الجوزي^(٦)، والرازي^(٧)، والقرطبي^(٨)، والبيضاوي^(٩)، وأبو حيان^(١٠)، وابن جزي^(١١)، والسمين الحلبي^(١٢)، وابن عاشور^(١٣)، ومحمد أبو زهرة^(١) في تفسيره^(٢).

١ - زاد المسير ٥١/٢.

٢ - البحر المحيط ١٢٤/٣.

٣ - جامع البيان ٢٦١/٧.

٤ - بحر العلوم ٣١٩/١.

٥ - المحرر الوجيز ١٠٣/٢.

٦ - زاد المسير ٥١/٢.

٧ - مفاتيح الغيب ٣٧٩/٩.

٨ - الجامع لأحكام القرآن ١٢٣/٥.

٩ - أنوار التنزيل ١٧٠/٢.

١٠ - البحر المحيط ٣٦٦/٣.

١١ - التسهيل لعلوم التنزيل ٢٥٣/١.

١٢ - الدر المصون ٩٤٢/١.

١٣ - التحرير والتنوير ٨٥/٤.

-
- ١ - هو محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد أبو زهرة علامة، أصولي، فقيه، ولد سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف، وكتب أكثر من أربعين كتابا في أصول الفقه، و تاريخه ومقارنته، وتوفي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة وألف، انظر: المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبية العلم المعاصرين ١/٢١٠.
- ٢ - زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ١/١٦٣٨، دار الفكر العربي.

ودليلهم في ذلك:

- ١- دلالة السياق التشديد في نكاح المحرمات سواء من النسب أو الرضاع أو المصاهرة.
- ٢- عدو التعاطف بين الجملتين يدل على التوكيد.

المناقشة والترجيح:

من رأى أن جملة: ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ جملة تأسيسية، قال: ﴿كَتَبَ﴾ مصدرٌ نائبٌ منابٍ فعله، أي: كَتَبَ اللهُ ذلك كتاباً، و﴿عَلَيْكُمْ﴾ متعلقاً به، عُطِفَ على قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ وقد يكون المعنى: إلزموا كتاب الله الذي هو حجة عليكم، فيكون من باب التعاطف المقدر والتأسيس لا توكيد المعنى السابق.

وذهب جمهور المفسرين إلى أن جملة: ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ جملة توكيدية لجملة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾، وعللوا ذلك بأن: ﴿كَتَبَ﴾ هو مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة من قوله: ﴿حُرِّمَتْ﴾، فالعامل فيه وهو كَتَبَ، إنما هو توكيد لقوله: حرمت، فلم يؤت بهذه الجملة على سبيل التأسيس للحكم، إنما التأسيس حاصل بقوله: حرمت، وهذه جيء بها على سبيل التوكيد، وقد خرج هؤلاء عن الأصل وهو التأسيس لوجود قرينة قوية على إرادة التوكيد، وهي عدم التعاطف المفضي غالباً إلى التوكيد، والذي يبدوا للباحث أن الحمل على التأسيس فيه ثقل وخروج عن ظاهر النص، والمتبادر من السياق هو أن جملة: ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ تأكيد لجملة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾ أو تذييل كما قال ابن عاشور ولا يخفى أن التذييل نوع من التوكيد كما أن عدم التعاطف يقوي جانب التوكيد، والله أعلم.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْحَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾^(١).

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ﴾ الأشرطة التي تخمر حتى تشتد وتسكر ﴿والميسر﴾ القمار بجميع أنواعه، ﴿وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ الأوثان، ﴿وَالْأَزْلَمُ﴾ قدام الاستقسام التي ذكرت في أول السورة، ﴿رِجْسٌ﴾ قدر قبيح، ﴿مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ مما يسوله الشيطان لبني آدم، ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ كونوا جانباً منه، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْحَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ وذلك لما يحصل بين أهلها من العداوة والمقابح والإقدام على ما يمنع منه العقل، ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾؛ لأن من اشتغل بهما منعاه عن ذكر الله والصلاة، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ استفهام بمعنى الأمر، قالوا: انتهينا»^(٢).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ هل هي جملة تأسيسية أم توكيدية للنهي الوارد في جملة: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى جملة: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ كونوا جانباً منه، ومعنى

١ - المائدة: ٩٠، ٩١.

٢ - الوجيز للواحد ص ٣٣٤.

جملة: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ أي: فهل أنتم منتهون مع هذه الأمور أم أنتم على ما كنتم عليه كأنكم لم توعظوا ولم تنزجروا؟ فحملوا الجملة الثانية على الاستفهام المجرد، ممن حكا هذا القول: الخازن^(١)، وابن عاشور^(٢).

ودليلهم في ذلك:

- ١- الأصل الحمل على التأسيس.
- ٢- الجملة الاستفهامية اسمي المعنى فيها أقوى من الجملة الفعلية وهذا يؤدي إلى تغاير المعنى.
- ٣- أن الاستفهام فيه معنى التهديد مع النهي الوارد.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب أكثر المفسرين إلى أن جملة: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ توكيدية لجملة: ﴿فَأَجْتَبَوْهُ﴾؛ لأن معناهما واحد، وهو الأمر بالانتهاء عن الخمر سواء بالنهي الصريح في قوله: ﴿فَأَجْتَبَوْهُ﴾ أو بصيغة الاستفهام المفيدة للنهي بأبلغ ما ينهى عنه، كما أن غرض التوكيد هنا التهديد والترهيب، وممن قال بهذا القول: مقاتل^(٣)، وابن جرير الطبري^(٤)،

^١ - لباب التأويل ٧٦/٢.

^٢ - التحرير والتنوير ١٩٦/٥.

^٣ - تفسير مقاتل ٣٦٦/٢.

^٤ - جامع البيان ٢٨١/٦.

والبغوي^(١)، والزمخشري^(٢)، والقرطبي^(٣)، والخازن^(٤)، وابن كثير^(٥)، وأبو حيان^(٦)،
والبقاعي^(٧)، والشوكاني^(٨)، وابن عاشور^(٩)، والشنقيطي^(١٠).

ودليلهم في ذلك:

أن الاستفهام أبلغ في الزجر من صيغة الأمر التي هي: (انتهوا)، وقد تقرر في
فن المعاني: أن من معاني صيغة الاستفهام التي ترد لها: (الأمر)، فكان هذا تكراراً
للأمر الوارد في جملة: ﴿فَاجْتَبُوهُ﴾ بأبلغ ما ينهى به، «وصيغة: هل أنت فاعل كذا؟
تستعمل للحث على فعل في مقام الاستبطاء»^(١١).

المناقشة والترجيح:

ذهب بعض المفسرين إلى القول بأن جملة: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ جملة تأسيسية، فكان
عندهم التقدير: فهل أنتم منتهون مع هذه الأمور أم أنتم على ما كنتم عليه كأنكم لم
توعظوا ولم تنزجروا؟ وجعلوه استفهاماً مجرداً من صيغة الأمر، بينما ذهب أكثر
المفسرين إلى أن جملة: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ توكيدية لجملة: ﴿فَاجْتَبُوهُ﴾؛ لأن الاستفهام في
قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ أبلغ في الزجر من صيغة الأمر، فتكون الجمل الاستفهامية
توكيدية.

١ - معالم التنزيل ٢ / ٢٠.

٢ - الكشاف ١ / ٧٠٨.

٣ - الجامع لأحكام القرآن ٦ / ٢٩٢.

٤ - لباب التأويل ٢ / ٩٠.

٥ - تفسير ابن كثير ٣ / ١٧٩.

٦ - البحر المحيط ٤ / ١٨.

٧ - نظم الدرر ٢ / ٥٣٧.

٨ - فتح القدير ٢ / ٣٥٦.

٩ - التحرير والتنوير ٥ / ١٩٦.

١٠ - أضواء البيان ٢ / ٤٠٥.

١١ - التحرير والتنوير ٥ / ١٩٦.

والذي يراه الباحث أن جملة الاستفهام توكيدية، والمقصود منها الزجر وتأکید النهي بأقوى الصيغ التي لا تقل عن النهي المساوي للنهي السابق في قوله: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾، وأما التوكيد باختلاف الجمل بين الاسمية والفعلية فليس محل ترجيحنا في هذا البحث كما أوضحت سابقاً، وأما استدلالهم بأن الاستفهام فيه معنى التهديد فالنهي الشرعي بكل أشكاله يحمل منى التهديد لترتب العقوبة على فعله كما هو مقرر عند أهل الأصول، وعليه فصيغة الاستفهام قد دلت على ما دل عليه النهي، فأفاد التأكيد.

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١).

المعنى العام للآية:

« قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾: الإشارة إلى المريرين المذكورين ولا بد من تقييد هذا بأنهم لم يريدوا الآخرة بشيء من الأعمال المعتد بها الموجبة للجزاء الحسن في الدار الآخرة، أو تكون الآية خاصة بالكفار كما تقدم ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ أي ظهر في الدار الآخرة حبوط ما صنعوه من الأعمال التي كانت صورتها صورة الطاعات الموجبة للجزاء الأخروي لولا أنهم أفسدوها بفساد مقاصدهم وعدم الخلوص وإرادة ما عند الله في دار الجزاء بل قصرُوا ذلك على الدنيا وزينتها، ثم حكم سبحانه ببطلانه عملهم فقال: ﴿وَبِطُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي أنه كان عملهم في نفسه باطلاً غير معتد به؛ لأنه لم يعمل لوجه صحيح يوجب الجزاء ويترتب عليه ما يترتب على العمل الصحيح»^(٢).

أقوال المفسرين:

^١ - هود: ١٦.

^٢ - فتح القدير ٧٠٥/٢.

اختلف المفسرون في جملة: ﴿وَبَطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ هل هي جمل تأسيسية أم توكيدية لجملة: ﴿وَحِطُّ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾؟ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى جملة: ﴿وَحِطُّ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ أي: لم يترتب الثواب عليها، ومعنى جملة: ﴿وَبَطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: أن العمل فقد شروط الصحة فأصبح فاسداً لا نفع فيه، والظاهر أن الضمير في ﴿وَحِطُّ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ في الآخرة، وبطلان العمل كان في الدنيا، فاختلف المعنى بين الجملتين فأفاد التأسيس، وممن قال بهذا القول: ابن جرير الطبري^(١)، والزمخشري^(٢)، والقرطبي^(٣)، وابن عجيبة^(٤)، والشوكاني^(٥)، وسيد طنطاوي^(٦)، وحكاه الألويسي^(٧).

ودليلهم في ذلك:

- ١- الحمل على التأسيس واختلاف المعنى هو الأصل.
- ٢- اختلاف المباني يدل على اختلاف المعاني.
- ٣- أن حبط العمل وبطلانه كلاهما نتيجتان لعدم قصد وجه الله في العمل ولا يشترط تطابقهما في المعنى.
- ٤- العطف بين الجملتين مقتضى للتغاير.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

١- جامع البيان ١٥ / ٢٦٩

٢- الكشاف ٢ / ٣٦٤.

٣- الجامع لأحكام القرآن ٩ / ١٥.

٤- البحر المديد ٣ / ٢٧٨.

٥- فتح القدير ٣ / ٤٣٣.

٦- التفسير الوسيط ٧ / ١٧٧.

٧- روح المعاني ١٢ / ٢٤.

ذهب جمهور المفسرين إلى أن معنى جملة: ﴿وَحَاطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ بنفس معنى جملة: ﴿وَبَطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهو أن البطلان محمول على عدم النفع وهو راجع إلى معنى الحبوط، وكلا البطلان وحبوط العمل كان في الدنيا، فكان المعنى لكلا الجملتين واحد مع كونهما في الدنيا، وممن قال بهذا القول: الخازن^(١)، وأبو حيان^(٢)،

والشربيني^(٣)، والآلوسي^(٤)، والسعدي^(٥)، والصابوني^(٦).

ودليلهم في ذلك:

- ١- أن حبوط العمل بمعنى بطلانه؛ لأن النتيجة واحدة وهي عدم قبول العمل، وترتب العقاب عليهما يوم القيامة.
- ٢- أن جملة: ﴿وَبَطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ جملة تذييلية ختمت بها الآية فيكون حملها على التوكيد هو الصحيح.

المناقشة والترجيح:

من قال بالتأسيس فرق بين جملة: ﴿وَحَاطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ وجملة: ﴿وَبَطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في المعنى، فحمل حبط العمل على الرياء، والبطلان على فقده شروط الصحة.

ومن حمل حبط العمل، وبطلانه على معنى واحد وهو الرياء في العمل أو عدم قصد وجه الله قال جملة: ﴿وَبَطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ توكيدية لجملة: ﴿وَحَاطَ

١ - معالم التنزيل ٤٧٧/٢.

٢ - البحر المحيط ٢١٠/٥.

٣ - السراج المنير ٤١ / ٢.

٤ - روح المعاني ٢٤/١٢.

٥ - تيسير الكريم الرحمن ص ٣٧٨.

٦ - صفوة التفاسير ٢٦/٢.

مَا صَنَعُوا فِيهَا»، وأما استدلال من قال بهذا القول بأن الجملتين بمعنى الرياء فضعيف؛ لأنه يمكن أن يكون البطلان في الدنيا وحبوط العمل عند الحساب في الآخرة، ولكن الاستدلال بكون جملة: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ تذييلية يؤكد أنها توكيدية، وربما أن التعاطف، واختلاف المبنى يدل على اختلاف المعنى، والله الموفق.

المطلب الثاني

التوكيد بورود الخاص بعد العام

المثال الأول:

قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(١).

المعنى العام للآيات:

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الحمد: ثناء أتى به الله على نفسه، وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه، أي: قولوا الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. والألف واللام في ﴿الْحَمْدُ﴾، لاستغراق الجنس من المحامد، ولفظ الجلالة: ﴿لِلَّهِ﴾ هو الذي يَأَلِّهه كل شيء، ويعبده كل خلق، الرب: السيد الذي لا شبيه له، ولا مثل في سُودده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر. والعالمين: اسم لأصناف الأمم، وكل صنف منها عالمٌ، وأهل كل قرن من كل صنف منها عالم، فالإنس عالم، وكل أهل زمان منهم عالمٌ، والجنُّ عالم، وكذلك سائر أجناس الخلق، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ رحمن بجميع خلقه في الدنيا بما يَمُنُّ عليهم من النعم، والرحيم في الآخرة بالمؤمنين الذين اتبعوا دينه، ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي: أن الله المُلْكُ يوم الدين خالصاً دون جميع خلقه، والدين في هذا الموضع الحساب والمجازاة بالأعمال^(٢).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ هل هي جملة تأسيسية أم توكيدية

لجملة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؟ إلى قولين:

^١ - الفاتحة: ٢-٤.

^٢ - جامع البيان ١/١٢٢-١٢٩، بتصرف.

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن جملة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثناء من الله على نفسه وأنه رب جميع العوالم في الدنيا، أي: مالكها، وجملة: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي: أن الله المَلِكُ يوم الدين أي: يوم القيامة، فتكون هذه الجملة أفادت معنًا غير الأول، فتكون جملة تأسيسية، وممن قال بهذا القول: ابن عاشور^(١)، وحكاه الألويسي^(٢).

قال ابن عاشور: «قوله تعالى ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ كالتأكيد والتأكيد خلاف الأصل ولا داعي إليه هنا، إلا أن يجاب بأن العالمين لا يشمل إلا عوالم الدنيا، فيحتاج إلى بيان أنه ملك الآخرة كما أنه ملك الدنيا، وإن كان الأكثر في كلام العرب ورود الرب بمعنى الملك والسيد وذلك الذي دعا صاحب الكشاف إلى الاختصار على معنى السيد والملك وجوز فيه وجهي المصدرية والصفة، إلا أن قرينة المقام قد تصرف عن حمل اللفظ على أكثر موارد إلى حمله على ما دونه»^(٣).

ودليلهم في ذلك:

١- الأصل التأسيس، والحمل عليه هو الأولى.

٢- أن قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا يشمل إلا عوالم الدنيا، و ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ مستأنفة لتبين أنه ملك الآخرة أيضاً.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب كثير من المفسرين إلى أن جملة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثناء من الله على نفسه وأنه رب جميع العوالم في الدنيا أي مالكها، وجملة: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي: أن الله المَلِكُ يوم الدين وهو يوم القيامة، فتكون هذه الجملة خاصة، والأولى عامة

١ - التحرير والتنوير ١/١٦٤.

٢ - روح المعاني ١/٧٧.

٣ - التحرير والتنوير ١/١٦٤.

فتحمل جملة: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ على التوكيد للجملة السابقة، وممن قال بهذا القول: ابن جرير الطبري^(١)، والقرطبي^(٢)، والبغوي^(٣)، وابن عطية^(٤)، والسمين الحلبي^(٥)، وابن كثير^(٦)، وابن عادل^(٧)، والآلوسي^(٨).

ودليلهم على ذلك:

أن التخصيص بعد التعميم هو تكرار مفيد للتوكيد^(٩).

المناقشة والترجيح:

قال ابن جرير الطبري مؤكداً أن جملة: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ جملة توكيدية لجملة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: «فإن ظنَّ ظانٌّ أن قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نبأ عن ملكه إياهم في الدنيا دون الآخرة، يوجبُ وصلَ ذلك بالنبأ عن نفسه أنه: مَنْ مَلَكُهُمْ فِي الآخرة على نحو ملكه إياهم في الدنيا بقوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ - فقد أغفلَ وظنَّ خطأ، وذلك أنه لو جاز لِظانٍّ أَنْ يظنَّ أن قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ محصورٌ معناه على الخبر عن ربوبية عالم الدنيا دونَ عالم الآخرة، مع عدم الدلالة على أن معنى

١ - جامع البيان ١/١٥١، ١٥٢.

٢ - الجامع لأحكام القرآن ١/١٤٠.

٣ - معالم التنزيل ١/٥٣.

٤ - المحرر الوجيز ١/٥.

٥ - الدر المصون ١/١٨.

٦ - تفسير ابن كثير ١/١٣٤.

٧ - اللباب في علوم الكتاب ١/١٠.

٨ - روح المعاني ١/٧٧.

٩ - حكا الفارسي عن ابن السراج عن بعضهم أنه وصفَ نفسه بأنه مالكُ كلِّ شيءٍ بقوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فلا فائدة في قراءة مَنْ قرأ: «مالك» لأنها تكرارٌ، قال أبو علي: «ولا حجة فيه لأنَّ في التنزيل مثله كثيراً، يُذكرُ العامُّ ثم الخاصُّ نحو: ﴿هو الله الخالق البارئ المصور﴾ انظر: الدر المصون في علم الكتاب المكنون ١/١٨، وروح المعاني ١/٧٧.

ذلك كذلك في ظاهر التنزيل، أو في خبرٍ عن الرسول ﷺ به منقول، أو بحجة موجودة في المعقول، كان واضحاً فساد قول من زعم أن تأويله: ربُّ عالم الدنيا دون عالم الآخرة، وأنَّ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ استحقَّ الوصلَ به ليعلم أنه في الآخرة من ملئهم وربوبيتهم بمثل الذي كان عليه في الدنيا»^(١).

وعليه: فالرب بمعنى الملك، والعالمين تشمل عوالم الدنيا والآخرة؛ ولأنَّ ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ جزء من العالمين، فيكون قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ تكرر للمعنى السابق مفيداً لتوكيد الجملة السابقة.

ورجح بعضهم أن كلمة الرب تحمل معناً زائداً على الملك أو المالك وليس من باب التكرار، كما قصرُوا كونه ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أنه ملك عوالم الدنيا فقط، وجملة ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أنه ملك عالم الآخرة وهؤلاء هم القائلون بالتأسيس.

والجواب هو أنه لا إشكال في أن تحمِلَ الجملة الأولى المعنى الزائد ما دام معنى الثانية كله داخلاً في الأولى، وعليه فلا تخرج جملة: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ من كونها توكيدية لجملة: ﴿أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وأما كلام ابن عاشور فقد بين طريقة من حمل جملة: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ على التوكيد، ومن حملها على التأسيس فقال: «لو حمل - كلمة الرب - على معنى المالك لكان قوله تعالى بعد ذلك ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ تأكيد لقوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، والتأكيد خلاف الأصل ولا داعي إليه هنا إلا أن يجاب بأن العالمين لا يشمل إلا عوالم الدنيا فيحتاج إلى بيان أنه ملك الآخرة كما أنه ملك الدنيا فتكون جملة: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ جملة تأسيسية»^(٢).

^١ - جامع البيان ١/١٥١، ١٥٢.

^٢ - التحرير والتنوير ١/٩٥.

والذي يراه الباحث أن حمل جملة: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ على التأكيد لجملة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أولى لاشتمال ﴿الْعَالَمِينَ﴾ على جميع العوالم الدنيوية والأخروية، وذكر الخاص بعد العام يدل على التوكيد لمعنى الخاص وأهميته، وغرض التوكيد هنا تقرير الكلام وتثبيته في نفس السامع، كما أن الباحث يرى أن غرض التوكيد هنا الحث على العمل، والاستعداد لذلك اليوم، والله أعلم.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿١﴾.

المعنى العام للآية:

قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ أي: يصدقون تصديقا جازماً بكل ما هو غيب، لا يدرك بالحواس كالرب تبارك وتعالى ذاتاً، وصفاتاً، والملائكة، والبعث، والجنة ونعيمها، والنار وعذابها، ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أي: وبالحياتة في الدار الآخرة وما فيها من حساب وثواب وعقاب هم عالمون متيقنون لا يشكون في شيء من ذلك ولا يرتابون لكامل إيمانهم وعظم اتقائهم^(٢).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ هل هي جملة تأسيسية، أم جملة

توكيدية لجملة: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ إلى قولين:

١- البقرة: ٣ ، ٤ .

٢- التسهيل لابن جزي ٩٦/١، الدر المنثور ٦٤/١، وأيسر التفاسير للجزائري ص ٢٠، بتصرف.

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى جملة: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ الإيمان بالغيب عام يشمل كل مغيب من الإيمان بالله والملائكة وغيرها ما عدا الإيمان بالآخرة فهو مذكور بعد في جملة: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾، وقيل: أن الآية السابقة، وهي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُمِيتُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُوقِنُونَ﴾ في حق المؤمنين من هذه الأمة، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ جملة مستأنفة في حق أهل الكتاب، والخبر قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ فتكون جملة تأسيسية في حق غير الموصوفين في الآية الأولى فتم التغاير على هذا الأساس، وممن قال بهذا القول: ابن جرير الطبري^(١)، وحكاه القرطبي^(٢)، والشوكاني^(٣).

ودليلهم في ذلك:

أن الحمل على الإفادة أولى من الحمل على الإعادة.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

وذهب هذا الفريق من المفسرين إلى أن جملة: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ داخل معناها في جملة: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ فقالوا هذا تكرار فائدته التوكيد؛ لأن الإيمان بالآخرة جزء من الإيمان بالغيب، وفائدة هذا التوكيد التنبيه على وجوب اعتقادها لعظمتها، وممن قال بهذا القول: ابن عطية الأندلسي^(٤)، والقرطبي^(٥)، وأبو حيان^(٦)، والسيوطي^(٧)،

١- جامع البيان ٢٣٦/١.

٢- جامع أحكام القرآن ١٨٠/١.

٣- فتح القدير ٢٧/١.

٤- المحرر الوجيز ٦٢/١.

٥- الجامع لأحكام القرآن ١/١٤٠.

٦- البحر المحيط ٢٧٣/٢.

٧- الدر المنثور ٦٤/١.

والشوكاني^(١)، وابن عاشور^(٢)، وسيد طنطاوي^(٣).

ودليلهم في ذلك:

أن الخصوص بعد العموم يقتضي التوكيد.

المناقشة والترجيح:

من ذهب إلى أن جملة: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ داخل معناها في جملة: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ قال: هذا تكرار فائدته التوكيد، وهو من باب الخاص بعد العام فالإيمان بالغيب عام، والإيمان بالآخرة خاص، وإنما كرر تعظيماً لها، وتنبهها على وجوب اعتقادها^(٤) وهذا من أغراض التوكيد.

ومن قال أن المقصود بالإيمان بالغيب عام يشمل كل مغيب من الإيمان بالله والملائكة وغيرها ما عدا الإيمان بالآخرة فهو مذكور في الآية التالية، قال إن جملة: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ جملة تأسيسية أفادت حكماً جديداً، وهو الإيمان باليوم الآخر أو أن الآية السابقة، وهي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُعِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ في حق المؤمنين من هذه الأمة، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ جملة مستأنفة في حق أهل الكتاب، والخبر قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ فتكون جملة تأسيسية في حق غير الموصوفين في الآية الأولى فتم التغاير على هذا الأساس، لكن موضوع بحثنا في المعاني، فجملة: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أكدت الإيمان بالغيب المتعلق بالآخرة، وهو الإيمان باليوم الآخر.

١- فتح القدير ٢٧/١.

٢- التحرير والتنوير ١٥٧/١.

٣- التفسير الوسيط ١ / ٤٦.

٤- وممن قال بذلك الزمخشري في الكشاف ٨/١، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١/ ١٤٠، وأبو بكر الجزائري في أيسر التفاسير ٢٠/١.

والذي يراه الباحث أن جملة: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ عامة تشمل الإيمان بالله وملائكته واليوم الآخر وغيره فتكون جملة: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ تأكيد للغيب المتعلق بالآخرة وخص بذلك للأهمية، والتعظيم، والله الموفق.

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ وَاللَّوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَيْتُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ (١) مَا ظَهَرَ وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢)﴾.

المعنى العام للآية:

«قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ﴾ اقرأ عليكم الذي حرمه الله ثم ذكر فقال: ﴿أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاللَّوَالِدِينَ إِحْسَانًا﴾ وأوصيكم بالوالدين إحساناً، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ أي: من مخافة الفقر، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ يعني: سر الزنا وعلانيته ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ يريد القصاص» (٣).

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في جملة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ هل هي جملة تأسيسية، أم توكيدية لجملة: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ إلى قولين:

القول الأول: القائلون بالتأسيس، وأدلتهم:

١ - الفواحش: هي قبائح الأعمال، وقيل المحرمات، انظر: تفسير ابن كثير ٤/٥٩٥.

٢ - الأنعام: ١٥١.

٣ - الوجيز للواحدى ١/٣٨١.

ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى جملة: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ هو الزنا، ومعنى جملة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ أي: لا تقتلوا إلا من حكمه القتل في الإسلام، كالمرتد، والزاني المحصن، وغيرهما، فتغاير المعنى فأصبحت جملة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ جملة تأسيسية، وممن قال بهذا القول: ابن جرير الطبري^(١)، والواحدي^(٢)، والبيضاوي^(٣)، والألوسي^(٤).

ودليلهم في ذلك:

١- الأصل التأسيس والتوكيد فرع، فيحمل على الفائدة الأصلية.

٢- تباين المبني يدل على اختلاف المعنى.

القول الثاني: القائلون بالتوكيد، وأدلتهم:

ذهب أكثر المفسرين إلى أن قتل النفس داخل في معنى الفواحش، فيكون من باب ذكر الخاص بعد العام، فتكون جملة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ جملة توكيدية، وممن قال بهذا القول: أبو حيان^(٥)، وابن كثير^(٦)، والنيسابوري^(٧)، وابن عادل^(٨)، والبقاعي^(٩)، وابن عاشور^(١٠)، وسيد طنطاوي^(١١).

ودليلهم في ذلك:

١ - جامع البيان ٢١٩/١٢.

٢ - الوجيز للواحدى ٣٨١/١.

٣ - أنوار التنزيل ٤٦٥/٢.

٤ - روح المعاني ٥٤/٨.

٥ - البحر المحيط ٢٥٢/٤.

٦ - تفسير ابن كثير ٣٦٢/٣.

٧ - غرائب القرآن ١٠٢/٥.

٨ - اللباب في علوم الكتاب ٥١١/٨.

٩ - نظم الدرر ٧٤١/٢.

١٠ - التحرير والتنوير ١٢٠/٧.

١١ - التفسير الوسيط ٣٤٣ / ٨.

أن قتل النفس داخل في عموم الفواحش، فأصبحت جملة قتل النفس من باب الخاص بعد العام وهو يفيد التوكيد عند عامة العلماء منهم: ابن عادل^(١).

المناقشة والترجيح:

أساس الخلاف في هذه المسألة هو معنى الفواحش، فإما أن تكون بمعنى كل ما حرمه الله، وإما أن تكون بمعنى الزنا، فمن قال أنها تشمل كل المحرمات قال: قتل النفس داخل فيه فيكون من باب ذكر الخاص بعد العام، وعليه فتكون جملة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ توكيدية لجملة: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾، وفائدة التوكيد تعظيماً لهذه الفاحشة واستهواً لوقوعها.

ومن حمل جملة: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ على أن معناها عدم الاقتراب من الزنا، قال جملة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ محمولة على التأسيس، أي: خصص معنى الفواحش بالزنا فأنت جملة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا﴾ بمعنى جديد لم يأت في الجملة الأولى.

والذي يراه الباحث أن معنى الفواحش هو ما تفاحش قبحه أي تزايد، وهو عموم يدخل تحته قتل النفس، وعليه فتكون جملة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ توكيدية لجملة: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾؛ لأن الخاص بعد العام يفيد التوكيد، وغرض التوكيد زيادة الاهتمام، والتحذير الشديد، والتهويل من وقوعها، وهو الذي نص عليه المفسرون، قال أبو حيان: «قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ هذا مندرج تحت عموم الفواحش إذ الأجود أن لا يخص الفواحش بنوع ما، وإنما جرد منها قتل النفس تعظيماً لهذه الفاحشة واستهواً لوقوعها»^(٢).

^١ - اللباب في علوم الكتاب ٥١١/٨.

^٢ - البحر المحيط ٢٥٢/٤.

وقال ابن كثير: «قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ وهذا مما نص تبارك وتعالى على النهي عنه تأكيداً وإلا فهو داخل في النهي عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن»^(١).

وقال ابن عادل: «قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا﴾ هذه شبيهه بذكر الخاص بعد العام اعتناء بشأنه؛ لأن الفواحش يندرج فيها قتل النفس، فجرد منها هذا استقظاعاً له وتهويلاً؛ ولأنه قد استثنى منه في قوله: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ ولو لم يذكر هذا الخاص، لم يصح الاستثناء من عموم الفواحش»^(٢)، والله أعلم.

^١ - تفسير ابن كثير ٣/٣٦٢.

^٢ - تفسير اللباب ٨/٥١١.

الخاتمة

وتحتوي على:
أولاً: أهم النتائج.
ثانياً: التوصيات.

خاتمة

وفي ختام هذه الدراسة فإنني أحمد الله عزوجل على ما أعان من إكمال هذا البحث ويسر، ثم أصلي وأسلم على عبده ورسوله محمد بن عبد الله ﷺ.
أما بعد:

فهذه رسالة تناولتُ فيها تفسير الجملة القرآنية في ضوء التأسيس والتأكيد، ويطيب لي أن أختتمها بأهم النتائج والتوصيات التي تمخضت عن هذه الدراسة، وهي كالآتي:

أولاً: أهم نتائج البحث:

- ١- إن هذه الدراسة داخلية في التفسير بالدراية في الاتجاه البلاغي الذي كان له الدور الرائد في إثبات صدق النبي محمد ﷺ بإفحامه لجميع العرب أهل البلاغة والفصاحة أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو عشر سور أو سورة، وعجز غيرهم من باب الأولى.
- ٢- إن إعجاز القرآن البلاغي لا يُقتصر عليه كوحدة مترابطة من النظم كله فحسب بل معجز على مستوى السورة الواحدة، وعلى مستوى الجملة القرآنية في السورة، وعلى مستوى اللفظ الواحد في الجملة.
- ٣- اختلفت اتجاهات التفسير وتنوعت لتعبر عن شمول القرآن لجميع جوانب الحياة وعلومها مما يشهد بإعجاز القرآن.
- ٤- التأسيس: هو أن يكون اللفظ المكرراً لإفادة معنى آخر لم يكن حاصلًا قبله.
- ٥- تنص قاعدة التأسيس والتوكيد على أن الكلام إذا دار بين التأسيس والتوكيد فحمله على التأسيس أولى.
- ٦- أهم فوائد قاعدة التأسيس:
 - أ- التأسيس إفادة والتوكيد إعادة، والإفادة أولى.
 - ب- دفع إيهام التكرار المقتضي للتوكيد.
 - ج- إعمال اللفظين أو الجملتين في معنيين أولى من إهمال معنى أحدهما.

د- الحمل على التأسيس يكسب السياق تنوعاً دلائلياً لم يكن حاصلًا من قبل.
هـ- حسم مادة الخلاف؛ لأن التأسيس أصل والتوكيد فرع، والحمل على الأصل هو الأولى، وبه يترجح حمل الآية، أو اللفظ على معنى معين يندفع به الخلاف المحكي في معنى الآية.

و- التأسيس طريق لفهم وإثراء المعاني في تفسير كتاب الله تعالى.

٧- التوكيد: هو تمكين الشيء في النفس وتقويته، وإمالة الشبهات عما أنت بصدد الإخبار عنه، والمراد في هذا الباب تأكيد الحكم لا توكيد المسند إليه، ولا توكيد المسند.

٨- الغرض من التوكيد: إعلام المتكلم للمخاطب بأنه يقول كلامه جازماً، قاصداً لما يدل عليه، مثبتاً منه.

٩- من دواعي التوكيد:

أ- أن يكون المخاطب شاكاً متردداً عند ما يوجه له الكلام، وفي هذه الحالة يحسن تقوية الخبر بمؤكد وتزداد المؤكدات بحسب قوة الشك والتردد.

ب- أن يُنزَل خالي الذهن منزلة المتردد السائل الذي يَطْلُبُ توكيد الخبر له.

ج- تقرير المؤكد لدى من يُوجِّه له الكلام، وتمكينه في نفسه، وإزالة ما لديه من شبهة حوله.

د- حالة الإنكار لدى من يُوجه له الكلام.

هـ- دفع توهم المجاز في الجمل.

و- التخليط في التخويف والتهديد، وغيرها من الدواعي.

١٠- الوصل والفصل بين الجمل يوضح علاقة بعضها ببعض مما يبين كون معنى الجملة المتأخرة جديداً يفيد التأسيس أم يعيد المعنى السابق فيفيد التوكيد للأولى.

١١- الاتصال بين الجمل في هذه الدراسة هو تتابع الجمل من غير فاصل بينها.

١٢- قاعدة التأسيس استخدمها المفسرون في التفسير، والترجيح بين الأقوال.

- ١٣- هذه الدراسة تناولت ظاهرة التكرار في القرآن وهي أسلوب عربي فيه إيجاز واختصار وإثراء للمعاني سواء كان هذا التكرار في اللفظ والمعنى أم في اللفظ دون المعنى أم في المعنى فقط، وقد بين الباحث بعض هذه المواطن في القرآن الكريم.
- ١٤- قاعدة التأسيس والتوكيد في القرآن يبني عليها فهم معاني القرآن وترجيح بعض الأحكام الشرعية، أو المسائل الأصولية، أو التاريخية.
- ١٥- الأصل في عود الضمير أن يكون إلى أقرب مذکور، ولكن هذه القاعدة ليست على إطلاقها، فإذا نازعتها قواعد أخرى كقاعدة: «إعادة الضمير إلى المُحدَّث عنه»، أو قاعدة: «توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد» فإن هذه القواعد تقدم عليها كما قرره العلماء، ولا شك أن رجوع الضمير إلى ما يفيد التأسيس أولى من رجوعه إلى ما يفيد التوكيد، وإن كان مخالفاً لقاعدة عود الضمير إلى أقرب مذکور.
- ١٦- ظهر من خلال هذه الدراسة أن الجملة تُوكَّدُ بنفي ضدها إلا إذا أمكن الحمل على التأسيس بدون تكلف.
- ١٧- ثبت للباحث من خلال هذه الدراسة أن الأصل في الدلالات اللفظية هو التأسيس.
- ١٨- ورود الجملة التي تفيد العموم بعد جملة أفادت الخصوص لا ريب أن فيها تأكيد للجملة الخاصة، وزيادة في المعنى لم تكن حاصلة من الجملة الأولى المفيدة للخصوص، فتكون الجملة المفيدة للعموم بعد المفيدة للخصوص جملة تأسيسية، والعكس يدل على التأكيد.
- ١٩- إعادة الضمير إلى ما يجعل الجملة المتأخرة تفيد التأسيس، أولى من إعادته إلى ما يجعلها تفيد التوكيد.
- ٢٠- الأصل الأخذ بالحقيقة، ويؤخذ بالمجاز إن دلت النصوص أو القرائن عليه ومن ضمنها إفادة التأسيس، لكونه سيفيد معنى جديداً.

٢١- التذييل: تعقيب جملة بجملة أخرى مستقلة، تشتمل على معناها توكيداً لمنطوق الأولى، أو لمفهومها، وقد يخرج عن التوكيد إلى ما يفيد التأسيس.

ثانياً: التوصيات:

١- الدراسات المتخصصة في النواحي البلاغية للقرآن الكريم ليست كافية مما يتطلب من الباحثين التوجه نحو هذا الفن بغية استخراج الدرر البلاغية من هذا الكتاب الذي تحدى الله تعالى أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء أن يأتوا ولو بسورة من مثله.

٢- قاعدة التأسيس تكسب السياق تنوعاً دلالياً، كما أن في إعمالها إثراء لمعاني مادة اللفظ الواحد مما يستدعي جعل هذا الموضوع مشروعاً لمجموعة من الباحثين.

٣- في ضوء قاعدة التأسيس والتوكيد يتم دراسة قضايا كثيرة في جانب الأحكام الفقهية، والأصولية مما يجعل ذلك محلاً للبحث والدراسة للأحكام الواردة في القرآن الكريم والترجيح وفقاً لهذه القاعدة عند عدم النص المرجح.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فقد بذلت ما في وسعي لإخراج هذا البحث بهذه الصورة، ولا أدعي أنني قد استكملت جميع جوانبه، ولكن حسبي أنني بذلت طاقتي، واستقرغتُ جهدي، فإن كنت قد أحسنت فذلك من منن الله تعالى وجزيل فضله عليّ، وإن كنت قد أخطأت فما أجدر الإنسان بالخطأ والزلات، وهذا جهد المقل، الذي لا شك أن فيه ما يترك المجال أمام الناظر فيه للتصويب، والتعديل والتغيير، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهارس

وتحتوي على:

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المصاحف والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات

م	السورة	رقم الآية	الصفحة
	سورة الفاتحة		
١	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾	٤-٢	٢٩٧
٢	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	٢٣٨
	سورة البقرة		
٣	﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾	٢	٥٢
٤	﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾	٤-٣	٣٠١
٥	﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	٦	٢٤٠ ، ٤٧
٦	﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾	٧	٤٧
٧	﴿وَإِذَا لَفُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾	١٤	٩٢
٨	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ﴾	١٢-١١	٥٠
٩	﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾	١٥-١٤	٥١ ، ٤٦
١٠	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾	٢٣	٣٨ ، ٣١
١١	﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾	٣٦-٣٥	٢٠٨ ،
			٢٦٣ ، ٢٠٩
١٢	﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾	٣٨-٣٦	٢٥٩
١٣	﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾	٤٣	٢٤٣ ، ٥٣
			٢٤٦
١٤	﴿وَوَهَبْنَا لِمَن يَشَاءُ مِنْكُمْ أَلْمَامًا أَن يُنَادِيَ بِكَلِمَاتٍ إِلَىٰ سَمْعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾	٥٧	٤٩
١٥	﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾	٦١	١٨٣ ، ٦٧
١٦	﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا﴾	٦٩ - ٧١	١٨٦
١٧	﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾	١٥٦	٩٤

٢٣٧	١٩٠	﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ ﴾	١٨
٢٣٧	١٩١	﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَفَفْنَاهُمْ ﴾	١٩
١٦	١٩٥	﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾	٢٠
٢٥٣	١٩٧	﴿ وَتَكَرَّزُوا فَاِنَّ خَيْرَ لِّرَازِدِ النَّفْقَى ﴾	٢١
٢٥٦ ، ٢٥٤			
٩٦ ، ٩٦	٢٢٢	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدَى ﴾	٢٢
١٠٤ ، ١٠٣			
٢٧٤ ، ٦٣	٢٢٢	﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾	٢٣
٣٧	٢٥٣	﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْ كَلِمَ اللَّهِ ﴾	٢٤
١٢٤	٢٧٢	﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَا كُنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾	٢٥
٢٤٨ ، ١٥٣	٢٨٦	﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا ﴾	٢٦
		سورة آل عمران	
٩٢	٩	﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾	٢٧
٢٣٧	٢٩	﴿ قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تَبَدُّوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ﴾	٢٨
٩٣	٣٦	﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ﴾	٢٩
٧١ ، ٥٤	٤٢	﴿ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾	٣٠
٥٧	٥١ - ٤٩	﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾	٣١
٢٧٧	٦٤	﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾	٣٢
٢٢٥ ، ٧٣	١٠٣	﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾	٣٣
١٢٩	-١٥٢	﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾	٣٤
	١٥٥		
٢٤٨	١٩٥	﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ ﴾	٣٥

سورة النساء

١٣٢	١	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾	٣٦
٧٦	٢	﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾	٣٧
٧٨ ، ٧٧	٦	﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾	٣٨
٢٨٦	٢٤ ، ٢٣	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ﴾	٣٩
٧٠	٢٧ ، ٢٦	﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ﴾	٤٠
٢٦٣ ، ٥٦	٩٤	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَسَّرُوا﴾	٤١
٩١ ، ٣٧	١٦٤	﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾	٤٢
سورة المائدة			
١٢	١	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾	٤٣
٣٠	٢	﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾	٤٤
١٢	٣	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ﴾	٤٥
١١٣ ، ٦٥	٤٦	﴿وَقَفِينَا عَلَىٰ ءَأَنفُسِهِمْ بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ﴾	٤٦
٥٢	٨٤	﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾	٤٧
١٦١	٨٧	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾	٤٨
٢٩١	٩٠-٩١	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحُمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ﴾	٤٩
١٠٨	٩٣	﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا﴾	٥٠
٣٠	٩٥	﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾	٥١
سورة الأنعام			
٢٨٠	٥٦	﴿قُلْ إِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾	٥٢
٢٦	٦٧	﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾	٥٣
١٢	٨٢	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ﴾	٥٤
٢٢٤ ، ٧٤	١٤٠	﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾	٥٥
٣٠٤	١٥١	﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَبِّنَا فَاعْبُدُوا اللَّهَ حَتَّىٰ تَنسُوا﴾	٥٦

١٦٥	١٦٤	﴿ قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أُنْبَغَىٰ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ ﴾	٥٧
		سورة الأعراف	
٥٢	٤	﴿ فَجَاءَهَا بِأَسْنَانَيْنَتَا أَوْ هُمَ قَائِلُونَ ﴾	٥٧
٢٥٢	٣٦	﴿ يٰبَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ بَعْضِكُمْ وَرِدْشًا ﴾	٥٨
٤٣	٥٤	﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾	٥٩
٧٥	١٤٢	﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ ﴾	٦٠
٤٣	١٩٩	﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾	٦١
		سورة الأنفال	
٢٦٧	٥٤-٥٢	﴿ كَذَّابِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۖ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾	٦٢
٢٦٨	٥٣	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ ﴾	٦٣
		سورة التوبة	
١٦٨	١٥ ، ١٤	﴿ قَتَلُوهُمْ يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ ﴾	٦٤
١٩٣ ، ١٩٠	٥٢ ، ٥١	﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾	٦٥
٤٩	١٠٠	﴿ وَالسَّيْفُوتِ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ ﴾	٦٦
٨٨	١٠٣	﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾	٦٧
١٠٩	١٠٨	﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا ﴾	٦٨
٢١٥	١١٧	﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾	٦٩
		سورة يونس	
١٥٨	٢٤	﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾	٧٠
٢٧١	٥٨	﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾	٧١
٢٢٩	٧٢	﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۗ ﴾	٧٢
٢٠٦	٨٣	﴿ فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ ﴾	٧٣
		سورة هود	
٢٣٢	١٥	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا ﴾	٧٤

٢٩٤، ٥٧	١٦	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ﴾	٧٥
٣١	٥٥	﴿ فَكِيدُوا فِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴾	
٢٠٠	٧١	﴿ فَبَشِّرْ نَهَايَا سِحْقٍ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾	٧٦
		سورة يوسف	
١١٦، ٦٤	٤	﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾	٧٧
٥٢	١٦	﴿ وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾	٧٨
٨٨	٣١	﴿ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾	٧٩
٥٠	٥٣	﴿ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنْ أَلْفَسَ لِأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾	٨٠
٣١	٨٧	﴿ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴾	٨١
		سورة الرعد	
٣١	٣١	﴿ أَفَلَمْ يَأْتِسَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾	٨٢
		سورة الحجر	
٣٩	٩	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾	٨٣
٥٢	١١	﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾	٨٤
		سورة النحل	
٤٩	٣	﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾	٨٥
٣٨	٤٤	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾	٨٦
٤٤	٩٠	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾	٨٧
١٧٢	٩٧	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾	٨٨
		سورة الإسراء	
و	٩	﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾	٨٩
٣٤، ٣٠	٧٨	﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ﴾	٩٠
٣٨، ب	٨٨	﴿ قُلْ لَيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ﴾	٩١

		سورة الكهف	
٣٧	١٠٩	﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي ﴾	٩٢
		سورة مريم	
٢٠٠ ، ٢٩٧	٥٤	﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾	٩٣
		سورة طه	
٩٩ ، ٦٦ ، ٢٢٥	٧٩	﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴾	٩٤
٤٨	١٢٠	﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ﴾	٩٥
٩٧	١٣٠	﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ﴾	٩٦
		سورة الأنبياء	
٥٢	١	﴿ أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾	٩٧
٢٤٦ ، ٢٤٥	٧٣	﴿ وَإِيَّاءَ الزَّكَاةِ ﴾	٩٨
٢٠٠ ، ١٩٦	٨٥	﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾	٩٩
٩١	٩٨	﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾	١٠٠
٩١	١٠١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ ﴾	١٠١
		سورة الحج	
٩١	٣٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَذْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾	١٠٢
٩١	٣٩	﴿ أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ﴾	١٠٣
١٧٥ ، ٦٦	٥٥	﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَةٍ مِّنْهُ ﴾	١٠٤
١٧٨ ، ١٧٧	٥٦	﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾	١٠٥
		سورة المؤمنون	
٢٤٣	٤-١	﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾	١٠٦
٩٠	١٥	﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾	١٠٧
٨٨	٢٣	﴿ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴾	١٠٨

٨٧	٢٧	﴿ وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾	١٠٩
٦٤	٣٥	﴿ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَغْنَوْا إِذْ يُصْرَفُونَ ﴾	١١٠
		سورة النور	
١٢٩	٢٥	﴿ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ﴾	١١١
٢١٢ ، ٦٧	٤١	﴿ التَّوْرَانَ اللَّهُ يُسَيِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	١١٢
		سورة الفرقان	
١٢٢ ، ١٢١	٢	﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا ﴾	١١٣
٤٠	32	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾	١١٤
٤	٣٢	﴿ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾	١١٥
		سورة الشعراء	
١٧٩	٢١	﴿ فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفَفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي ﴾	١١٦
٩٣	١١٧	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذِبُونَ ﴾	١١٧
٤٧	-١٣٢	﴿ أَمَدُّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدُّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾	١١٨
	١٣٤		
٣٧	، ١٩٣	﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾	١١٩
	١٩٤		
		سورة النمل	
٢١٩	٣٤	﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَاجَ أَهْلِهَا آذِلَّةً ﴾	١٢٠
٢٢٢	٣٥	﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ ﴾	١٢١
		سورة القصص	
٩٣	٣٠	﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ ﴾	١٢٢
		سورة العنكبوت	
٣١	٢٣	﴿ أُولَئِكَ يَسُؤُونَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	١٢٣
		سورة الروم	
٥٣	١٨ ، ١٧	﴿ فَسَبَّحَنَّا اللَّهَ حِينَ نَسُوتُ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾	١٢٤

سورة لقمان

٤٦	٧	﴿ كَان لَمْ يَسْمَعَهَا كَان فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾	١٢٥
١٢، ٢٢٤	١٣	﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ، يَبْنِي لَأَشْرِكَ بِاللَّهِ ﴾	١٢٦
٩٢	١٤	﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ ﴾	١٢٧

سورة يس

٨٩	١٤، ١٣	﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾	١٢٨
٩٠	١٥	﴿ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ ﴾	١٢٩
٩٠	١٧، ١٦	﴿ قَالُوا رَبَّنَا عَلِّمْنَا لِنَا أَلْفَ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ وَإِن تَبَخَّرْنَاكَ إِنَّا سَخِرْنَا لَكِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾	١٣٠
٤٧	٢١، ٢٠	﴿ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنِ اتَّبَعْتُمْ لَآتُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ غَدِيرًا وَأُولُوا صُلُوبًا ﴾	١٣١

سورة الصافات

٣٠	٦٤	﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّهَا رِجٌّ مِسٌّ الشَّيْطَانِ ﴾	١٣٢
٢٠١، ١٩٤	١١٢-٩٩	﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾	١٣٣

سورة الزمر

٣٠	١٥	﴿ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾	١٣٤
٨٠	٢٣	﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي ﴾	١٣٥

سورة غافر

١٢٦	١٧	﴿ الْيَوْمَ نُجْزِي كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴾	١٣٦
-----	----	--	-----

سورة فصلت

١٤٧	١٦	﴿ لِنُدِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾	١٣٧
٣١	٤٩	﴿ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَعُوْسُ قَنُوطٌ ﴾	١٣٨

سورة الدخان

١٣	٣	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ﴾	١٣٩
٣١	٤٩	﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾	١٤٠

سورة الحجرات

٤٨	٤٩	﴿وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾	١٤١
		سورة ق	
٢٨٢ ، ٦٥	٣١	﴿وَأَزَلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾	١٤٢
		سورة الذاريات	
١٢٤	٥١ ، ٥٠	﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾	١٤٣
		سورة القمر	
٤٣	١٢ ، ١١	﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنَمِّرٍ﴾	١٤٤
١٤٦	١٨ ، ١٦	﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾	١٤٥
	٣٠ ، ٢١		
٤٤	٣٦	﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾	١٤٦
١٢٢ ، ١٢١	٤٩	﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرِ﴾	١٤٧
		سورة الرحمن	
١٤٩ ، ٥٤	١٢	﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾	١٤٨
		سورة الواقعة	
١٠٧	٧٩	﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾	١٤٩
		سورة الحشر	
٥٥	١٨	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾	١٥٠
		سورة المدثر	
٢٢٣	٣١	﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾	١٥١
		سورة القيامة	
٣٤ ، ٣٣	١٨ ، ١٧	﴿إِن عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ﴾	١٥٢
		سورة الإنسان	
٨٩	٢٣	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ تَنْزِيلًا﴾	١٥٣
		سورة المرسلات	
٨٥	٨	﴿النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾	١٥٤
٧٩ ، ٥٤	١٩ ، ١٥	﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ﴾	١٥٥

١٥١	٢٨، ٢٤		
	٣٧، ٣٤		
	٤٥، ٤٠		
	٤٩، ٤٧		
٨٥	١٦	﴿ أَلَمْ نُهِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾	١٥٦
١١٩	٢١، ٢٠	﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾	١٥٧
١٢٣	٢٣، ٢٢	﴿ إِنْ قَدَرِ مَعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾	١٥٨
		سورة عبس	
١٢١	١٩	﴿ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴾	١٥٩
		سورة المطففين	
٢٤	٢٦	﴿ خَتَمَهُ، مِسْكَ ﴾	١٦٠
		سورة الطارق	
٨٩	١٧	﴿ فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمَهُمْ رُوبِدًا ﴾	١٦١
		سورة الشمس	
٢٤٦	١٠، ٩	﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقْنَاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّانَاهَا ﴾	١٦٢
		سورة الشرح	
٦٤	٦، ٥	﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾	١٦٣
		سورة التين	
٢٤٨	١	﴿ وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونَ ﴾	١٦٤
		سورة القدر	
١٢	١	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾	١٦٥
		سورة التكاثر	
١٣٧، ٩١	٤، ٣	﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾	١٦٦
		سورة الكافرون	
١٤١، ٦٩	٥ - ١	﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾	١٦٧
١٤٢			

سورة النصر

١٣	١	﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾	١٦٨
١٣	٣	﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾	١٦٩

فهرس الأحاديث

الصفحة	طرف الحديث	م
٩٦	اصنعوا كل شيء إلا الجماع.	١
٨١	ألا وقول الزور.	٢
١٩٦	أنا ابن الذبيحين.	٣
١٩٩	الذبيح إسحاق.	٤
١٣	شغلونا عن الصلاة الوسطى.	٥
١٢٨	صنائع المعروف تقي مصارع السوء.	٦
١٩٨	كان يوسف أشرف نسباً.	٧
١٠٣	كيف نضع بالنساء إذا حضن.	٨
١٢	قالوا: يا رسول الله: أينما لم يظلم نفسه.	٩
١٧٤	القبر أول منازل الآخرة	١٠
١٠	اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل.	١١
٢٥٠	المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما حرم الله	١٢
١٢٩	من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه.	١٣
٢٨٧	نهى عن الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها	١٤
١٩٧	يا ابن الذبيحين فتبسم.	١٥
٢٨٧	يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب	١٦

فهرس الأثار

الصفحة	طرف الأثر	م
١٩	اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله.	١
١٩	أنا لا أقول في القرآن شيئاً.	٢
١٨	أي سماء تظلني؟	٣
١٩	ثلاث لا أقول فيهن حتى أموت.	٤
١٩	ذهب الذين كانوا يعلمون فيما أنزل القرآن.	٥
١٣	كان عمر يُدْخِلني مع أشياخ بدر.	٦
١٨	من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ.	٧
١٨	من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار.	٨

فهرس الأعلام

الصفحة	العَلَم	م
١١٩	إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط بن علي البقاعي، أبو الحسن	١
٩	أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني أبو العباس	٢
٢٧	أحمد بن علي الرازي أبو بكر المشهور بالجصاص	٣
٤	أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي	٤
١٠٤	أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق	٥
٨١	أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجيبة، الحسنی الأنجری	٦
٨٦	أحمد بن مصطفى المراغي، مفسر مصري	٧
١٥	إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء البصري أبو الفداء	٨
١٤٧	إسماعيل حقي بن مصطفى الاسلامبولي الحنفي، أبو الفداء	٩
١٧٤	الحسن البصري الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد	١٠
١٦٩	الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، نظام الدين،	١١
١٢١	الحسين بن محمد أبو القاسم الأصفهاني المعروف بالراغب	١٢
١٦	١٣. الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، أبو محمد	١٣
١٩٧	١٤. زبَان بن العلاء بن عمار بن عبد الله، أبو عمرو بن العلاء	١٤
٢٠	١٥. سهيل بن أبي حزم القطيعي	١٥
١٤	١٦. شعبة بن الحجاج بن الورد الواسطي، أبو بسطام الأزدي العتكي	١٦
٥٥	١٧. عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الخليل الهمذاني الأسداباذي،	١٧
٧٥	١٨. عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن المحاربي، أبو محمد،	١٨
٦	١٩. عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد الخضيرى الأسيوطي	١٩
٧٥	٢٠. عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، أبو الفرج	٢٠
٧٩	٢١. عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن السلمي	٢١

- ٢٨ .٢٢ عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر
- ٢٣ .٢٣ عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي أبو البركات
- ٢٣ .٢٤ عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي أبو الخير
- ١٩٧ .٢٥ عبد الملك بن قريب بن علي الباهلي، أبو سعيد الاصمعي
- ٧٣ .٢٦ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الأندلسي الظاهري، أبو محمد
- ١٤٢ .٢٧ علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن الواحدي النيسابوري
- ٧٩ .٢٨ علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي تقي الدين أبو الحسن
- ٢٣ .٢٩ علي بن محمد الشحي البغدادي عرف بالخازن، أبو الحسن
- ٧١ .٣٠ علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي البصري الشافعي
- ٢٧ .٣١ علي بن محمد بن علي الطبري المعروف بالكيا الهراسي
- ٦٤ .٣٢ عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، أبو حفص
- ١٩ .٣٣ قتادة بن دعامة السدوسي
- ١١ .٣٤ مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي مولا هم المكي المقري
- ٢٨٩ .٣٥ محمد أحمد بن مصطفى بن أحمد أبو زهرة
- ٦٧ .٣٦ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي
- ٦٥ .٣٧ محمد الطاهر بن محمد بن محمد ابن عاشور
- ١٠٩ .٣٨ محمد بن أحمد بن أبي بكر أبو عبد الله الأندلسي القرطبي
- ٩٨ .٣٩ محمد بن أحمد بن جزي الكلبي أبو القاسم
- ٨٠ .٤٠ محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحى، أبو البقاء
- ١١١ .٤١ محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد المحلي
- ٩٨ .٤٢ محمد بن أحمد شمس الدين، الخطيب الشربيني
- ٥ .٤٣ محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي الشافعي أبو عبد الله
- ٩ .٤٤ محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري
- ٦٣ .٤٥ محمد بن عبد الله المعارفي المعروف بأبي بكر ابن العربي

- ٣٥ .46 محمد بن علي بن محمد الشوكاني
- ٧٢ .٤٧ محمد بن عمر بن الحسين القرشي فخر الدين الرازي
- ١٩ .٤٨ محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي أبو عيسى الترمذي
- ٢٥ .٤٩ محمد بن محمد بن محمد الغزالي أبو حامد الطوسي الفقيه
- ١٢٥ .٥٠ محمد بن محمد بن محمد بن عرفة أبو عبد الله
- ١١٧ .51 محمد بن محمد بن مصطفى العمادي أبو السعود الحنفي
- ٤ .٥٢ محمد بن مكرم بن علي بن أحمد أبو الفضل يعرف بابن منظور
- ٧ .٥٣ محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الغرناطي أثير الدين
- ١٤ .٥٤ محمد عبد العظيم الزرقاني
- ٦٩ .٥٥ محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم الكرمانى
- ٥٧ .٥٦ محمود بن عبد الله الحسيني الألوسى
- ٧٢ .٥٧ محمود بن عمر بن محمد أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي
- ٢٩ .٥٨ معمر بن المثنى التيمي بالولاء، البصري، أبو عبيدة النحوي
- ١٠٥ .٥٩ نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الليث السمرقندي
- ٥٤ .٦٠ نصر الله بن أبي بكر محمد بن محمد بن عبدالكريم ابن الأثير
- ٢٢٤ .٦١ نعمة الله بن محمود النخجواني

فهرس المصادر والمراجع

المرجع

م

القرآن الكريم

١. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٨٧م.
٢. الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: مجموعة من العلماء دار الكتب العلمية- بيروت، ط/الأولى ١٤٠٤هـ.
٣. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ويسمى (منتهى الأمانى والمسرات في علوم القراءات) شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية - لبنان - ط /الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٤. الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: سعيد المنذوب، دار الفكر- لبنان ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٥. أثر الدرس اللغوي في فهم النص الشرعي، محمد المختار محمد المهدي، جامعة الأزهر، (بدون).
٦. أحكام القرآن، أبو الحسن علي بن محمد (المعروف بالكيا هراسي) تحقيق: موسى محمد علي - عزت عبده عطية، دار لكتب العلمية- بيروت، ط/١٤٠٥
٧. أحكام القرآن، محمد بن عبدالله الأندلسي الملقب ابن العربي، تحقيق: عامر حسن صبري، دار ابن حزم- بيروت، ط/الأولى ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م
٨. الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، دار الحديث- القاهرة، ط/الأولى ١٤٠٤هـ.
٩. الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي، تحقيق: د/سيد الجميلي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط/الأولى ١٤٠٤هـ.
١٠. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العماد أبو

- السعود، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (بدون).
١١. إرشاد الفحول، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، ط/الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
١٢. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، د/ محمد بن محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، ط/ الرابعة ١٤٠٨هـ.
١٣. أسرار التكرار في القرآن، محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، ط/الثانية ١٣٩٦هـ.
١٤. أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، للحوت، محمد بن درويش ابن محمد الحوت البيروتي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ط/الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
١٥. الأشباه والنظائر، عبد الوهاب بن علي السبكي ١/١٨٩، دار الكتب العلمية، ط/الأولى ١٤١١هـ.
١٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين ابن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر - بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٧. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط / الخامسة عشر ٢٠٠٢ م.
١٨. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار الفكر - بيروت، (بدون).
١٩. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري ص ٦٣، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط/الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
20. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعدالدين بن عمر القزويني، دار إحياء العلوم - بيروت، ط/ الرابعة ١٩٩٨م.
٢١. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق: د/

محمود مطرجي، دار الفكر - بيروت. (بدون).

٢٢. **البحر المحيط في أصول الفقه**، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط/ الأولى ١٤٢١هـ - / ٢٠٠٠م.

٢٣. **البحر المحيط**، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي معوض، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ط/ الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٤. **البحر المديد**، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، دار الكتب العلمية - بيروت ط/ الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٥. **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة - بيروت.

٢٦. **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، دار إحياء الكتب العربية ط/ الأولى ١٣٧٦هـ.

٢٧. **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ط/ السابعة عشر ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢٨. **البلاغة العربية أساسها وعلومها وفنونها**، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق، ط/ الأولى ١٤١٦هـ.

٢٩. **بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار وآثره في الدراسات البلاغية**، د/ عبد الفتاح لاشين، مطبعة دار القرآن - ميدان الأزهر الشريف، دار الفكر العربي (بدون).

٣٠. **البلغه في تراجم أئمة النحو واللغة**، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت - ط/ الأولى ١٤٠٧هـ -

٣١. **تاج التراجم في طبقات الحنفية**، زين الدين أبو العدل قاسم بن قطلوبغا

- السودوني الحنفي، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم - دمشق، ط/ الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٣٢. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (بدون)
٣٣. تاريخ قضاة الأندلس للنابهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة - بيروت / لبنان - ط/الخامسة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
٣٤. تأريخ مدينة دمشق وذكر فضلها، لابن عساكر، أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، المعروف بـ«ابن عساكر»، دار الفكر - بيروت، ط/ ١٩٩٥م، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري.
٣٥. تأصيل الإعجاز العلمي، عبد المجيد بن عزيز الزنداني، من مطبوعات هيئة الإعجاز العلمي - مكة المكرمة، (بدون).
٣٦. التبيان في علوم القرآن، محمد بن علي الصابوني، دار الإرشاد - بيروت، ط/ الأولى ١٣٩٠هـ.
٣٧. التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت - لبنان، ط/الأولى ١٤٢٠هـ
٣٨. تذكرة الحفاظ للذهبي، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ابن قايماز الذهبي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/الأولى.
٣٩. التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد الغرناطي الكلبي الملقب ابن جزي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط/ الرابعة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٤٠. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٥هـ.
٤١. تفسير ابن عرفة المالكي، أبو عبد الله محمد بن عرفة الورغمي، تحقيق:

- د/حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية - تونس، ط/الأولى ١٩٨٦م.
٤٢. تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث - القاهرة، ط/الأولى (بدون).
٤٣. تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط/ الثالثة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
٤٤. التفسير المنير، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر - بيروت، ط/الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٤٥. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد السيد طنطاوي، الرسالة، ط/ الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
٤٦. التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة - القاهرة، ط/السابعة ٢٠٠٠م.
٤٧. تكملة الإكمال، محمد بن عبد الغني البغدادي، أبو بكر، تحقيق: د. عبد القيوم عبد رب النبي، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط/ الأولى ١٤١٠هـ -
٤٨. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربى - بيروت، ط/الأولى ٢٠٠١م.
٤٩. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق الدكتور محمد رضوان، دار الفكر - بيروت، ط ١٤١٠هـ.
٥٠. تيسير الكريم الرحمن في تيسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص ١٧٣، ١٧٤، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط/ الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٥١. جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ١٨ / ٦٧٢، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة ط ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٥٢. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني

- وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط/الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٥٣. **الجدول في إعراب القرآن**، محمود بن عبد الرحيم صافي، دار الرشيد مؤسسة الإيمان- دمشق، ط/الرابعة ١٤١٨هـ -
٥٤. **جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء**، للدكتور/ عبد القيوم عبد الغفور السندي، (بدون)
٥٥. **الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية**، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد القرشي، مير محمد كتب خانة- كراتشي.
٥٦. **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، (بدون).
٥٧. **خزانة الأدب وغاية الأرب**، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراي، تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال- بيروت، ط/الأولى ١٩٨٧م.
٥٨. **خصائص التراكم دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني**، أبو موسى محمد بن محمد، مكتبة وهبة، ط / السابعة (بدون).
٥٩. **خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالاتها البلاغية في تفسير التحرير والتنوير**، رسالة دكتوراه مقدمة من إبراهيم علي الجعيد، جامعة أم القرى- كلية اللغة العربية.
٦٠. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس الملقب بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد الخراط. دار القلم- دمشق ط/١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٦١. **دراسات أسلوب القرآن الكريم**، محمد عبد الخالق عزيمة، دار الحديث (بدون).
٦٢. **الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، شهاب الدين أبو الفضل، أحمد بن علي

- بن محمد بن محمد بن علي، الكناني، العسقلاني، تحقيق: مراقبة: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد- الهند، ط/الثانية ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٦٣. **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري، دار الكتب العلمية - بيروت.
٦٤. **ذيل تذكرة الحفاظ**، أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن الحسيني الدمشقي، دار الكتب العلمية، ط/ الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٦٥. **روائع البيان في تفسير آيات الأحكام**، محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي- مؤسسة مناهل العرفان، ط/الثالثة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٦٦. **روح البيان**، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي، دار إحياء التراث (بدون).
٦٧. **روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني**، محمود الألوسي أبو الفضل، تحقيق على عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ.
٦٨. **زاد المسير في علم التفسير**، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ٢٥٥/٣، المكتب الإسلامي- بيروت، ط/ الثالثة، ١٤٠٤
٦٩. **زهرة التفاسير**، محمد أحمد مصطفى أبو زهرة، دار الفكر العربي، (بدون).
٧٠. **السراج المنير**، محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط/ الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٧١. **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط/الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
٧٢. **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي- بيروت،

- (بدون).
٧٣. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (بدون).
٧٤. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٣هـ، ط/التاسعة.
٧٥. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط، دار بن كثير - دمشق، ط/ ١٤٠٦هـ.
٧٦. شرح العقيدة الطحاوية، القاضي علي بن علي أبي العز الدمشقي، تحقيق: عبدالله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط/الثانية ١٤٢٠هـ.
٧٧. شرح الكوكب المنير، تقي الدين أبو البقاء محمد بن عبد العزيز بن علي الفتوح المعروف بابن النجار، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط/الثانية ١٤١٨-١٩٩٧م.
٧٨. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، حققه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي - دار السلفية ببومباي - الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع دار السلفية ببومباي، ط/ الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م
٧٩. ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط/الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٨٠. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي و د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط/ الثانية ١٤١٣هـ
٨١. طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن

- قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب - بيروت، ط/الأولى ١٤٠٧ هـ
٨٢. **طبقات الفقهاء**، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي، هذبة: محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور)، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي - بيروت، ط/الأولى ١٩٧٠م.
٨٣. **طبقات المفسرين للسيوطي**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة- القاهرة، ط/الأولى ١٣٩٦هـ.
٨٤. **طبقات المفسرين**، أحمد بن محمد الأندروني، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط/الأولى ١٩٩٧م.
85. **العبر في خبر من غير**، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، (بدون).
٨٦. **العبر في خبر من غير**، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، (بدون).
٨٧. **علم الأسلوب**، د/ مصطفى الصادق الجويني، دار المعرفة الجامعية، (بدون).
٨٨. **علوم البلاغة: "البيان، المعاني، البديع"** أحمد مصطفى المراغي، (بدون).
٨٩. **علوم القرآن الكريم**، د/ نور الدين عترة، دمشق- الصباح، ط/ السادسة ١٤١٦هـ.
٩٠. **غاية النهاية في طبقات القراء**، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، (بدون).
٩١. **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميران دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، ط/الأولى ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م.
٩٢. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، مكتبة دار السلام، ط/الأولى ١٤١٨هـ.

٩٣. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني، دار الحديث- القاهرة، ط/الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٩٤. الفصول في الأصول، أحمد بن علي الجصاص ١٥٩/٢، تحقيق: د/ عجيل جاسم النشمي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- الكويت، ط/ الأولى ١٤٠٥هـ.
٩٥. الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود نعمة الله النخجواني، دار ركابي للنشر- مصر، ط/ ١٩٩٩م.
٩٦. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الرسالة، ط/ الثانية ١٤٠٧هـ.
٩٧. قواعد الترجيح عند المفسرين، حسن بن علي الحربي ٢/ ٤٧٤، دار القاسم - الرياض ط/ ١٤١٧هـ.
٩٨. قواعد التفسير جمعاً ودراسة، خالد عثمان السبت، دار ابن عفان، ط/الأولى ١٤٢١هـ.
٩٩. كتاب الصناعتين- الكتابة والشعر- أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: د/ مفيد قحيمة، دار الكتب العلمية- بيروت، ط/ الثانية ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
١٠٠. كتاب الكليات- معجم في المصطلحات والفروق اللغوية-، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط/ ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٠١. كتاب الكليات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفومي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ.
١٠٢. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل أبو القاسم

- محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (بدون).
١٠٣. الكشف والبيان، أحمد بن محمد الثعلبي النيسابوري، تحقيق أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط/الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
١٠٤. اللآلئ الحسان في علوم القرآن، د/ موسى شاهين لاشين، مطبعة الفجر الجديد، (بدون).
١٠٥. لباب التأول في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المشهور بالخازن، دار الفكر - بيروت/لبنان، ط/١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٠٦. اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق: غازي مختار طليمات، دار الفكر - دمشق، ط/ ١٩٩٥م.
١٠٧. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ط/الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
١٠٨. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي، دار صادر - بيروت، ط/الأولى، (بدون).
١٠٩. لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، محمد بن لطف الصباغ، رسالة دكتوراه.
١١٠. لمحات في علوم القرآن، محمد بن لطف الصباغ، رسالة ماجستير، قسم أصول الدين - الجامعة الأمريكية المفتوحة.
١١١. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف، ط/ الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١١٢. المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، الحافظ ابن حبان أبي حاتم التميمي البستي، تحقيق: محمود زايد، دار الوعي - حلب، ط/الأولى ٣٩٦هـ -
١١٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي

- بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي، وابن حجر، دار الفكر - بيروت، ط/
١٤١٢هـ، ١٩٩٢م
١١٤. **مجموع الفتاوى**، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: أنور الباز،
وعامر الجزار، دار الوفاء، ط/ الثالثة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١١٥. **المحرر الوجيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق:
عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - لبنان، ط/الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١١٦. **المحصل في علم الأصول**، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق: طه
جابر فياض العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض، ط/
الأولى ١٤٠٠هـ.
١١٧. **مختار الصحاح**، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود
خاطر، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت.
١١٨. **المخصص**، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي المعروف بابن سيده،
تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط/الأولى
١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
١١٩. **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود
النسفي.
١٢٠. **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر
السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/الأولى
١٩٩٨م.
١٢١. **المستدرک علی الصحیحین**، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري مع
تعليقات الذهبي في التلخيص، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب
العلمية - بيروت ط/ الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
122. **مسند أبي يعلى**، أحمد بن علي بن المثني أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق:

- حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، ط/١٤٠٤ - ١٩٨٤م.
١٢٣. **مسند البزار**، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري، البزار، صاحب (المسند) الكبير، تحقيق: د/ محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن - مكتبة العلوم والحكم، بيروت - المدينة، ط/الأولى ١٤٠٩هـ.
١٢٤. **المصنف في الأحاديث والآثار**، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، ط/الأولى ١٤٠٩هـ.
١٢٥. **معارج القبول بشرح سلم الوصول** حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم - الدمام، ط/الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.
١٢٦. **معالم التنزيل**، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد النمر، وعثمان جمعة، وسليمان الحرش، دار طيبة، ط/الرابعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٢٧. **المعجم الأوسط**، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥هـ.
١٢٨. **معجم التعريفات للجرجاني** ص ٧، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، ط/ دار الفضيلة بالقاهرة، (بدون).
١٢٩. **معجم الشيوخ**، تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، تخريج: شمس الدين أبي عبد الله ابن سعد الصالحي الحنبلي، تحقيق: الدكتور بشار عواد - رائد يوسف العنبيكي - مصطفى إسماعيل الأعظمي، دار الغرب الإسلامي، ط/ الأولى ٢٠٠٤م.
١٣٠. **معجم القواعد العربية**، عبد الغني الدقر ٥/٤، مكتبة مشكاة الإسلام. (بدون).
١٣١. **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي مكتبة الزهراء - الموصل،

ط/الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

١٣٢. معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية، عمر رضا كحالة،

مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي، (بدون).

١٣٣. المعجم المختص بالمحدثين، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو

عبد الله، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق - الطائف، ط/

الأولى ١٤٠٨هـ.

١٣٤. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد

النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

١٣٥. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،

دار الفكر ١٣٩٩هـ.

١٣٦. مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، دار الكتب العلمية

- بيروت - ط/الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٣٧. مفاتيح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد السكاكي، تحقيق: د/أكرم

عثمان يوسف، مطبعة دار الرسالة، ط/ الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٣٨. مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني،

دار القلم دمشق، (بدون).

١٣٩. مقدمة التفسير، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، دار مكتبة الحياة-

لبنان، ط/ ١٤٩٠هـ.

١٤٠. مناقب الشافعي، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق أحمد صقر،

مكتبة دار التراث - القاهرة، ط ١٩٧١م.

١٤١. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر-

بيروت، ط/الأولى ١٩٩٦م.

١٤٢. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري

النووي، دار المعرفة، ط/ الثانية ١٤١٥هـ.

١٤٣. المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، جمال الدين يوسف بن عبد الله،
الملقب ابن تغري بردي، (بدون).
١٤٤. موجز البلاغة، محمد الطاهر بن عاشور، المطبعة التونسية- تونس ط/
الأولى، (بدون).
١٤٥. النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن محمد بن علي أبو الخير
العمري الدمشقي ثم الشيرازي المشهور بابن الجزري، تحقيق: علي محمد
الصباغ، المطبعة التجارية الكبرى، دار الكتب العلمية، (بدون).
١٤٦. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن
عمر البقاعي، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية-
بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٤٧. نفحات من علوم القرآن، محمد أحمد معبد، مكتبة طيبة - المدينة المنورة،
ط/ الأولى ١٩٨٦م.
١٤٨. النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري،
تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية- بيروت/
لبنان، (بدون).
١٤٩. نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، الإمام جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي،
دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط/الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١٥٠. الواضح في علوم القرآن، د/ مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب مستو،
دار الكلم الطيب ودار العلوم الإنسانية - دمشق، ط/ الأولى ١٤١٧هـ.
١٥١. الوافي بالوفيات، أبي الصفاء صلاح الدين خليل بن أيبك الألبكي الصفدي،
تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
152. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن، تحقيق
عدنان داوودي، دار القلم- دمشق، والدار الشامية- بيروت، ط/ الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٥٣. وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد

بن أبي بكر بن خلکان، تحقق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ط/

١٩٩٤م.

المحتويات

٤	الإهداء.....
٥	شكر و عرفان.....
٧	مستخلص الرسالة.....
٨	المقدمة.....
١٧	الباب الأول.....
١٧	تعريف مفردات البحث.....
١٧	وفيه فصلان:.....
١٧	الفصل الأول: تعريف التفسير والجملة القرآنية.....
١٧	الفصل الثاني: التأسيس والتأكيد عند المفسرين.....
١٨	الفصل الأول.....
١٨	تعريف التفسير والجملة القرآنية.....
١٨	وفيه مبحثان:.....
١٨	المبحث الأول: التفسير: أنواعه، واتجاهاته.....
١٨	المبحث الثاني: تعريف القرآن، وأقسام الجملة القرآنية.....
١٩	المبحث الأول.....
١٩	التفسير: أنواعه، واتجاهاته.....
٢٠	المطلب الأول.....
٢٠	تعريف التفسير لغة واصطلاحاً.....
٢٥	المطلب الثاني.....
٢٥	أنواع التفسير.....
٤٠	المطلب الثالث.....
٤٠	اتجاهات التفسير.....
٤٨	المبحث الثاني.....
٤٨	تعريف القرآن وأقسام الجمل القرآنية.....
٤٩	المطلب الأول.....
٤٩	تعريف القرآن لغة واصطلاحاً.....
٥٦	المطلب الثاني.....
٥٦	الجملة القرآنية وأقسامها.....
٦٢	المطلب الثالث.....
٦٢	الوصل والفصل والتكرار في الجمل القرآنية.....
٧٥	الفصل الثاني.....
٧٥	التأسيس والتأكيد عند المفسرين.....
٧٦	المبحث الأول.....
٧٦	التأسيس وأهميته عند المفسرين.....
٧٧	المطلب الأول.....
٧٧	تعريف التأسيس لغة واصطلاحاً.....
٧٩	المطلب الثاني.....

٧٩	قاعدة التأسيس عند المفسرين
٨٦	المطلب الثالث
٨٦	أهمية التأسيس وفوائده في تفسير القرآن
١٠١	المبحث الثاني
١٠١	التوكيد عند المفسرين وأغراضه البلاغية
١٠٢	المطلب الأول
١٠٢	تعريف التوكيد لغة واصطلاحاً
١٠٤	المطلب الثاني
١٠٤	أغراض التوكيد البلاغية والقدر المتعلق بدراستنا
١١٣	المطلب الثالث
١١٣	التوكيد بالجملة عند المفسرين
١١٧	الباب الثاني
١١٧	التأسيس والتأكيد في الجملة القرآنية
١٢٠	المطلب الأول
١٢٠	التأسيس فيما تكرر بلفظه واختلفَ في معناه متصلاً
١٤١	المطلب الثاني
١٤١	التأسيس فيما تكرر بلفظه واختلفَ في معناه منفصلاً
١٥٣	المبحث الثاني
١٥٣	التأسيس في تكرار جملة بعينها أكثر من مرة في السورة
١٥٤	المطلب الأول
١٥٤	التأسيس في تكرار جملة بعينها أكثر من مرة في السورة متصلاً
١٦٣	المطلب الثاني
١٦٣	التأسيس في تكرار جملة بعينها أكثر من مرة في السورة منفصلاً
١٦٩	المبحث الثالث
١٦٩	التأسيس فيما اختلفَ لفظه واختلفَ في تكرار معناه
١٧٠	المطلب الأول
١٧٠	التأسيس فيما اختلفَ لفظه واختلفَ في تكرار معناه متصلاً
٢٠٠	المطلب الثاني
٢٠٠	التأسيس فيما اختلفَ لفظه واختلفَ في تكرار معناه منفصلاً
٢٢٠	الفصل الثاني
٢٢٠	أثر القرائن في ترجيح التأسيس على بعض قواعد التفسير
٢٢١	المبحث الأول
٢٢١	إعادة الضمير إلى ما يفيد التأسيس، وترجيح التأسيس بنفي الضد
٢٢٢	المطلب الأول
٢٢٢	إعادة الضمير إلى ما يفيد التأسيس أولى من رجوعه إلى ما يفيد التأكيد
٢٤٠	المطلب الثاني
٢٤٠	التأسيس بنفي الضد
٢٥٣	المبحث الثاني
٢٥٣	التأسيس في التعميم بعد التخصيص، وفي الأخذ بالمجاز
٢٥٤	المطلب الأول

٢٥٤	التأسيس في التعميم بعد التخصيص
٢٦٤	المطلب الثاني
٢٦٤	الأخذ بالمجاز إن دل على التأسيس
٢٧٤	الفصل الثالث
٢٧٤	التوكيد في الجمل القرآنية
٢٧٥	المبحث الأول
٢٧٥	التوكيد بتكرار الجملة، و بنفي ضدها
٢٧٦	المطلب الأول
٢٧٦	التوكيد فيما تكرر من الجمل بلفظه، و اختلفَ في معناه
٢٩١	المطلب الثاني
٢٩١	تأكيد الجملة بنفي ضدها
٣٠٢	المبحث الثاني
٣٠٢	التوكيد بالتذييل، و ورود الخاص بعد العام
٣٠٣	المطلب الأول
٣٠٣	التوكيد بالتذييل
٣١٤	المطلب الثاني
٣١٤	التوكيد بورود الخاص بعد العام
٣٢٥	الختامة
٣٣٠	الفهارس
٣٣١	فهرس الآيات
٣٤٢	فهرس الأحاديث
٣٤٣	فهرس الآثار
٣٤٤	فهرس الأعلام
٣٤٦	فهرس المصادر والمراجع
٣٦٣	المحتويات